المقـدّمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... **وبعد :**

فهذه مجموعة من الخطب التي وفقني الله لإلقائها بمسجد رسول الله ﷺ ، وقد حرصت على جمعها ونشرها ابتغاء الأجر ، ورجاء دعوة صالحة من قارئ كريم .

أسأل الله العظيم أن يرزقني في هذا العمل الصدق والإخلاص، وأن يعم بنفعه المسلمين ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

مدينة رسول الله على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام

ص.ب / ٦٣١٠

الإخلاص
الخطبة الأولى

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، رب السموات ورب الأرض ، رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عَبَدَ الله مخلصاً له الدين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، آمنوا بربهم وأخلصوا له ، واستقاموا على أمره والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن قول الله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] ، فقال : « هو أخلصه وأصوبه ، إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً » .

عباد الله :

الإخلاص لله شعار المؤمنين ، ودليل المتقين ، وسراج على الصراط يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فمن رزقه الله الإخلاص في الأعمال والأقوال ، فقد أحبَّه وهدَاه ، وأرْشَدَهُ واجْتَبَاه ، وأراد به خيراً في الدارين والإخلاص في الأعمال سر النجاح ، وطريق العُلا والفلاح ، وهو في الأفعال رمز المتقين ، وأمان الخائفين ، وفي الأقوال نور الأمم ، وباعث الهمم ، ومطهِّر الذمم .

رفع الله به أقواماً درجات مع قلة أعمالهم ، وكتب لغيرهم الأجر والمثوبة مع ضعفهم وعجزهم عن العمل ، فكم من عمل صغير تكبّره النية ، وترفعه مقامات ، فامرأة بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل - كما في صحيح البخاري - وجدت كلباً يلهث من شدة العطش ، فرَقَّ قلبها ، ولانَ فؤادها ، ودفَعها إخلاصُها أن تنزل البئر ، فتملأ مُوقَها ماءً ، فتحمِله بفمها وتسقي هذا الحيوان .

امرأة بغيٌّ ، علم الله صدقها وإخلاصها ، فشكرها صنيعَها فغفر لها، إنه عمل صغير ، وعند الله عظيم بفعل الإخلاص ، بل قد يعجز العبد عن عمل صالح يتمنّاه ، لقلة ماله ، أو ضعف صحته ، وقلة حيلته ، فيكتب الله له أجر ما نواه قال ﷺ : « **رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً ،**

فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ ، فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ » رواه ابن ماجة وأحمد .

عباد الله :

إن التوبة إذا تشبَّعَتْ بالإخلاص ، وقارنها الصدق مع ربِّ الناس ، حقَّق الله بها المراد ، وغفر زلات العباد ، هذه التوبة الخالصة اجتثت السيئات من جذورها اجتثاثاً ، فيمتلئ القلب صلاحاً وإخباتاً ، ويكتب الرب الرحيم غفراناً ورضواناً ، فهذا رجل من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفسا بل قتل مائة نفس ، فعقد العزم والنية ، على توبة صادقة لرب البرية ، ثم وافته المنية ، قبضت روحه ، ما صلى ولا صام ، ولكنه أخلص وأناب ، فغفر الله له ذنبه لِمَا علم من إخلاصه في توبته .

إخوة الإسلام :

الإخلاص لله تُفَرَّج به الكربات ، ويُعلَى به العبدُ درجات ، فهؤلاء - كما أخبر عليه الصلاة والسلام - ثلاثة نفر من بني إسرائيل - كما في صحيح محمد بن إسماعيل - ، إنسدَّتْ عليهم الصخرة ، حين آواهم المبيت إلى غار فانقطعت بهم الأسباب الأرضية ، والوسائل المادية ، فلا يستطيعون الخروجَ ولا الهروب من أمر مقدر مكتوب .

لم ينفعهم حال الشدة والبلاء ، إلا التوسل والدعاء ، توسلوا إلى الله بأعمال صادقة صالحة ، غُذِّيت بالإيمان وأحيطت بسياج الإخلاص ،

توسَّل أحدهم ببر الوالدين ، وتوسَّل الثاني باستعفافه عن الحرام ، وتوسَّل الثالث بحفظه الأمانة ، وأنّى لهذه الأعمال أن تثمر قبولاً بلا إخلاص ؟! لذا ختم كل منهم توسُّلَه ودعاءَه بالإخلاص لله و الصدق معه ، وأنه جاهد نفسه لتحقيقه : « **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ** » .

وبهذا أذن الله للصخرة القاسية الصماء ، أن تنفرج عن عباد أتقياء ، حققوا الإخلاص في العمل والدعاء ، وقاموا بأسبابه .

كشف الله كربتهم ، وفرّج همّهم ، وذكر رسول الله ﷺ قصّتهم ، ليعرف العباد حقيقة الإخلاص وأثره في حياة الناس .

إخوة الإسلام :

بالإخلاص تزكو النفوس ، وتتطهَّر الأعمال ، ويظهر أثره على السلوك والأخلاق ، فإذا حلّ بالعبادة سما بها ، وإذا سمت العبادة تهذَّب سلوكُ العبد ، فتنهاه صلاتُه عن الفحشاءِ والمنكرِ ، ويصونُه صومُه عن المحرمات ، وتُطهِّره الزكاة من الشحّ والبخل ، وتبعث فيه حُبَّ الفقراء والمساكين ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣]

عباد الله :

إن اللذات التي تتشهَّاها النفس ، إذا صاحبتها النية الصالحة ، والهدف السامي النبيل ، تحوَّلت إلى قُرُبات ، فالرجل يُواقع امرأتــه يُريـد أن يحفـظ عَفَافَهما ، ويصون دينَهما له بذلك أجر .

« **أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ نَعَمْ** » قالها عليه الصـلاة والسلام ، إنه الإخــلاص ، يســمو بالشـهوة ليحقـق معهـا أهدافـاً نبيلـة ، ومعاني سامية ، فهو قضاء للوطر ، وعبادة لرب البشر .

أيها الإخوة :

لقد أخلص الأوائـل مـن سـلف هـذه الأمـة ، فكـان نومُهـم عبـادة ، وصحوُهم عبادة ، وطعامُهم وشـرابُهم عبـادة ، نـرى أثـر ذلـك بَرَكَـةً في أعمارهم ، قَبُولاً لكتبهم ، نوراً في أقوالهم ، تقـرأ الصـدق والإخـلاص في أثناء كلماتهم ، وأطراف عباراتهم .

تحيـا القلـوب بذكرهـم ، فسـبحان مـن أمـات أقوامـاً تحيـا القلـوب بذكرهم ، وأحيا أناساً تقسـو القلـوب بذكرهـم ومجالسـتهم ، ذلـك أنـه استوى في حساب القوم مدحُ النـاس وذمُّهـم ، نَسُـوا رؤيـة الخلـق بـدوام النظر إلى الخالق ، استوت أفعالهم في الظاهر والباطن ، نظروا في الإخلاص فلم يجدوا غيرَ أن تكون حركاتُهم وسكَنَاتُهم في سـرِّهم وعلانيتهـم ، لله تعالى وحده لا يُمَازِجُه في ذلك شيء ، لا نفس ولا هوى ولا دنيا .

ولئن كانت النية الصالحة ، تُضفي على صاحبها هذا القبولَ الواسع ، فإن النية المدخُولَةَ ، تنضم إلى العمل الصالح - في صورته - فيستحيل بها إلى معصية تستجلب الويل ، وتستمطر العذاب : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون : ٤ - ٧] .

وكذلك الزكاة ، إن صدرت عن قلب مخلص قُبلت ، وإلا فهي عمل باطل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ... ﴾[البقرة: ٢٦٤]

إن القلب المقْفِرَ من الإخلاص ، لا يُنْبت قَبُولاً ، كالحجر المكسو بالتراب لا يُخْرِجُ زَرْعاً ، ولذا حذّر ﷺ من الرياء ، فهو أشدّ الأدْواء ، مُهْلِكُ الأعمالِ ، ومُضِيْعُ جَهْد الليالي والأيام ، نعم ، يأتي على الأعمال فيجعلها هباء ويوجب سخط رب الأرض والسماء ، وهو من أشد الأمراض فتكاً ، يصيب العبد في مقتل ، فيدنس قلبه ، ويحشوه سواداً .

وخُطورته أنه يتلصَّص سراً دون شعور ، فإذا تمكَّن من قلب العبد أهلك مقاصِدَه ونياته ، فأبعده ا لله وقلاه .

ويغني في هذا المقـام ، وصـف سـيد الأنـام ، في تحذيـره مـن الريـاء : « **الشَّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ** » أخرجـه الحاكم .

فهذا يصلي ، ثم يطيل ويزين فيها لما يـرى مـن نظـر النـاس ، وآخـر يصوم فيعرّض في كلامه ، ليظهر عبادته ، وَيُعَـرِّف النـاسَ قـدره ، وآخـر يقرأ القرآن ، لينال محمـدة النـاس وإعجـابهم ، وليقـال : قـارئ ، وآخـر يتعلّم العلم ويعلمـه ، ويتقعـر في الكـلام ، ويتشـدّق ويتفيهـق ، ليقـال : عالم ، وآخر جاهد وقـاتل ، وكـافح ونـاضل ، ليقـال : جـريء ، وآخـر تصدّق وأنفق ، وأعطى وأغدق، ليقال : جواد .

صور عديدة يتسلل فيها الرياء تحت جنح الظلام والغفلة ، فـلا يُبْقِـي ثوابـاً ، ولا يـذَرُ صلاحـاً ، بـل قـد يتسـلّل إلى صفـوة الخلـق ، ومصـابيح الدجى ، وشموع الأمة : العلماء ، الدعـاة ، طلبـة العلـم ، قـراء القـرآن ، المتصدقين ، المنفقين ، أهل الخير والفضل .

هؤلاء نخصُّهم - وغيرهم مـن الأمـة أولى بالخطـاب - نخصّهـم بهـذا الحديث فإلى أهل القـرآن ، التـالين سـورة الفرقـان ، وإلى العلمـاء وطلبـة العلم المتّصفـين بصفـات أهـل الإيمـان ، وإلى أربـاب الأمـوال والأخيـار ، المنفقين بالليل والنهار ، وإلى حاملي السنان في سبيل الملـك الديـان ، وإلى غيرهم أن أبا هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ أَوَّلَ النَّـاسِ يُقْضَى**

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » رواه مسلم .

قال أبو هريرة : « أولئك أوّل خلق تسعَّر نار جهنم بهم يوم القيامة»

قال معاوية : « قد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس » ، ثم بكى معاوية بكاء شديداً ، حتى ظننا أنه هالك ، وقرأ قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا

يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ - ١٦]

عباد الله :

الإخلاص أول العناصر قياماً في حلول المشكلات الاجتماعية والدعوية وغيرها .

فالموظف الذي يهمل في عمله ، والمسلم الذي ينكص على أداء واجبه ، والعامل الذي يخون الأمانة ، ومظاهر الجدل والمراء والشحناء والبغضاء بين عباد الله الأتقياء ، وغير ذلك من الأعراض المرضية التي قد تصاب بها الأمة المحمدية ، نتيجة طبعية لضعف الإخلاص أو فقده ، فهل يعي المسلمون أهمية هذا الركن الركين ، والعمل القلبي العظيم ، فيجتمعون على مائدة الإخلاص ، وينطلقون من قاعدة الإخلاص ، ويسيرون على درب المخلِصين ليكونوا عباد الله المخلَصين ، اللهم آمين .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله حقّ التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

أما بعد :

فقد قال سفيان الثوري : « ما عالجت شيئاً أشد من نيتي ، فإنها تتقلّب علي » .

وعن يوسف بن أسباط قال : « تخليص النية من فسادها أعظم على العاملين من طول الاجتهاد » .

وقد نقل عن بعض العلماء أنه قال : « وَدِدْتُ أنه لو كان من الفقهاء مَن ليس له شغل إلا أن يُعَلِّمَ الناسَ مقاصِدَهم في أعمَالِهم ، ويقْعُدَ

للتدريس في أعمال النيات ليس إلاَّ ، فإنه ما أتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك » .

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧]

كيف يتحقّق الإخلاص ؟

سؤال يتردّد في أذهان السائرين على الدرب ، الخائفين من الرب ، الذين يعيشون بقلوبهم يوم العرض ، وهم بأجسادهم على الأرض .

يتحقق ذلك بأمور منها :

استشعار عظمة الله تبارك وتعالى ، وجبروته وكبريائه .

استشعار عظمته وأنه أكبر من كل شيء ، فإذا أقبلت على الصلاة قائلاً : (الله أكبر) فليكن الله أكبر حقيقة من كل شيء ، الله أكبر من الزوجة والولد ، والأموال ذوات العدد ، أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم ، فيمتلئ القلب إجلالاً وحباً وتعظيماً وتجرّداً لله ، فلا تشتغل عنه بدونه ، ولا ينصرف قلبك إلى غيره ، وإذا قضيت الصلاة ، وعقدت الأنامل تسبيحاً وتكبيراً وتهليلاً وتحميداً فجدِّد هذه المعاني ، واستَشْعِرْ جلال الله حتَّى يأتي على كل شهوة ولذة ، فلا يبقى إلا محبة رب العزة .

ومما يتحقّق به الإخلاص : معرفة حَقارة الدنيا وضآلتها ، وأنها لا تساوي جناح بعوضة ، فضلاً عن أن يصرف العبد لها شيئاً من أنواع العبادة ، فيؤدي العمل طلباً لمحمدة البشر ، وخوفاً من جبار من جبابرة الأرض ، فيسخط جبار السموات والأرض .

ومنها : أن يعلم أن فلاحه في الدنيا وقبول عمله مرتهن بالإخلاص .

ومنها : مخالطة الصالحين من أهل الخير والفلاح والصدق والإخلاص فالنظر في أحوالهم تزيدك طاعة ، والجلوس إليهم وسماع أحاديثهم ، تبعث في نفسك السكينة والطمأنينة والراحة .

ومنها : مداومة المحاسبة ومعاهدة هذا الأمر العظيم .

عباد الله :

إذا أحب الله عبداً رزقه الإخلاص وكفاه ما بينه وبين الناس ، وإذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً وحرمه ثلاثاً :

أعطاه صحبة الصالحين ، ومنعه القبول منهم .

أعطاه الأعمال الصالحة ، ومنعه الإخلاص فيها .

أعطاه الحكمة ، ومنعه الصدق فيها .

عباد الله :

اعلموا أن أقواماً يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تِهَامة ، فيجعلها الله هباءً ، وأقوام يأتون بأعمال يظنون أنها حسنات فإذا هي

سيئات ، فيجعلها الله هباء منثوراً : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] .

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واسألوه أن يرزقكم الإخلاص في جميع الأحوال ، واحذروا الرياء ، فإنه مُحبط للثواب مُفسِدٌ للأعمال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

آيات الله في الكون

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الكسوف والخسوف للمؤمنين آية ، أحمده سبحانه وأشكره ، وعد المتقين الحسنى وزيادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الخير والهداية ، وحذَّر من الشر والغواية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فالتقوى سبيل المؤمنين والنجاة في الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

في عتمة الليل وسحرته ، وفي غلسه وبلجته ، إذا أظلم الليل ودجى ، وادلهم وسجا ، وظهرت آية من آيات الله ، كانت الموعظة والذكرى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ

لأُوْلِي الأَلبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠]

دعـوة إلى التدبُّـر في الكـون ، وتـأمُّلِ مـدَى دِقَّتِـه ، وتناسُـقِ نواصيـه وأجزائهِ ، إن الخالق عزّ وجل الذي لا تدركه أبصارنا ، لم يتركنـا هكـذا في بيداء الحياة ، بل أظهر آياته في كتاب منظور نـراه ونحس بـه و كتـاب نقرؤه ونرتله .

إنه معجزة النبي الخالدة ، إنه القرآن الكريم بآياتـه وعظاتـه يعمـد إلى تنبيه الحـواس والمشـاعر ، وفتـح العيـون والقلـوب إلى مـا في هـذا الكـون العظيم من مشاهد وآيات ، تِلك الّتي أَفقَدَتْهَا الأُلْفَةُ غَرَابَتَهَا ، وأزالت مـن النفوس عِبْرَتَهـا قـال تعـالى : ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تغْنِي الآيَاتُ وَالنذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١]

يعرض القرآن الكريم هذه الآيات ، بأسلوب أخّـاذٍ ، لِيُعِيـدَ طرَاوَتهـا وَجِدَتها في الأذهان ، فكأنّها تُرَى لأوَّل وَهْلَة .

يلفت النظر إلى هـذه الأرض الفسيحة ، وقـد سُـقِيَتْ ورُوِّيـتْ بمـاء الحياة، فتغلغل إلى أعماقها ، فاكتظّت أعاليها بـالنعَم الوفـيرة : مـن أنهـار جارية ، وأشجار مثمرة ، وزروع نضرة ، وجبال شـامخة راسـية ، وبحـار واسعة مترامية ، رفّت في جوَانِبها الطُّيور المغرِّدَة ، وداعب النسيمُ ما عليها من زينة الأشجار المحنّنةِ ، فبدَتْ كأنّها عروس تَختَال في حُلَلِها قال تعالى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ۞ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾ [النبأ : ١٤ – ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات : ٣٠ – ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ۞ وَعِنَباً وَقَضْباً ۞ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْباً ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ [عبس : ٢٤ – ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧ – ٢٠]

إنَّ التأمُّل في مطلع الشمس ومغيبها ، التأمّل في الظل الممدود ، ينقص بلطف ويزيد ، التأمّل في الخضم الزاخر ، والعين الفوارة ، والنبع الرَّوِيِّ ، التأمّل في النبتة النامية ، والبرعم الناعم ، والزَّهْرَة المتفتّحة ، والحصيد الهشيم ، التأمُّل في الطّائر السابح في الفضاء ، والسمك السابح في الماء ، والدود السارب ، والنمل الدائب ، التأمّل في صبح أو مساء في هدأة الليل أو في حركة النهار .

إن التأمّل في كل ذلك يحرِّك القلب لهذا الخَلْق العجيب ، ويُشْعِرُ العَبْدَ بعظمة الخالق تبارك وتعالى .

قال عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩] .

هذه الأحياء المبثوثة في كل مكان فوق سطح الأرض وفي تضاعيفِها ، وفي أعماق البحار وفي أجواء الفضاء ، أسراب من الطيور لا يعلم عددها إلاَّ الله ، وأسراب من النمل والنحل وأخواتها لا يحصيها إلاّ الله ، وأسراب من الحشرات والهوام والجراثيم لا يعلم موطنها إلاّ الله ، وأسراب من الأسماك وحيوان البحر لا يطلع عليها إلاّ الله ، وقطعان من الأغنام والوحوش هائمة وشاردة في كل مكان ، وقطعان من البشر مبثوثة في الأرض في كل مكان ، ومعها خلائق أربى عدداً ، وأخفى مكاناً في السموات من خلق الله كلها ، كلها يجمعها الله حين يشاء لا يضل منها فرد واحد ولا يغيب ، فهل قدر العباد ربهم حق قدره ؟

العُقول وما يتردَّد فيها من أفكار ، القلوب وما يتجدَّد فيها من مشاعر ، الأجسام وما يتدفَّق فيها من دماء ، نرى عظمة الله في ما نشاهده من تركيب أعضائنا ، وائتلاف عِظامنا ولحومنا ، وتكوين أعصابنا وانسياب شعورنا ، وتشكُّل أطرافنا : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي

مَاذا خلَقَ الّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان : ١١]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان : ٦١ - ٦٢]

إن الناظر في الكون وآفاقه يَشْعُرُ بجَلالِ الله ، الكون كله عاليه ودانيه ، صامته وناطقه ، أحياؤه وجماداته ، كلها خاضعٌ لأمر الله ، منقاد لتدبيره ، شاهد بوحدانيته وعظمته ، ناطِقٌ بآيات عِلْمِه وحكْمَتِه ، دائم التسبيح بحمدِهِ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

هذه السيارات المنطلقة ، والكواكب التي تزحم الفضاء وتخترق عباب السماء ، معلّقة لا تسقط ، سائرة لا تقف ، لا تزيغ ولا تصطدم ! : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ۞ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ ۞ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٨ - ٤٠]

من الذي سيَّر أفْلاكها ، ونظم مسارها ، وأشرف على مدارها ، من أمسك أجرامَها ، ودبر أمرها : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١]

إن الله تبارك وتعالى خلق كل شيء فقدّره تقديراً ، هذا وضع الشمس أمام الأرض مثلاً ثم على مسافة معينة ، لو نقصت فازداد قُرْبُها مِنَ الأرض ، لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لَعَمَّ الجليدُ والصقيعُ وَجْهَ الأرض ، وهلَكَ الزَّرْع والضرع ، من الذي أقامها في مكانها ذاك ؟ وقدر بعدها لننعم بحرارة مناسبة تستمرّ معها الحياة والأحياء : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨]

وستجد الأجيال في كُلِّ عصر نصيبَها من الآيات مُدَّخَراً ، وستبقى معارض الكون ومشاهدُه حافِلَةً بكل عجيب وجديد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « أي إن القرآن حقّ ، فأخبر أنه لابد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوّة حقّ ، ثم أخبر بكفاية شهادته على صحّة خبره ، بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسله ، فآياته شاهدة بصدقه ، وهو شاهد بصدق رسوله بآياته ، فهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدليل والمدلول عليه » انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

إن آيات الله في الكون لا تتجلّى عَلَى حقيقتها ولا تؤدِّي مفعولها إلاّ للقلوب الذاكرة ، القلوب المؤمنة ، تلك التي تنظر في الكون بعين التأمل والتدبر ، تلك التي تُعْمِلُ بصائرها وأبصارها وأسماعها وعقولها ، ولا تقف عند حدود المنظر المشهود البادي للعيان ، لتنتفع بآيات الله في الكون :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩١]

أما الكفار فهم عُمْيُ البصائر ، غلف القلوب ، مُتَحَجِّرُو العقول ، إنهم لا يتبصَّرون الآيات وهم يُبْصِرُونها ، ولا يفقهون حكمتها وهم

يتقلَّبون فيها ، فأنَّى لهم أن ينتفعوا بها : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّماء فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٤ - ١٥]

وكذا بعْضُ طرائِقِ البَحْث العلمي ، لن تؤتي ثمارها في مَعْزل عن الإيمان بِقَطْع الصلة بين الخلق والخالق ، وجَعْل الخَلْق بدُون خالق : فالكوْنُ في تَصَوُّرها مادة وإن لم تصرِّح بذلك ، فهي تتعامل معَ الآيات الكونية بجفاء ، فتُحْدِث في القلوب ضلالاً ، وفي العقول ظلاماً ، وفي الفطرة انتكاساً ، حين تجعل من الآيات الكونية العظيمة في الأرض والسماء معلوماتٍ جامدة ، لا تنبئ عن شيء ، متحجرة في الأذهان ، وتلك عثرة من عثرات هذه الطرق للبحث العلميّ ، وتحجيرُ العقل عَيْبُ هذِه الحضارةِ الحديثة ، وإن شعَّ بريقها ، فبهرت أنها تكشف الآيات العظيمة ، ثم تقف حيث يجب أن تنطلق ، تُظْهِرُ الأسباب ، وتسدل الستار على ربّ الأسباب ، وكأنَّه لا وجود له ، أو لا عمل له ، وكأن هذه الأسباب التي يُفَسِّرُون بها حصولَ الخسوف والكسوف ، والزلازل والبراكين ونزول الأمطار ، وغيرها كأنّ هذه الأسباب هي الفاعل

الحقيقي وما عداها وهم ، هذا ضلال بعيد .

أما المنهج الإيماني فإنَّه لا ينقص شيئاً من ثمار البحث العلمي ، لكنه يزيد عليه بربط هذه الحقائق بخالقها ومُوجِدِها ومدَّبِرِها ومُصَرِّفِها ، ليقدر العباد ربهم حق قدره ، وليعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فلا يستحق العبادة إلا هو ، ولا يُتَوَجَّهُ بخوفٍ أو رجاء إلاَّ إليه ، ولا يُخْشَى إلاَّ هو ، ولا يُذلُّ إلاَّ له ، ولا يُطْمَع إلاَّ في رحمته ، إن المزيد من العلم ينبغي أن يقود إلى المزيد من الإيمان القويّ .

هذه آيات الخسوف والكسوف حين خضعت للبحث العلمي المجرّد عن الإيمان تجمَّد تأثيرها ، وقتل مدلولها ، فلا تُحَرِّك قلباً ، ولا تُخَوِّف عبداً ، بل تُنسيه أنَّ له ربّاً مدبّراً مصرِّفاً .

وحين أودع الله في العقل البشري ما يُمَكِّنُهُ من تحديد زمان الكسوف والخسوف تحديداً دقيقاً قبل وقوعه بإذن الله تعالى ، كان ذلك دليلاً على أن هذا الكون يسير بنظام وتدبير ، واتِّزان عظيم وتقدير ، وكان من الأولى أن يزيده ذلك خوفاً من الله ، ماذا لو اخْتلَّ نظام هذا الكون قيدَ شعرةٍ ، وانفرط عِقْدُه فأفسد مستقره ؟ إنه سينهار بكل ما فيه ومن فيه .

ماذا لو تصادمت أفلاكه ؟ وتناثرت في الفضاء أجْرَامُهُ ؟ ماذا لو حُجِبَت عنَّا عِنايةُ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ؟ أو أقلَّ من ذلك أو أَكْثَر ؟ إننا سنهلك

ويهلك كل من معنا : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٢ - ٦٣] .

الخسوف والكسوف آيتان يخوِّف ا لله بهما عباده ، وقال ﷺ : « **إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا** » رواه البخاري ، وكان يفزع إلى الصلاة ويأمر بها ، وبالدعاء والصدقة .

هذه الآيات تَحْمِلُنا على أن نَفرَّ إلى ربنا ، ونغسل إساءتنا ، ونمحُوَ ذنوبنا ، إن المسلم إذا احتمى بربه ، واستعان به ، واستجار فهو في أعز جوار وآمن ذمار .

إنّ كلّ شيء إذا خفته هربت منه ، وإذا خفت ا لله عز وجل هربت إليه .

وهكذا يبقى الكون كتاباً مفتوحاً يُقْرَأ بكلِّ لغة ، ويدرك بكلّ وسيلة ، قال تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق : ٨]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، أي ما عظَّمُوه حقَّ تعظيمه ، وما عرفُوه حقَّ معْرِفَتِه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ ؟** » رواه البخاري ، وله عن ابن عمر رضي الله عنهما

عن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ** » أخرجه البخاري .

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر : ٦٧] » .

من عصى الله وخالف أمره لم يَقْدُرِ الله حقَّ قَدْرِه .

مَن نفى عن الله صفاتِه أو شبَّهه بخلقه ، ما قدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِه .

مَن امتلأ قلبه من خوف المخلوقين ، فترك بعض الصَّالحات خوفاً منهم ، أو عمِل بعض المنهيات رجاء ما عندهم ما قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِه .

مَن دَعَا غَيْرَ الله وطلب منه الشفاعة ، أو تفريجَ الكروب ، ما قدر الله حقَّ قدره .

من أطاع بشراً في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله ما قدر الله حقَّ قدره .

مَنْ هَجَرَ كلام الله ، فلم يقرأه ، أو لم يُحْكِمْه ، أو لم يعمل به ما قدر الله حقّ قدره .

مَن أحدث حدثاً في دين الله ما قدر الله حقّ قدره .

مَن ظلم الناس في أموالهم أو أعراضهم ما قدر الله حقَّ قدره .

مَن أكل أموال الناس بالباطل ما قدر الله حقّ قدره .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

أول منازل الآخرة

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل : ﴿ وَالعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر] ، أحمده سبحانه على كل خير وفضل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الخلق والأمر ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله حذرنا من فتنة القبر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما أقبل ليل وتبسَّم فجر .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فمن اتَّقاه وقَاه ، ومن سار على نهجه نجّاه قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على القبر بكى

حتى تَبلَّ لِحْيَته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال : إن النبي ﷺ قال : « **إنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ** » قال : وقال رسول الله ﷺ : « **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ** » رواه الترمذي وابن ماجه .

إنه المنظر الذي بـه يـرقّ القلـب ، وتدمـع العين ، يُزَهِّـد في الدنيـا ، وَيُرَغِّب في الآخرة ، يُذَكِّر هادم اللذات ، ومفـرّق الجماعـات ، ويـورث العظة والاعتبار ، يجعـل العبـد يتيقّـظ مـن غفلتـه ، وينسـلخ مـن أحضـان أحلامه وسهوته ، إن ساعة من الزمن تعيشها النفـس أمـام المقـابر ، تطـل على حاضرها ، وتبكي على المظلم مـن صفحـات غابرهـا ، وترسـل بـين الأحداث المبعثرة أنّاتها ، تتساءل عن وفاة صديق أو قريـب ، تذيـع علـى الدنيا العبر ، وتتذكر تاريخ من غبر .

القبر : منزل قد ترتحل إليه بعد لحظات ، أو سويعات ، أو سنوات ، ولا يشك مسلم أنَّ ذلك لا محالة آت ، هذه حقيقـة أذابتهـا شمـس الماديـة الملتهبة ، وحب الدنيا الطاغي ، وأطاحت بها أعاصير زينة الحياة .

القبر : واعظ صـامِتٌ لا يملـك العبـارات المنمَّقَـة ، ولا يعـرف نظـم الشعر ولغته ، وإنما يعرف لغة أشدَّ تأثيراً من كل أنواعها ، ومنظراً أعمـق من كل عبارات الوُعَّاظ ، وللتراب الصـامت صـوت لا يسـمعه ولا يعـي

مدلوله إلاَّ من وقَفَ أمامه يتأمَّله ، وهو يضمّ بين جنباته الصديق والغريب ، والأخ والحبيب .

كان عطاء رحمه الله إذا جنَّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول : « غداً عطاء في القبور » ، وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : إذا نظر إلى القبور بكى ، ثم قال : « هذه قبور آبائي ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى ، قد حلَّت بهم المَثُلات ، واستحكم فيهم البِلى ، وأصابتهم الهوام في أبدانهم » .

القبر : تلك الحفرة الضيقة التي لا أنيسَ فيها ولا جليس ، ولا صديق ولا سمير ، العمل الصالح أنيس العبد في قبره ومزيل وحشته في رِمَمِه .

القبر : يضمّ بين جوانبه جثثاً هامدة لا حراك بها ، ولا نَفَسَ في عروقها ، يَضُمُّ الأجسام البالية ، العظام النخرة ، الأشلاء المبعثرة ، والأوصال المتقطّعة !

القبر : موطن العظماء والحقراء ، والحكماء والسفهاء ، ومنزل الصالحين السعداء والطالحين الأشقياء ، السكون يرفرف على فضائه ، والرهبة تنتشر بين أجوائه ، فيه السؤال ، والمناقشة ، والتوفيق ، والتثبيت، إمَّا روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار .

لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره ، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بَيْتاً تجول فيه الهوام ، وتخترقه الديدان ، مع تغيّر

الريح ، وبلي الأكفان ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الرِّيح ، ونقاء الثوب ، أما داره التي كان بها فقد سُكنت ، وزوجه قد نكحت ، وأمواله قد قسمت ، وكلّنا حيث صار القوم صائر ، ولنا فيهم بَصَائر .

القبر : يعظ الأحياء بصمت ليذكّرهم بالمآل الذي لابد منه ، فيدفعهم ذلك إلى زيادة الاستعداد ليوم المعاد .

أخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « **قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ... فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ** » .

نعم هو الدواء لمن قَسَا قلبه ، ولزمه ذنبه ، وطال أمد غفلته ، فليس الخبر كالعيان .

وهناك اسأل القبر : أين المال والمتاع ؟ أين الجمال والسحر ؟ أين الصحة والقوة ؟ أين المرض والضعف ؟ أين القدرة والجبروت ؟ أين الخضوع والذلة ؟

إنه يضمّ أجساداً كانت ناعمة منعّمة ، تفوح منها العطور ، فماذا فعل بها في تلك الحفرة ؟ تتوقّف الابتسامات والقهقهات ، ويتوقّف الجدال والصرخات ، ويتوقّف العناد والكبرياء ، ويتوقّف الأمل والجشع ، ويتوقّف الإخلاص والرياء ، ويتوقّف العجب بالمنصب ، والجمال والعشيرة والجاه والقوة ، كما يتوقّف ظلم مَن ظلم ، وذلُّ منِ استُذِلَّ .

يتحوَّل الوجه الفاتن ، واليد الظالمة ، واللسان الكذوب ، والعين

الخائنة ، والقلب القاسي إلى جماجم وأعظم نخرة ، ولا يبقى إلا العمل الذي قدمه صاحب القبر ، يسأله عنه منكر ونكير .

أينما يذهب الإنسان في دنياه تُلْقَى عَلَيْهِ أَسْئِلَةٌ كثِيرَةٌ : ما اسمك ؟ ما تجارتك ؟ ما ثَمَنك ؟ ما صِناعتك ؟ ثم تَبْطُلُ هذه كُلُّها عند القبر ، حيث يسأله : ما أعمالك ؟

لا يُطِيق هذه الفتنة ، ولا يَثْبُتُ عند السؤال في القبر إلاَّ من ثبَّته الله تعالى .

فإن العبد المؤمن كما ثبت في الحديث عن الصادق المصدوق ﷺ : « **فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِيَ الإِسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ ؟ مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، **فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَدِينِيَ الإِسْلامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ...** » أخرجه أحمد .

وفي الحديث : « **فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قَالَ :**

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْـهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي » .

« وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى ،

فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُـمَّ قَـرَأَ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ ، فَتُعَـادُ رُوحُـهُ فِـي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَـاهْ هَاهْ لا أَدْرِي ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَـا دِينُـكَ ؟ فَيَقُـولُ : هَـاهْ هَـاهْ لا أَدْرِي ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّـذِي بُعِـثَ فِيكُـمْ ؟ فَيَقُـولُ : هَـاهْ هَـاهْ لا أَدْرِي ، فَيُنَـادِي مُنَـادٍ مِـنَ السَّـمَاءِ أَنْ كَـذَبَ ، فَافْرِشُـوا لَـهُ مِـنَ النَّـارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِـنْ حَرِّهَـا وَسَـمُومِهَا ، وَيُضَيَّـقُ عَلَيْـهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْـهِ قَبِيـحُ الثِّيَـابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِـيءُ بِالشَّـرِّ ؟ فَيَقُـولُ : أَنَـا عَمَلُـكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ » أخرجه أحمد وأبو داود .

هذه القبور ظواهرها تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب .

إنها فتنة القبر التي جعلت رسول الله ﷺ لا يترك صـلاة إلا ويسـتعيذ من عذاب القبر فيقول : « إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الأَخِـيرِ فَلْيَتَعَـوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَـعٍ : مِـنْ عَـذَابِ جَهَنَّـمَ ، وَمِـنْ عَـذَابِ الْقَـبْرِ ، وَمِـنْ فِتْنَـةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ » رواه ابن ماجه ، ويقول ﷺ لأصحابه : « اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَـذَابِ الْقَـبْرِ ، فَإِنَّ عَـذَابَ الْقَـبْرِ

حَقٌّ » رواه أحمد ، وقال ﷺ : « **إنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ** » رواه مسلم .

إن عذاب القبر ونعيمه هو عذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والدار الآخرة ، فالمصلوب ، والغريق ، والحريق ، وأكيل السباع والطيور والحيتان له قِسْطُه من عذاب البرزخ ونعيمه ، حتى لو علّق العاصي على رؤوس الأشجار في مهاب الريح ، لأصاب جسده من عذاب البرزخ حَظَّهُ نعتقد ذلك ونؤمن به ولا نبحث في كيفيته إذْ لا سبيل للعقل إلى ذلك .

قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١] ، ودَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ بَنِي النَّجَّارِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ قَبْرٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُ : « **مَتَى دُفِنَ هَذَا ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ دُفِنَ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَقَالَ : لَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ** » رواه أحمد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ينعم المؤمن في البرزخ على حسب أعماله ، ويعذَّب الفاجر فيه على حسب أعماله ، ويختصّ كل عضو بعذاب يليق بجناية ذلك العضو .

فتقرض شفاه المغتابين الذين يُمَزِّقُون لحومَ الناس ويقَعُون في أعْرَاضِهِم بمقاريضَ من نارٍ ، وتسبح بطون أكلة الربا بالحجارة ويسبحون في أنهار من دم كما يسبحون في الكسب الخبيث ، وتُرَضُّ رؤوس النائمين عن الصلاة المكتوبة بالحجر العظيم ، ويشقّ شِدق الكذاب الكذبة العظيمة بكلابيب الحديد إلى قفاه ، ومنخرُه إلى قفاه ، وعينيه إلى قفاه ، كما

شَقَّت كلمته النواحي ، وتعلّق النساء الزواني بثدييهن ، وتحبس الزناة والزواني في التنور المُحْمَى عليه فيعذَّبُ محلُّ المعصيةِ منهم » .

عدم الاستبراء من البول من أسباب عذاب القبر فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بقبرين يعذبان فقال : « **إنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** » ، وفي رواية : « **وَكَانَ الآخَرُ لا يَسْتَنْزِهُ عَنِ الْبَوْلِ أَوْ مِنَ الْبَوْلِ** » أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية لابن ماجه : « **وَأَمَّا الآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الْغَيْبَةِ** » ، وفي رواية لابن حبان : « **وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ** » ، وقال ﷺ : « **أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ** » رواه ابن ماجه .

أما الذين يدعون الناس إلى الجنة بأقوالهم ، ويصدونهم عنها بأفعالهم ، فهم على خطر عظيم فعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال ﷺ : « **رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا يَعْقِلُونَ** » رواه أحمد .

نعوذ بالله من علم عاد كلاً ، وأورث ذلاً ، وصار في رقبة صاحبه غلاًّ ، وكان حجّة عليه يوم القيامة ، كلّ هؤلاء وأمثالهم يُعَذَّبون في

قبورهم بحسب كثرة الذنوب وقلّتها ، صِغرها وكِبَرها .

هذه القبور ظواهرها بالتراب والحجارة مبنيات ، وفي باطنها الدواهي البليات ، تغلى بالحسرات ، كما تغلى القدور بما فيها ، وقد حيل بين من فيها وبين شهواتهم وأمانيهم ، تا لله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالاً

هذه محالّ للعبر : رياض من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « **كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ** » رواه أحمد .

وأخرج النسائي والترمذي وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ** » .

أخرج الترمذي وأحمد أن رسول الله ﷺ قال : « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إلا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ** » .

وأخرج الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ سُورَةُ** ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] ، وأخرج الحاكم أن رسول الله ﷺ قال : « **سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** »

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الرجاء والخوف

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً ، وهو على كل شيء قدير ، أحمده سبحانه وأشكره وهو الحكيم الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الألوهية والخلق والتدبير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد والمصير ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

عباد الله :

ليس من منهج الإسلام أن لا تترجَّى نفوس ، وأن لا يطرق الأسماع إلا تخويف وتهديد وزجر ووعيد ، بدون رجاء ، وحسن ظن ، وطمع في عفو رب الأرض والسماء .

وليس من المنهج أن تتشبَّث نفوس ضعيفة بأماني العفو والرحمة ، والظفر بالجنة والمغفرة ، دون سعي وعمل ، وخوف من الله عزّ وجلّ .

حين لا تُستوعب نصوص الرجاء ، ولا تُفهم مدلولاتها ، تتمادى النفوس في طغيانها ، ويأسرها هواها ، بل ترتكب المعاصي ، وتنتهك الحرمات ، ويُتحايل على المحظورات ، فهم لا يتذكّرون من أسماء الله وصفاته إلا أنه غفور ، رحيم ، كريم ، ودود ، ودليلهم في كل حين ، أن الإسلام دين السماحة واليسر .

قال الحسن رحمه الله تعالى : « إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة ، حتّى خرجوا من الدنيا بغير توبة ، يقول أحدهم : إنّي لأُحْسِنُ الظنَّ بربّي ، وكذَبَ لو أحْسَن الظنَّ لأحسن العمل » .

وقال أحد السلف : « رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان » .

إن الرجاء والخوف جناحان ، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيَّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود ، فلا يقود إلى قُرْبِ الرحمن ، ورَوْح الجِنَان ، مع كونه بعيد الإرجاء ، ثقيل الأعباء، محفوفاً بمكاره القلوب ، ومشاق الجوارح والأعضاء إلا الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم ، والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات ، وعجائب اللذات إلاّ سياط التخويف .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ** » .

والنصوص الشرعية من الآيات والأحاديث السنية ، تربي على الخوف والرجاء ، فهما رفيقان ينبغي أن لا يخلو قلب المؤمن منهما ، وإن غلب أحدهما حيناً وغلب الآخر حيناً آخر .

تأمَّل كيف يربّي رسولنا الكريم ﷺ على الخوف والرجاء ، أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ ، قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ : أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْف ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا**

كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ » ، وهذا لّما لانت بالموعظة قلوبهم ، وازداد خوفها ، وأقبلت على ربها ، سكب فيها الطمأنينة بحسن الظن والطمع في عفو الله ومغفرته

إذا تذكّر العبد الفقير كثرة ذنوبه فيما مضى ، واستشعر شدة العقوبة ، ثم تأمّل قدرة الله عليه متى شاء وكيف شاء ، وأنه ضعيف لا يتحمّل العقوبة ، وَلَّدَ ذلك في نفسه خوفاً من الله ، يقمع الشهوات ويكدّر اللذات ، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة .

ولَّد ذلك خوفاً ، يجعله يَفِرُّ إلى مولاه ، فيؤدِّي الفرائض ، ويجتنب المحارم ، ويُشَمِّر للطاعات والمغانم .

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** » رواه مسلم .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ** » أخرجه البخاري ومسلم .

قال أحد السلف : « كلّ قلب ليس فيه خوف من الله ، فهو قلب خرب ، ومن كان بالله أعرف ، كان له أخوف » .

بكى أبو هريرة ﷺ في مرضه فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : « أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعْد سَفري وقلَّة الزاد ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يُؤْخَذُ بِي »

وكان العلاء بن زياد رحمه الله تعالى يذكر النار ، فقال رجل : لم تُقْنِطْ الناس ؟ قال : « وأنا أقدر أن أُقْنِطَ الناس ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] ، ويقول : ﴿ وَأَنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر : ٤٣] ، ولكنكم تحبّون أن تُبَشَّروا بالجنَّة على مساوئ أعمالكم ، وإنما بعث الله محمداً مبشراً بالجنة لمن أطاعه ، ومنذراً بالنار لمن عصاه » .

الخائفون : إذا سمعوا آياتِ الله تُتْلَى ، وأحاديث رَسُولِ الله ﷺ تُرْوَى ، لانت قلوبهم ، واقشعرَّت جلودهم ، وانهمرت دُمُوعهم ، قال تعالى : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، فالقلب الصَّافي يُحَرِّكُه أدْنى مخافة ، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ .

فهنيئاً للخاشعين قولُ المصطفى ﷺ : « **لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخِرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا** » أخرجه أحمد والترمذي .

الخائفون : لا يسكن حالهم ، ولا يهدأ روعهم حتى يجوزوا الأهوال، قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : « إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه » .

الخائفون : إذا وسوس لهم الشيطان ، وزيَّن الحرام ، لا يبيعون دينهم ، ولا يُغْضِبُون ربَّهم في سبيل لذة عاجلة ، أو شهوة آثمة ، تكون وبالاً عليهم ونقمة على مجتمعهم ، يقول أحدهم كما وصف المصطفى ﷺ ذلك بقوله : « **وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** » رواه البخاري ومسلم .

لا يقيم الخائفون على معصية ، ولا يبيتون على مفسدة ، بل يتطهَّرُون بالتوبة ، وتلمُّس الرحمة والمغفرة .

أقضَّ الذنب مضجع أحدهم ، وأطار الوجل رقاده ، فيأتي رسول الله ﷺ قائلاً : طهِّرْني يَا رسول الله ، فيقام عليه الحد ويُطَهَّرُ من الذنب، فقال فيه رسول الله ﷺ : « **لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ** » رواه مسلم .

الخائفون : يُؤَمِّنُهم الله يومَ الفزَع ، ويطمئِنُّون والناسُ في خوف وشدة وهلع ، دخل النبي ﷺ على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : بخير أرجو الله ، وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَـذَا الْمَوْطِنِ إلا أَعْطَاهُ اللَّـهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ** » أخرجه الترمذي .

الخائفون : يُظِلُّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه ، يوم يَعْـرَقُ الناس حتَّى يذهب عرَقُهم في الأرض سبعين ذِرَاعاً ، ويُلْجِمُهُمْ حتَّى يبلغ آذانَهم

الخائفون : يدخلون الجنة بسلام قال الله تعالى : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق : ٣٣-٣٤]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : « وعدٌ من الله لمن خافه أن يُدْخِلَهُ الجنة حيث قال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] » .

ذلك أنهم كانوا يخافون الموت قبل التوبة ، والاستدراج بالنعم ، وسوء الخاتمة ، وسكرات الموت ، فثبَّتهم الله .

يخافون عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، والعبورَ على الصراط ، وأهوال النار فحفظهم الله ، يقولون وأعينهم باكية كما قال ابن عباس

رضي الله عنهما : « كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنّم طريقنا ، وبين يدي الله موقفنا » .

قال أحد السلف : « ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه » .

الخوف : ليس مُجرَّدَ دمْعةٍ تنسجم ، ولحظاتٍ من الحزن والبكاء ، فإذا زال المؤثّر عاد العبد إلى غفلته ، وتمادى في سهوته ، هذا خوف قاصر ، قليل الجدوى ، ضعيف النفع .

الخوف : يقظة دائمة ، وشُعُور حيٌّ يحرق الشهوات المحرمة ، وتتأدب به الجوارح ، ويذِلُّ القلب ويستكين ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد .

الخوف : مراقبة ومحاسبة ، ومجاهدة في الخطرات والخطوات والأحوال والكلمات .

ما خاف مقامَ الله ووعيده : مَن بارزه بالمعاصي مع علمه باطلاع الله وأنه سيقام بين يديه .

ما خاف مقامَ الله : مَن أَمِن بطشه وعقابه .

ما خاف مقامَ الله : مَن أظْهَر الخير للناس ، وأعلن الشر أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية .

ما خاف مقامَ الله : مَن عِلم حُرمة الزنا والربا ، وحرمة الكذب والمخادعة ، وحرمة الخيانة والفسق ثم بارز الله بها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

إن كل خوف خلا من الرجاء ، فهو يأس وقنوط قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦]

خاطب الله المسرفين على أنفسهم ، الغرقى في ذنوبهم ، ونهاهم عن القنوط من رحمته ، لتنهض همتهم إلى طَرْقِ أبوابِ مَغْفِرَتِه قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم : ٣٢] ، فمهما اتَّسَعَت رقعة المذنب ، فميدان المغفرة أوسع ، ومهما تغلَّظت نجاسات المعاصي ،

وأدناس الذنوب فبحر الغفران يطهّرها ، وذلك إن استغفروه بنية صادقة ، وندمٍ على ما فات ، وعزم على عدم العودة .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** » رواه الترمذي .

وقال ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ :** ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ » أخرجه البخاري .

قال علي بن أبي طالب ﷺ لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو وأخاف قال : « من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هربَ منه » .

إن الرجاء الصادق هو الذي يدفع صاحبه إلى فعل الخير والاستزادة في أعمال البر ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠]

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

محاسن الإسلام

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فهي النَّجَاة وسبيل الفلاح ، من اتقاه وقاه ، ومن سلك سبيله نجاه .

لقد بعث الله رَسُولَه ﷺ في وقْتٍ كان الناس أحوج ما يكونون فيه إلى رسول يُنقِذُهم ممَّا كانوا فيه من جهل وفُرقة وتطاحنُ واختلاف ، قبائلُ مشتتة ، وأُمَمٌ ممزَّقة ، لا تربطهم رابطة الإسلام ، ولا تَجْمَعُهُم أخوة دينية ، شغلتهم الحروب والغارات ، وديدنهم توارث العداوات ، فلا عقيدة عندهم تحميهم ، ولا دين لديهم يهديهم ، يعيشون في غيابة من الوهم وظلمات من الجهل ، كانت النفوس حيرى ، تَعَسُّفٌ وفوضى واستبداد من الأقوى .

هذه كانت الروحَ العامَّةَ التي أُرْسِلَ مُصلِحُ الأمة محمدٌ رسول الله ﷺ لملاشاتها ، وتخليص العالم من غوائلها ، وإنقاذ الإنسانية من شرورها ، إنقاذ الإنسانية من المعتقدات الباطلة التي كانت تسيطر على عقولهم وتغشى على قلوبهم ، وتعميهم عن رؤية الحق والهدى والرحمة ، فالناس في أهواء متفرقة ، وملل متشاكسة ، وعصبية جاهلية عمياء .

بعث الله رسولَه محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ، لِيُخْرِجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويقيم الدين على أساس توحيد العبادة وتوحيد الطاعة لله رب العالمين ، وأيَّده بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا

من خلفه ، فجاء التشريع الإسلامي حائزاً لمميزات الخواتيم ، وافياً بحاجات الأفراد والجماعات ، عادلاً من غير إفراط ، سهلاً بلا تفريط ، أبدياً صالحاً لكل زمان ومكان ، كاشفاً للناس من نواحي الخير ، داعياً إلى سعادة الدارين ، محرِّراً للعقول يدعوها إلى التفكير في الكون وأسراره، يحضها على ترك التقليد الأعمى ، معلّماً للإنسان كيف يتّصل بربِّه عن طريق العبادات المشروعة ، ومنظماً للروابط الاجتماعية في المعاملات والعلاقات والحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة وأفراد الأمة وبين الأمم المختلفة ، سالكاً بالناس سبيل المدنية الفاضلة ، البريئة من رجس الغواية ، البعيدة عن مهاوي الرذيلة وأَدْرَاكِ الشرك ، موجِّهاً إلى ما يحفظ الروابط العامة بين الناس ويدعمها ، فقرر أن من غشَّ المسلمين فليس منهم ، وأن الدين النصيحة ، وأنَّ مَنْ رأى مُنْكَراً فعليه أن يُغَيِّرَه ما استطاع ، أَمَر بالإيفاء بالعقود إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً .

شَنَّ الإسلام على الربا حملة شَعْوَاء ، خصوصاً أولئك المتلاعبين الذي قالوا إنما البيع مثل الربا فقال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩]

وهذا الإنذار والوعيد لم يسمع مثله في أي ذنب آخر .

حذّر من الكذب والخيانة والخداع والبهتان وقول الزور ، أوجد الإسلام التكافل الاجتماعي ، تكافل بين الأفراد يحمل قويُّهم ضعيفَهم ، ويقوم قادرهم بحق عاجزهم ، وتكافل أوسع وأكبر يشمل الأمة الإسلامية كلها ، فهم أمة واحدة يشد بعضها أزر بعض ، يسعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

أرشد إلى حسن المعاملة ، وكيف يحسن الجار إلى جاره ، ويعطف القريب على قريبه ، وكيف يكون الجميع إخواناً في التآزر والتحاب ، كيلا تتفرق كلمتهم ، وتضعف شوكتهم ، ويستهين بهم عدوهم ، أبطل الإسلام كُلَّ الفوارق التي تميز بين الناس من الجنس واللون واللغة والنسب والأرض والطبقة والمال والجاه ، وربَط هذه المساواةَ بشعائره اليومية والأسبوعية والسنوية ، ليتأكّد الناس أنهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، ولهذا لم يعرف المجتمع الإسلامي التمييز العنصري أو اللوني أو الطبقي الذي عرف في مجتمعات شرقية أو غربية .

ذلك طرف من النمط الذي رسمته الشريعة الإسلامية في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية لمن استمسك بعُروتها ، واعتصم بحبلها ، وآثر الرشد على الغي ، فهي شريعة الخلود ، ورسالة الله الخالدة

إن المقصود العام من التشريع الإسلامي ، هو مصالح الخلق وإصلاح المجتمع ، والعبادات نفسها من وسائل هذا الإصلاح ، فالصلاة ، والزكاة، والصوم ، والحج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنما هو للمحافظة على الدين ، وما أوجبه الشارع من تناول المأكل والمشرب ، والملبس والمسكن ، وشرع القصاص والحد ، إنما هو لحفظ النفس والعقل .

وتنظيم التعامل مع الغير على المشروع ، واستِحْلال الزوجات ، وما ألحق بهذا من أنواع الجزاء كحد الزنى والسرقة ، إنما هو لحفظ النسل والمال .

فمصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على هذه الأمور الخمسة ، حتى إذا انحرفت لم يبق للدنيا وُجُودٌ ، ولا تستقيم حياة التكليف والمكلَّفِين ، بل تفوت الحياة ، ويفُوت النعيم الأبدي الأخرَوِيِّ .

فإذا فقد المال ، مَا عاش إنسان ، ولا كانت حياة ، ولو فقد النسل لبقيت الدنيا إلى أجل محدود حتى ينتهي الجيل الذي عليها .

ولو اختلّ العقل لاختلّت الدنيا ، وكانت دنياهم حيواناً أعجم ، لا دنيا إنسان مفكّر ، ولو اختلّت النفس وأهدرت لما هدأت الحياة ولا

بقيت ، ولو ذهب الدين لعادت فوضى الجاهلية ، وعاش الناس في قلق واضطراب

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة:٦]

فجميع التكاليف الشرعية في ابتدائها ودوامها قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد ، فالشارع جل وعلا لا يقصد بالشريعة إيلام الناس وإعناتهم ، ولا يأمرهم بِأفعالٍ لما فيها من المشقات ، بل لما يترتب عليها من المصالح الدينية والدنيوية ، فالتوحيد الخالص أنقذ العرب من وهدة النسيان والخمول ، وجعلهم أمة تحمل رسالة وتشعر بالمسؤولية ، وتحوّل العربي إلى إنسان لا تأسره الأوهام والتقاليد ، ولا القبيلة والعشيرة ، ولا الإقليمية والقومية ، وما شرعه الله من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، إنما لمصالح دينية ودنيوية .

فالصلاة أثرها عميق في تهذيب النفوس ، ووقايتها من الفحشاء والمنكر ، وتطهيرها من غرائز الشر التي تفسد على الإنسان حياته ، قال

تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢٢] .

وإيتاء الزكاة تشريع يحفظ للفرد استقلاله ، وحريته في العمل والكسب ، ويحفظ للمجتمع حقّه على الفرد في المعونة والتضامن ، يسدّ بها حاجته ، وعامل قوي في تأكيد روابط الأخوة الدينية بين المسلمين ، وصوم رمضان وسيلة لتقوى الله ، وتخليص للإنسان من كدر المادة وسلطانها ، ونقل له من حضيض الحيوانية إلى درجات عالية من السموّ الإيماني .

والحج إلى بيت الله العتيق شرعه الله تعالى لمصالح كثيرة تشمل الفرد ومجموع الأمة الإسلامية ، ومن أهم هذه المصالح تمكين المسلمين في الاجتماع السنوي العام ، من مختلف الأقطار إلى النظر في مصالحهم ، الاتفاق على تكميل ما ينفعهم ، ويرفع شأنهم ، ويكفل لهم سعادة الحياة، ويضمن لهم الأمن والسلامة في علاقاتهم .

إن الحج مؤتمر عام يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها وقد تجاوبت شعورهم ، وتوحَّدَت أهدافهم ، يؤدُّون عبادة واحدة ، ويطوفون حول بيت واحد ، ويَجْأَرُون بالتلبية لإله واحد ، مغتبطين

بالاجتماع على طاعته ، متسابقين في الشكر على جزيل فضله ، وعظيم توقيعه ، إذْ أَصْبَحُوا بنعمته إخواناً ، لكن المسلمين في هذه الأيام قد فَرَّقت بينهم المطامع والأهواء ، فحُجِبَ عنهم منافذُ الهداية فصاروا كثرة لا غناء فيها .

هذه العبادات تنطق بما فيها من المصالح الحقيقية العظيمة لمن أدَّاها حقَّ أدائها ، وله في الآخرة نعيم أبديٌّ مُقيم .

الإسلام في تشريعه يهدف إلى الأخذ بمحاسن الأخلاق ، وتجنُّب ما تأنف منه العقول مما يصون المهابة ويحفظ الكرامة ، وإن اليوم وهذا العالم المضطرب يأكل قويّه ضعيفه ، والناس في أنكر صور القسوة ، لاشك وأن المسلمين أنفسهم في أشد الحاجة إلى تذكيرهم بالإسلام ومقاصده وشموله وسموه .

إنَّ ارتضاء الله الإسلام ديناً لهذه الأمة ، ليقتضي منها أولاً أن تدرك قيمة هذا الاختيار ، ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين وأن تدفع عنه كيد الكائدين ، فهم كما قال الله تعالى عنهم :﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ [الكهف : ٢٠]

ولا تزال الإنسانية في بلاء وحروب وفرقة ، حتى تملأ قلوب الناس مبادئ عقيدة الإسلام الذي حرّر العقول والأفكار ، من الوهم والتقليد

والجهل والجمود ، وفكّ سلاسل الفساد ، وحطّم قيود الخرافات ، قضى على الرذائل التي تضعف من روح الأمم وبنيانها ، وسار بها قدماً إلى حياة العزة والكرامة ، حتى لا يكون للناس إلا إله واحد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٨-١٩]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله تفرد بكل كمال ، وتفضّل على عباده بجزيل النوال ، له الحمد في الأولى والآخرة والحال والمآل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدّس عن الأشباه والأمثال ، وأشهد أن سيّدنا ونبينا محمّداً عبده ورسوله المبعوث بكريم الصفات وجميل الخصال ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صلاة دائمة إلى يوم المآل .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

جاء الإسلام وفي محامل دعوته أن تكون الأمة التي تؤمن به ، وتستهدي بنوره ، وتطعم من ثمره أمة داعية إلى هذا الدين الذي أكرمها الله به ، وشرح صدرها له ، وأخذ بناصيتها إليه ، فتدعو غيرها إلى هذا الدين ، وتفتح لغير المسلمين الطريق إلى هذا الخير العظيم ، فلا تقطف من ثماره الطيبة دون أن تهتف بالناس جميعاً أن هَلُمُّوا إلى هذا الزاد الطيب الكريم الذي لا ينفد عطاؤه على كثرة الواردين إليه ، بل إن عطاءه ليزداد ويعظم كلما كَثُر الواردون عليه ، وتزاحمت مواكِبُ الوافدين إليه، إن من الواجب على المسلم أن يهدي مَنْ ضَلَّ ، ويبصّر مَن عَمِيَ ، ويُنبِّه

من غفل ، ذلك هو شأن المسلم ، وتلك هي رسالة الأمة الإسلامية في الحياة .

لا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هي البطنَ الملآن والبدن المزدان ، فذلك هدف حيواني لا إنساني .

إن وظيفة هدف الأمة بين شتى الأجناس : أن تدعم الخير ، وأن تُعلي صوت المعروف ، وأن تحمي مقومات الإيمان ، وأن تجعل من كيانها موئلاً للفضائل ، وأن تكره الآثام وتنكر على فاعليها ، وتُعقِّب على أخطائهم وخطاياهم بالتقيد والرد .

وظيفة هذه الأمة إبقاء منار الإسلام عالياً يومض بالإشعاع الهادي ، كي يهتدي به السائرون في ظلمات البر والبحر ، والأمة التي تحمل هذا العبء ، أو تتولى هذا المنصب ، أو تُرشَّح لهذا الشرف هي الأمة الإسلامية ، فهي صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، تبلغها بالقول ، وتظهره بالعمل .

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣]

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

منازل العبودية
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق الخلق للطاعة والعبادة ، أحمده سبحانه وأشكره يسَّر أسباب السعادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وعد المؤمنين الحسنى وزيادة ، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله ، حثَّ على كل خير ، وحذّر من الضلال والغِوَاية ، صلى الله عليه صلاة دائمة إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى واصفاً اجتهاد السلف في العبادة : « لقد أدركت أقواماً ، وصحِبْت طوائف ، فما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يحزَنون على شيء أدبر ، وكانت في أعينهم أهونَ من التراب الذي يطؤُون عليه ، وكانوا عاملين بكتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ ، وكانوا إذا جنَّ الليل ، قاموا على أقدامهم ، وافترشوا

وجوههم ، وجرت دموعهم على خدودهم » ، وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة صام يوماً ، وأحيا ليلة ، وأعتق رقبة ، وقالت فاطمةُ بنت عبد الملك زوجُ أمير المؤمنين عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمه الله : « ما رأيت أحداً أكثر صلاة ولا صياماً منه ، ولا أحداً أشدَّ فَرَقاً منه ، كان يصلّي العشاء ثم يجلس يذكر الله حتى تغلبه عيناه ثم ينتبه ، ولقد كان يكون على الفراش ، فيذكر الشيء من أمور الآخرة ، فينتفض كما ينتفض العصفورُ من الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللّحاف » ، وعن وكيع قال : « كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، واختلفْتُ إليه أكثر من ستين سنة فما رأيتُه يقضي ركعة » ، وقال سليمان بن حمزة المقدسي: « لم أُصَلِّ الفريضة قط منفرداً إلا مَرَّتين ، وكأنّي لم أصلّها قط » ، مع أنه قارَب التسعين حين مات رحمهم الله تعالى .

هذه نماذج خاطِفة ، وإشارات عابرة ، لأناس امتلأت قلوبهم من محبة الله ، فقرَّت أعينهم ، وسكنت نفوسهم ، واطمأنت جوارحهم ، فصارت خطرات المحبة مكانَ خطرات المعصية ، وإرادة التقرُّب إليه مكان إرادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي .

أين هؤلاء ممن لا يؤدّي الصلاة إلا بتثاقل وتباطؤ وقلة رغبة ، بل تؤدّى مجرد حركات بلا خشوع ولا إخبات ؟

أين هؤلاء ممَّن لا يقومون إلى الصلاة إلاَّ وهم كسالى ؟

أين هؤلاء مِن قوم أصابتهم الغفلة عن قراءة القرآن ، وعن ذكر الله وعن التوبة والاستغفار ؟

أمَّا رسول الله ﷺ فقد تغلغل حبّ العبادة في قلبه ، وأعظم مظهر لعبادته أنه كان مسلماً وجهه إلى الله في جميع الحالات ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء : ١٢٥] ، كان يخشى الله في كل أحواله ، ويذكره دائماً ويستغفره فيقول : « **وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً** » رواه البخاري ، كان يتعبّد الله في الليل ، ويصلّي من الليل ثلاث عشرة ركعة، ويقوم مصلياً حتى تنتفخ قدماه ، فيقال له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غَفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟ فيقول : « **أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** » رواه البخاري ومسلم ، كان ﷺ يصوم ويتصدّق ، فيعطي غنماً بين جبلين .

والعجب كلُّ العجب في عبادة رسول الله ﷺ ذلك الجمع الغريب بين أرقى مراتب التعبّد ، وبين القيام بقيادة أمّته ويقول : « **أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي**

لأَخْشَاكُمْ لِلَّـهِ وَأَتْقَاكُمْ لَـهُ ، لَكِنِّـي أَصُـومُ وَأُفْطِـرُ ، وَأُصَلِّـي وَأَرْقُـدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » رواه البخاري .

قال ابن تيمية رحمه الله : « القلب لا يصلح ولا يفلح ، ولا ينعم ولا يسر ، ولا يلتذّ ولا يطيب ، ولا يسكن ولا يطمئنّ ، إلاّ بعبادة ربه وحده ، ولو حصّل كلّ ما يلتذّ به من المخلوقات لم يطمئنَّ ولم يسكن ، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربِّه بالفطرة ، فهو معبوده ومحبوبه ومطلوبه » .

أعظم أنواع العبادة أداء مَا فرضه الله ، وتجنّب ما حرمه الله تعالى ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ قَالَ : ... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** » رواه البخاري .

لَمَّا كانت حياة السلف كلُّها عِبادةً ، تزاحمت بين يديهم العبادات ، بم يبدؤون ؟ وماذا يقدّمون ؟ فأجاب العالم الرباني ابن القيم رحمه الله تعالى : « إنَّ أفضل الأعمال أحبّها إلى الله ، وأرضاها له عزّ وجلّ في ذلك الوقت » ثم يفصِّل قائلاً : « فالأفضل في وقت حضور الضيف : القيام بحقه والاشتغال به عن الوِرد المستحبّ ، وكذلك في أداء حقوق الزوجة والأهل .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر .

والأفضل في أوقات الأذان : ترك ما هو فيه من وِرده والاشتغال بإجابة المؤذن .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجِد والنصح في إيقاعها والمبادرة إليها .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال : الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته ، وإيثار ذلك على أورادك وخلواتك

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادَتُه وحضُورُ جنازته وتَشْيِيعُه وتقديمُ ذلك على خلوتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل ، وأذاة الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم ، وعدم هربك منهم » .

ثم يقول : « فلا يزال العبد متنقّلاً بين منازل العبودية : إن رأيت العلماء رأيته معهم ، وإن رأيت العُبَّاد رأيته معهم ، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدِّقين رأيته معهم ، يسير على مراد ربِّه ، ولو كانت راحة نفسه ولذّتها في سواه » انتهى كلامه رحمه الله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

نص من أربع كلمات يتضمّن حقيقة هائلة ، إنّنا لم نخلق إلا للعبادة، ولا يقبل الله إلاّ أن نُمْضِيَ حياتنا في العبادة ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج عبادة ، وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وبرّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل عبادة ، والدعاء والذكر والقراءة عبادة ، حب الله ورسوله والإنابة إليه عبادة ، الصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، الرضا بقضائه ، الرجاء لرحمته ، الخوف من عذابه كل ذلك عبادة .

إن ما أصاب المسلمين في تاريخهم الطويل ، وما يصيبنا اليوم من المصائب الكثيرة ، إنما هو بسبب الضعف الحاصل في عبادة الله عز وجل، حين حصروا مفهوم العبادة بالشعائر التعبدية فقط ، فحين يعبد ينقطع عن العمل ، وحين يعمل ينقطع عن العبادة ، هذا هو المفهوم السائد ، سواء عبروا عنه بلسان مقالهم أم بلسان حالهم وأعمالهم .

لذا تجد المصليَ الصائم القارئ للقرآن ، لا يتورع أن يغشّ ، أو يُرابيَ ، أو يظلم ، وتجد المرأة المصلّية الصّائمة لا تتورع أن تخالف الشرع بسفور أو اختلاط أو زينة محرمة .

إخوة الإسلام :

الأعمال الحيوية ، التي تميل لها النفس تزهر بالنية الصالحة ، وتسمو لتصبح عبادة ، وكذا المباحات تستقر في صحيفة أعمالك طاعات ، فالزارع في حقله ، والعامل في مصنعه ، والتاجر في متجره ، والموظَّف في مكتبه ، وكلُّ ذي حِرفة في حِرفته ، يستطيع أن يجعل من عمله عبادة ، وحين يكون العمل عبادة فلن يُلَوِّثه صاحبه بالخيانة ، ويُفْسده بالغِشِّ ، ويُسَوِّد صفاءَه بالكذب والخديعة ، وأكل أموال الناس بالباطل .

هذا هو المفهوم الواسع للعبادة ، والتصوُّر الشامل للطاعة ، يجعل المسلم ينبوعاً يَفيض بالخير والرحمة ، ويتدفّق بالنفع والبركة ، فتنشط همته ، وتقوى عزيمته للعبادة ونصرة الأمة ، فيمسح دمعة محزون ، ويخفّف كُربة مكروب ، ويضمد جراح منكوب ، وهو يستشعر في هذا العمل معنى العبادة ، وكذلك يَسُدُّ رمق محرُوم ، ويَشُدُّ أَزْرَ مَظْلُوم ، ويُقِيل عثرة مغلوب ، ويقضي دَيْن غارم مُثْقَل ، سيبذل جهده للعبادة ، فيهدي حائراً ، ويعلّم جاهلاً ، وَيَدْفَع شرّاً عن مخلوق ، أو أذَى عن طريق

إنَّكَ تستطيع في اليوم الواحد أن تضع لبناً صالحةً في بناء الأمة ، وتضيف إلى ميزان عبادتك وحسناتك أعمالاً لها ثقْلُها وقيمتها في ميزان الآخرة ، وإن بدَتْ عندك هَيِّنَةً خفيفة في الميزان ، واستمع إلى قول المصطفى ﷺ : « **أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ**

وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ » أخرجه أبو داود ، ويقول عليه الصلاة والسلام في عيادة المريض : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً » رواه الترمذي .

ويروي مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ » ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا : الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ » .

إنَّ انحصار العمل الصالح في عبادات خاصَّة ، جعل طلاب التقوى يشغلون أوقاتهم بتكرير أعمال محدودة ، كأنهم لا يرون غيرها وسيلة إلى مرضاة الله ، وتركوا عمارة الأرض .

إخوة الإسلام :

اتقوا الله واحذروا ما يبطل العبادة ، أو يُذْهِب ثوابها ، ومن ذلك : الشرك بالله عز وجل ، ومنه الرياء والسمعة قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، ومن ذلك الإحداث في

الدين قال ﷺ : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** » رواه مسلم، ومن ذلك ظلم الناس والتعدي عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم فقد جاء في الحديث : « **إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** » أخرجه مسلم .

ومن ذلك بعض الكلمات الخبيثة التي ينطق بها الإنسان من غير تفكير في عواقبها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا** » أخرجه ابن ماجه ، وحدَّث رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : « **وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلان ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ** » أخرجه مسلم .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ »** .

إن عبودية الله تقتضي إشغال جميع الجوارح والأحاسيس في طاعة الله ، وامتثال أمره ، فيتعبَّدُ الله بتَرْكِ مَا يَحْـرُم استِمَاعُهُ مِن كلام أهل الكفر والإلحاد .

ويتعبَّد الله بحفظ البصر عن النظر إلى ما حرَّم الله ، ويستعمله في النظر الواجب ، كالنظر في المصحف وكُتُب العلم .

ويتعبد الله تعبّداً صحيحاً بجارحة اللسان ، وذلك بإشغاله دائماً بذكر الله وما والاه من الكلم الطيب ، وبحفظه من فضول الكلام ، مبتعداً عن قول الزور واللمز والاغتياب ، وينشغل عن ذلك بالكلم الطيب من الذكر والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس .

ويتعبّد الله سبحانه وتعالى بجارحتي اليدين والرجلين ، فلا يبطش بيديه إلاّ لله وفي الله حسب مرضاة الله .

ويلاحظ التزام عبوديَّة الله في رجليه ، حاصراً مشيه بهما في طاعته ومرضاته ، فيسعى بهما إلى إقامة الصلاة في الجمع والجماعات والتكسب للقيام بالواجب .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣]

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الصلاة
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الصلاة راحة قلوب الأخيار ، وهي طريق السعادة في دار القرار ، أحمده سبحانه وأشكره ، جعل الجنة مأوى الذين اتّقوا ومثوى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الحق في البر والجو والبحار ، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بادر إلى الصلاة بسكينة ووقار ، ووقف بين يدي الله بمحبة وخضوع وانكسار ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، ما تعاقب الليل والنهار ، وما تساقط ورَقُ الأشجار .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

الحديث عن الصلاة يحتاج إلى تذكير وتكرار ، فلا يَمَلُّ سماعَه الأبرَار ، ولا تشبع منه قلوب الأخيار ، الصلاة من أعظم الفرائض أثراً ، وأفظعها عند الترك خطراً ، وأجلّها بياناً وخيراً ، فيها أكرم قول يردّده لسان ، مع أكرم حركة يؤدّيها الإنسان ، هي عمود الدين ، ومفتاح جنة رب العالمين ، عُرج برسول الله ﷺ وفتّحت له أبواب السماء ، فأخذ يتجاوزها مكاناً ومكانة ، عرج به لمستوًى ، يسمع فيه صريف الأقلام ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، ثم نزل عليه الأمر من ربِّه تبارك وتعالى بالصلاة ، وحين حضرته الوفاة ، وأتى عليه أجله ، عَلِمَ أنه يودّع الدنيا إلى لقاء ربه ، فكانت الصّلاة خاتمة وصيّته ، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام فأصبح يقول : « **الصَّلاةَ الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » رواه أحمد .

إخوة الإسلام :

مَن حافظ عليها فقد توثّقَ مِنْ عُرَى دينه ، وأخَذَ بأَصْله ، ومَن ضيَّعها فقد ضاع دينهُ مِن أصله .

الصلاة دواء يشفي من أمراض القلوب وأدوائها ، وفساد النفوس وأسقامها ، والنور المزيل لظلمات الذنوب والمعاصي ، فيتطهّر بها المسلم من غفلات قلبه ، وهفوات نفسه ، كما قال المصطفى ﷺ : « **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ**

دَرَنِـهِ شَـيْءٌ ؟ قَـالُوا : لا يَبْقَـى مِـنْ دَرَنِـهِ شَـيْءٌ ، قَـالَ : فَذَلِـكَ مَثَـلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَـا » رواه مسلم ، وكمـا ورد في حديث فضائل الوضوء ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « فَإِنْ هُـوَ قَـامَ فَصَلَّى ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَمَجَّدَهُ بِـالَّذِي هُـوَ لَـهُ أَهْـلٌ ، وَفَـرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَـوْمَ وَلَدَتْـهُ أُمُّـهُ » رواه مسـلم ، لذا كان اهتمامه بأمر الصلاة ﷺ عظيماً .

إن عبادة هذه نتائجها ، وعملاً هذا شأنه ، لجدير بأن نسعى لتحقيقه والعناية به ، وأن نجعله نُصب أعيننا ، وحديث نفوسنا .

الله أكبر ، حي على الصـلاة ، حـي علـى الفـلاح ، نـداء يصـدح في الأرجاء ، وأذان يخترق الآذان ، ليوقظ أجساداً مشـرقة بالإيمـان ، وقلوبـاً مُخبتة ، فإذا بالوفود تتقاطر ، والجموع تصطـف ولا تتنـاثر ، ولهـا هديـر كالبحر في تلاطمه ، وعرش النحل في تلاحمه ، وترى المسجد وقـد غُـصّ بالناس فاتّصلوا وتلاحموا ، تجـد الصـفّ منهـم علـى استوائه ، كمـا تجـد السطر في الكتاب ممدوداً محتبكاً منتظماً ، وتراهم تتابعوا صفاً وراء صف، ونسقاً على نسق ، فالمسجد بهم كالسنبلة مُلِئَتْ حَبّاً ما بَيْنَ أوّلها وآخره، كل حبة هي في لفّ أهلها وشملها ، فليس فيها علـى الكثرة حبـة واحـدة تَهَبُهَا السنبلة فضلَ تمييزٍ ، لا في الأعلى ولا في الأدنى .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ٢]

بالخشوع يجمع المصلّي في صلاته بين طهارة الظاهر والباطن ، إذ كان يقول ﷺ في ركوعه في الصلاة : « **خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي** » رواه مسلم ، وفي رواية : « **وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي** » رواه أحمد .

بالخشوع تغفر الذنوب ، وتكفّر السيئات ، وتكتب الصلاة في ميزان الحسنات ، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إلا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ** » رواه مسلم .

الصلاة إذا زيَّنها الخشوع ، وترسَّخ في أقوالها وأفعالها الذل والانكسار ، والتعظيم والمحبة والوقار ، نهت صاحبها عن الفحشاء والمنكر، فيستنير قلبه ، ويتطهَّر فؤاده ، ويزداد إيمانه ، وتقوى رغبته في الخير وتنعدم في الشر .

بالخشوع يزداد إقبال المصلي على ربه ، فيكون اقتراب ربه منه ، فقد أخرج أحمد وأبو داود والنسائي رحمهم الله تعالى أن رسول الله ﷺ قال:

« **لا يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ انصَرَفَ عَنْهُ** » رواه النسائي .

الخشوع : أمر عظيم شأنه ، سريع فقده ، نادر وجوده ، خصوصاً في زماننا وحاضرنا ، وحرمان الخشوع من أكبر المصائب والعلل ، وخطب جلل ، كان يستعيذ منه المصطفى ﷺ ويقول في دعائه : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ** » رواه الترمذي .

وما أصاب بعض المسلمين من ضعف في أخلاقهم ، وانحراف في سلوكهم ، إلاَّ لأن الصلاة غدت جثة من غير روح ، وحركاتٍ ليس لها من الخير مسوح ، أخرج الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « **أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخشُوعُ ، حَتَّى لا تَرَى فِيهَا خَاشِعاً** » رواه الطبراني .

وقال الصحابي الجليل حذيفة ﷺ : « أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ، وربّ مصلّ لا خير فيه ، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعاً » .

وحين تتجوّل في سير الأوائل ، ترى أن أمثالهم قلائل ، فإن في أخبار صلاتهم عبراً ، ودموعهم تنهل على قلوبهم غيثاً ، ذكروا من خبر الحبيب المصطفى ﷺ : « أنه كان يباسطهم ويحدّثهم ، فإذا حانت الصلاة كأنّه لم يعرفهم و لم يعرفوه » .

الصلاة أنس المسلم وسلواه ، وغاية مراده ومناه ، ويقول لبلال : ((**أَرِحْنَا بِهَا**)) رواه أبو داود ، ويقول ﷺ : ((**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ**)) أخرجه النسائي وأحمد .

قرة عينه ، ونعيم روحه ، وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق ، حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها ، يخلع على أعتاب المسجد الدنيا ومباهجها ، ويترك هناك أموالها وشواغلها فيطوي صحيفةَ ذِكْرِها من قلبه ، ويدخل المسجد بقلب أخذته أريحته لإجلال الله ، وعقل تهيأ لتدبر كلام إلهه .

والصديق أبو بكر ﷺ : إذا كان في صلاته كأنه وتد ، وإذا جهر فيها بالقراءة خنقته عَبْرة من البكاء ، والفاروق عمر بن الخطاب ﷺ : كان إذا قرأ لم يُسْمِع مَنْ خَلفه من البكاء ، وعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشب ، وعلي ابن أبي طالب ﷺ : إذا حان وقت الصلاة يضطرب ويتغيّر ، فلمَّا سئل ﷺ ، قال : ((لقد آن أوان أمانة ، عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها)) .

ومن الناس مَن يصلون بأجسامهم وأعضائهم ، يُحرِّكون ألسنتهم وشفاههم بالكلم ، يحنون ظهورهم راكعين ، ويهوون إلى الأرض ساجدين ، لكنّ قلوبهم لم تتحرّك نحو بارئها الأعلى ، يظهرون له

الخضوع وقلوبهم نافرة ، يقرؤون القرآن لكنهم لا يتدبرون ، يسبحون لكنهم لا يفقهون ، زيّنوا ظواهرهم ، وغفلوا عن بواطنهم ، وقفوا أمام الله وفي بيته وهم في الحقيقة واقفون أمام مشاغلهم ، مقيمون بأرواحهم في مساكنهم ، فترى الرجل قد شاب عارضاه في الإسلام ، وصلى زماناً طويلاً ، لكنّه لم يُكمِّل صلاته يوماً ، لأنه لا يُتِمُّ ركوعها وسجودها وخشوعها .

أمثال هؤلاء لا ينتفعون بصلاة ، فترى الواحد منهم يأكل أموال الناس بالباطل ، ويسعى بالفساد بين الناس ، يقوم بأعمال تتنافى مع الدين والأخلاق ، بل ربّما اتخذ الصلاة أحبولة يتصيَّد بها ثناء الناس عليه ، ويَسْتُر بها جناية يديه ورجليه .

إخوة الإسلام :

هذا الحديث للمحاسبة ، فقف مع نفسك وقفة صادقة ، لترى أين موقعك قال ﷺ : « **إِنَّ الرجلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلا عُشْرُ صَلاتِهِ ، تُسعُها ، ثُمنها ، سبعُها ، سدسُها ، خمسُها ، ربعُها ، ثلثُها ، نِصفُها** » رواه أبو داود وأحمد .

قال حسن بن عطية رحمه الله تعالى : « إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض » .

إذ ليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته وتعظيمه من الصلاة ، كحظ القلب الخالي من ذلك ، وليس حظّ القلب المخبت الخاشع ، كحظّ القلب الذي لملذات الدنيا ، وشهواتها خاضع ، وليس حظ القلب الذي يرتع في رياض القرآن ، كحظّ القلب الذي تملّكَهُ الشيطان .

هذا قلب أتمّ صاحبه القعود والقيام ، وذاك يسرق من صلاته حتى فقد التمام ، وهذا قلب اجتمع همه على الله وفرغ قلبه للمناجاة فما يشعر بالساعات ، وذاك قلب يستكثر في صلاته الدقائق واللحظات ، لأنّها عنده أثقل من الجبال قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢]

أيها المصلي الخاشع : إنها معركة حامية الوطيس مع الشيطان ، معركة الوساوس والصوارف والخطرات ، لأنك قمت أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان ، يزين أمام ناظريك الملذات ، يعرض مشاهد ومغريات يُذكّرك ما نسيت ، فكأنك بوسْواسِه عن السجود عمِيتَ ، فيستطير فرحاً حين تُلفُّ صلاتك كما يُلَفُّ الثوب الخلق ، لا أجر ولا فضل .

أيها المصلون :

مَنْ جرى على منهاج النبي ﷺ ، وسَلَك طريقته في الصلاة تحقَّق له الخشوع ، ومما يعين على الخشوع ، ويحقق في القلب الخضوع ، أمور منها :

أن يخرج المصلي إلى المسجد مبكّراً بسكينة ووقار ، قد نظّف ثيابه ، وطهّر بدنه ، وطيّب رائحته ، وأن يعمل على تسوية الصفوف ، وسد الفرج .

وقد نهي المؤمن عن رفع بصره إلى السماء فهو يخل بالخشوع ، وكذلك نهي عن الالتفات ببصره أو بقلبه ، وهذا خلف بن أيوب سئل : « ألا يؤذيك الذباب في صلاتك ؟ قال : لا أعوّد نفسي شيئاً يفسد عليّ صلاتي ، قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال : بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان فيقال : فلان صبور ، ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدي ربِّي ، أفأتحرك لذبابة » ، وبعضنا يملأ صلاته حركة بدون ذبابة ، فكيف إذا تَرَاءَتْ أمام ناظريه الذبابة ؟

ومن الأمور : عدم التشويش بالقراءة على الآخرين ، وأن لا يصلّي في ثوب أو قميص ، فيه نقوش أو كنايات ، أو ألوان أو تصاوير ، تشغله وتشغل غيره ، وأن لا يصلّي وهو حاقن أو حاقب .

عن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ ؟ قَالَ : لا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلا سُجُودَهَا** » أخرجه أحمد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد : فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

من أعظم الدواعي لحضور القلب وخشوعه ، في سائر الأيام والليالي، تدبُّرُ الألفاظِ والمعاني ، فكلَّما قال المصلي (الله أكبر) تأمَّل عمق هذا المفهوم ، وجلال المدلول ، الله أكبر من الشيطان يُغَرّره بالدنيا ، الله أكبر من الشهوات والمال والجاه والولد ، فإذا استقرّ في قلبه معنى هذه الكلمة وأتى بمقتضاها ، اطّرح خلف ظهره كلَّ ما عداها .

تأمَّل في صلاته هذا الجزاء العظيم في كل فاتحة يقرؤها ، وركعة يركعها قال ﷺ : « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ :** ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » رواه مسلم .

فيا قرّة عينك ، وسعادة قلبك ، حين يقول لك ربك ثلاثا : عبدي ، عبدي ، عبدي .

تأمل هذا الدعاء : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فقد زلّت مع الفتن أقدام ، وتوغّل في أوحالها أقوام .

تأمل الأجور الجزيلة :

ومنها : إذا قرأ الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قالت الملائكة آمين ، فمن وافق تأمينه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه ، وأجور جزيلة أخرى ، وفضائل كبرى في القيام والقعود ، وأذكار

الركوع والسجود ، من تأمَّلها أيقن برحمة الإله المعبود ، لمن حقّق الخشوع والحدود .

ومما يجلب الخشوع وصية رسول الله ﷺ الخالدة ، وللقلوب هي شافية إذ يقول : « **صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ** » أخرجه ابن ماجه وأحمد ، والمتأمل في الأيام ، وما تؤول إليه الأحوال ، وفي مَصَاير الناس حين يؤخذون على التوالي ، يعلم جلال هذه الوصية « **صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّع** » دواء ناجع ، لمن يروم القلب الخاشع ، فإذا شرع العبد في صلاته فكأنها آخر عهده بهذه الدنيا ، فأحسن خشوعها ، وأتم سجودها وركوعها ، لأنّ لحظة الرحيل بين عينيه ، وكأنّ هادم اللذات مقبل عليه ، فلا يلتفت بصره، ولا يُشْغَلُ قلبُه بشيء غير الله ، ولا يذهل لبّه ، ولو رأيت منصور ابن المعتمر التابعيّ الجليل ، لو رأيته يصلّي لقلت يموت الساعة كما قال سفيان الثوري .

ثم إن عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا ، قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي** » رواه مسلم .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

استقبال رمضان
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور ، وضاعف فيه الحسنات والأجور ، أحمده وأشكره إنه غفور شكور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها الفوز بدار القرار والسرور، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، أشرف آمر ومأمور ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم النشور .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣]

ما هي إلا أيام قلائل ، حتّى تكتمل دورة الفلك ، ويشرق على الدنيا هلال رمضان المبارك ، الذي تهفو إليه نفوس المؤمنين ، وتتطلّع شوقاً لبلوغه ، لتنتظم في مدرسته التي تفتح أبوابها في كل عام ، لتستقبل أفواج الصائمين في كل أرجاء المعمورة .

مع ضجيج الحياة وزحام الدنيا ، مع النزوات العابرة والشهوات العارمة ، تأتي مدرسة رمضان لتعيد للقلوب صفاءها ، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها ، يجول رمضان في أرجاء النفس ، فيغرس بذور الخير والصلاح .

إننا في عصر ينشد المتاع من ألف وجه ، فلنلو الزمام إلى الباقيات الصالحات قال تعالى : ﴿ وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٦] ، كنا نودّع شهر رمضان الماضي ، وكأن صفحاته قد طويت قبل أيام ، واليوم يستقبله المسلمون بعد مرور عام .

عام مضى ذهبت لذته ، وبقيت تبعته ، نُسيت أفراحه وأتراحه ، وبقيت حسناته وسيئاته ، نعم ستنقضي الدنيا بأفراحها وأحزانها ، وتنتهي الأعمار على طولها وقصرها ، ويعود الناس إلى ربّهم بعدما أمضوا فترة الامتحان على ظهر الأرض : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ ﴾ [الأعراف : ٢٩ - ٣٠] ، ثم تصبح الدنيا ذكريات ، وهنا من ينتظر رمضان على أمل ولا يدرى فقد يباغته قبل ذلك الأجل قال تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

إن بلوغ شهر رمضان نعمة عظيمة ، ومنة جسيمة على من أقدره الله عليه ، فاللهم سلّمنا إلى رمضان ، وسلّم لنا رمضان ، وتسلّمه منا متقبلاً يا رحمن .

نبشّركم - **إخوة الإسلام** - بأشرف الشهور ، والذي يأتي بعد طول غياب ، ويفد بعد فراق ، نبشّركم كما كان المصطفى ﷺ يبشّر أصحابه فيقول : « **أَتَاكُمْ رَمَضَانُ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ** » أخرجه النسائي والبيهقي .

كيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة ؟

كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار ؟

كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل الله في الشياطين ؟

شهر لا تحصى فضائله ولا يحاط بفوائده .

لقد كان رمضان غرة في جبين تاريخ أمتنا كلّ عام ، قد كان شهر الفتوح ، فهناك غزوة بدر ، وفتح مكة ، وفتح الأندلس ، وحطين إلى غير ذلك ، إلا أنه في زماننا من يطمس نور رمضان ، ويزيل بهاءه ، ويفسد ثمرته ، وينقض حكمه بأحوال يرثى لها ، فمن الناس من ينشط في شهر الصيام والقيام للسفر والسياحة ، ومنهم من يهرب في شهر القرآن من

الجو الرمضاني مبارزاً الله بالمعاصي والغواية ، ومنهم مَن همّه كيف يفرغ النهار للنوم ، والليل للسهر واللهو ، ومنهم من يمتهن هذا الشهر بسلوكيات مشينة ، فتعامله غلظة وفظاظة ، وحديثه غيبة ونميمة : « **رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلا الْجُوعُ** » أخرجه ابن ماجه .

كيف يستقبل هذا الوافد القريب ؟

يستقبل رمضان بتهيئة القلوب ، وتصفية النفوس ، وتطهير الأموال ، والتفرغ من زحام الحياة .

أعظم مطلب في هذا الشهر : إصلاح القلوب ، فالقلب الذي ما زال مقيماً على المعصية يفوّت خيراً عظيماً ، فرمضان هو شهر القرآن ، والقلوب هي أوعية القرآن ، ومستقر الإيمان ، فكيف بوعاء لوّث بالآثام كيف يتأثّر بالقرآن ؟

وهذا هو التفسير لحالنا ، وحال أناس ينتظمون في الصلاة ، وسرعان ما يتسرّب إليهم الملل ، وتتملّكهم السآمة وآيات الله - التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله - تطرق أسماعهم ، ذلك أن القلوب القاسية لم تطهر لاستقبال كلام الرحمن .

قال الحسن البصري رحمه الله : « لو طُهِّرت قلوبكم ، ما شبعت من كلام ربكم » .

أخي المسلم :

قدّم بين يدي رمضان توبة صادقة تصلح القلب ، وتجلب الرحمات والخيرات قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨] .

إن شهر رمضان هو شهر المغفرة والتجاوز عن الخطيئة ، والشحناءُ والقطيعة من موانع المغفرة الشديدة ، لذا يستقبل رمضان بتهيئة النفوس وتنقيتها من الضغائن والأحقاد التي خلخلت العرى وأنهكت القوى ، ومزقت المسلمين شرّ ممزّق ، فالذي يطلّ عليه رمضان عاقاً لوالديه ، قاطعاً لأرحامه ، هاجراً لإخوانه ، أفعاله قطيعة ، دوره في المجتمع النميمة، هيهات .. هيهات .. أن يستفيد من رمضان قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ

وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

تُرَسّخ حقيقة الصيام الفضائل الجليلة ، طبعاً لا تصنعاً ، وسجية لا تكلفاً ، وتبقيها لازمة لا تفارق ، وصافية لا تكدر .

فهلا جعلنا هذا الشهر الكريم انطلاقة للسمو والترفع عن سَفْساف الأمور ، والحذر من كل ضلالة وزور

اللهمَّ وفّقْنا ، وطهِّر قلوبنا ، وأصْلِح ذات بيننا ، واهْدِنَا سبل السلام

رمضان شهر الموالاة للمؤمنين ، والمواساة للفقراء والمساكين .

من حكم رمضان أن يتفاعل المسلم مع إخوانه في شتى البقاع ، ويتجاوب مع نداءات الفقراء والضعفاء ، متجاوزاً بمشاعره كل الفواصل، متسلقاً بمبادئه كل الحواجز ، يتألم لآلامهم ، يحزن لأحزانهم ، يشعر بفقرائهم ، مبتدءاً بالموالاة والمواساة من بيته وموطنه ولإخوانه من بني جلدته وصحبه وأقاربه يستقبل رمضان بنفس معطاءة ، ويد بالخير فياضة، ويبسط يده بالصدقة والإنفاق : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

إن شهر رمضان هو شهر النفحات ، والرحمات والدعوات ، والمال الحرام سبب البلاء في الدنيا ويوم الجزاء ، لا يستجاب معه الدعاء ، ولا تفتح له أبواب السماء ، لذا يستقبل رمضان بتطهير الأموال من الحرام ، فما أفظعها من حسرة وندامة ، أن تلهج الألسن بالدعاء ولا استجابة ، وربنا تبارك وتعالى يقول : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فانظر في نفسك ، وابحث في بيتك ، وأدخل يدك في جيبك ، وتطهّر من كل مال حرام ليس من مالك ، حتّى تقف بين يدي الله بقلب خاشع ومال طاهر ، ودعاء صادق ، يصعد في الفضاء ، وتفتح له أبواب السماء

أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** » .

إن الذين يستقبلون رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان ، وتهذيب الخلق ، وتقوية الإرادة هم الذي يستفيدون منه ، فيجدون في نهاره لذة الصابرين ، ويجدون في مسائه وفي ليله لذة المناجاة في ساعاتها الغالية ، هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان ، وتغلق عنهم أبواب النيران،

وتتلقاهم الملائكة ليلة القدر بالبشر والسلام ، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفوراً لهم ، مكفرة عنهم سيئاتهم ، مجلوة قلوبهم ، مجددة بقوة الإيمان عزائمهم ، قد مسح الصيام عن جبينهم وعثاء الحياة ، وأزال عن أجسامهم غبار المادة ، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة ، ومحا عن إرادتهم الوهن والتردد ، ودفع عن أنفسهم الحيرة والفتور ، وغذّى إيمانهم بالقوة والنور .

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ** » رواه أحمد .

وعن سعد بن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ : الرَّيَّانُ ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ** » رواه البخاري .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي اختار للخيرات أوقاتاً وأياماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كتب المغفرة لمن صام رمضان إيماناً واحتساباً ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله للناس إماماً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما ذكره الذاكرون قعوداً وقياماً .

أما بعد :

فاتقوا الله - **عباد الله** - حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣]

لقد جنى أسلافنا ثمار الصوم ، كان نهارهم نشاطاً وإنتاجاً وإتقاناً ، وكان ليلهم تزاوراً وتهجّداً وقرآناً ، وكان شهرهم كلّه تعلّماً وتعبّداً وإحساناً ، ألسنتهم صائمة ، فلا تغلو برفث أو جهل ، وعيونهم صائمة فلا تنظر إلى حرام أو فحش ، وقلوبهم صائمة ، فلا تعزم على خطيئة أو إثم ، وأيديهم صائمة ، فلا تمتد بسوء أو أذى .

أما المسلمون اليوم فمنهم من اقتدى بأولئك السلف الصالح ، فاتخذوا رمضان موسماً لطاعة الله ومضاعفة الخيرات ، صاموا نهاره ، فأحسنوا

الصيام ، وقاموا ليله ، فأحسنوا القيام .

ومنهم من لم ينتفع برمضان ، ولم يستفد ممّا فيه من صيام وقيام .

جعله الله تعالى للقلب والروح ، فجعلوه للبطن والمعدة .

جعله الله للحلم والصبر ، فجعلوه للغضب والبطش .

جعله الله للسكينة والوقار ، فجعلوه شهر السباب والشجار .

جعله الله تعالى ليغيّروا فيه من صفات أنفسهم ، فما غيّروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم .

جعله الله تعالى تهذيباً للغني الطاعم ، ومواساة للبائس المحروم ، فجعلوه معرضاً لفنون الأطعمة ، والأشربة يزداد الغني فيه تخمة والفقير حسرة .

جاء أبو أمامة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ ، فقال : « **عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ** » رواه النسائي .

وعمدة الحديث قول المصطفى ﷺ في المتفق عليه : « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » ، وقوله ﷺ : « **مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا** » رواه البخاري .

فما بالك بصوم شهر رمضان كله .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

لبيك اللهم لبيك
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أمر خليله ببِنَايَةِ البيتِ الحرام ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وخيراته الجسام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُبَرَّأَةً من الشرك والكذب ، والجهل وتطرُّق الأوهام ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من صلّى وصام ، وطاف بالبيت الحرام ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، والأئمة الأعلام ، وهداة الأنام ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فاتقوا الله حقّ التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

عباد الله :

جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وابنها إسماعيل ، وهي تُرضِعه حتى وضعهما بمكة ، في تلك البقعة المُقْفِرَة ، والأرض الموحشة ، وبين الجبال

المصمتة ، بـواد غـير ذي زرع ، ثـم مَضَـى إبراهيـم منطلقـاً ، فتبعتـه أم إسماعيل فقالت : « يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي لا أنيس ولا شيء ؟ فقالت له مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : آاللهُ أمـرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يُضَيِّعنا الله » ، بكلِّ صدقٍ وتوكُّلٍ على الله .

« إذاً لا يضيعنا الله » فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمـين - اذهـب واترك المرأة ورضيعها فربها لـن يضيعهـا - فـالحفظ ليس بكـثرة الأمـوال والأولاد ، بل في صدق التوكُّل والاعتماد وسؤال الله التوفيـق والسـداد ، وما أعْظَمَه لو تحقَّق في قلوبنا وقلوب العباد ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم عليه السلام ثم دعا : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

وجعلت أمُّ إسماعيل ترضع ولدها وتشرب من ماء كان معهـا ، حتـى إذا نفد ما في السِّقاء ، عطشت وعطش ابنهـا ، فجعـل الرضيـع يتلـوّى ، يطلب الماء لِيَتَرَوَّى ، فقامت على الصَّفا ، ثم أتت المروة سبع مرات ، إلى أن سمعت صوتاً فقالت : صَه ، ثم تَسَمَّعَتْ فإذا هـي بـالملك عنـد موضع

زمزم فبحث – جبريل – بعقبه حتى ظهر الماء ، فجعلت تَحُوضُه بيدها وتَحْبسُه فقال جبريل : دعيه فإنها رَوَاء ، أي : كثيرٌ مُرْوٍ .

ورحم الله أم إسماعيل كما قال المصطفى ﷺ : « **لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا** » رواه البخاري ، وفي رواية : « **لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا** » رواه البخاري ، وفي هذا يقول المصطفى ﷺ : « **مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ** » رواه ابن ماجه وأحمد ، وأخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « **فإن شربته تستشفي به شفاك الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله** » .

ثم قال لها الملك : « لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله ، يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

عباد الله :

ويستجيب الله دعاء الخليل : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾، فإن الناظر إلى أرض الحرمين في موسم الحج يرى عجباً ، ويزداد لوعة وشوقاً ، وهو يتأمّل مواكب الإيمان ، وقوافل عباد الرحمن ، جاؤوا عن رغبة وطواعية ، ألسنتهم تلهج داعية ، أعينهم باكية ، تسأل الله الرحمة والعافية ، هديرهم تكبير ، حديثهم تسبيح ، نداؤهم تلبية ، دعاؤهم

تهليل ، مشيهم عبادة ، زحفهم صلاة ، سفرهم إلى الله والـدار الآخـرة ، وغايتهم رضوان الله ومغفرته ، تركوا الديار والبلاد ، والأهـل والأولاد ، واجتازوا الصعب والمهاد ، ترى مظهـراً مـن مظـاهر العبوديـة الخالصـة لله رب العالمين .

تمـر السـنون ، تتـوالى القـرون ، ووفـود الله يـتزايدون في لقـاء إيمـاني واجتماع سنوي ، يقدمون من أماكن بعيدة ، وبلدان سحيقة ، ومن كـل فج عميق ، إلى واد غير ذي زرع ليـس فيـه مـا يسـتهوي النفـوس ، كـل ذلك استجابة لله قائلين : « لبيك اللهم لبيك » .

والعبودية لله من أعظم ما يحصّله العبد مـن المنـافع والفوائـد ، وكفـى بهذا شرفاً وفضلاً .

حجاج بيت الله :

حجّ المصطفى ﷺ حجّة جموع ودموع ، حيث تقاطرت الوفـود مـن كل فج ، لتنال شرف الصحبة والحج مع رسول الله ﷺ الذي حث على العجّ والثجّ .

وفي يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة ، نزل قـول الله تعـالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣]

وعندما سمعها عمر ﷺ بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : « إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان » ، وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ ، وسميت حجة الوداع ، ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ، ولا ندري ما حجة الوداع » .

وكان يقول : « **إِنِّي وَاللَّهِ لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا** » رواه الدارمي ، وكان ﷺ يقول في كل موطن :« **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ** » رواه مسلم

« **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ** » : وصية لكل حاج أن يتعلم أحكام الحج قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣]

« **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ** » : وصية لكل من شرّفهم الله بمباشرة خدمة الحجيج ، أن يتقوا الله فيهم ويسلكوا بهم هدي المصطفى ﷺ ، إحراماً وتفويجاً ، إفاضة ومبيتاً ، طوافاً وسعياً ، نصحاً وإرشاداً ، بيعاً وشراء .

أن يحسنوا الاستقبال ، ويؤدّوا الواجب بلا استغلال بالكلمة الطيبة ، فالكلمة الطيبة صدقة ، وتبسّمك في وجه أخيك صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة .

﴿ **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ** ﴾ : وصية لكل حاج ليعلم أن الحج نسك وعبادة ، وموسم خير وطاعة ، فعرفة ومنى ومزدلفة وأم القرى ، يترفّع فيها الحاج وكذا في كل مكان وزمان ، يترفّع عن المنازعات والشعارات ، أو الدعوى بدعوى الجاهلية وإثارة النعرات ، ويحذر التهم الباطلة وترويج الإشاعات ، فهذه أرض المشاعر ، وحريّ بالمسلم أن يحقق فيها أطيب الأخلاق والمشاعر .

إخوة الإسلام :

إن المتأمّل في أعمال الحج ، يستلهم دروساً خالدة ، ومعانيَ سامقة منها :

تعوُّد المسلم على الاستسلام لله ، والاستجابة والخضوع له والطاعة، فهاجر تقول لخليل الله عليه السلام : « آاللهُ أمرك بهذا ؟ قال : نعم » ، فأعلنت استسلامها ، وأذعنت لأمر بها ، وخضعت لخالقها قائلة : « إذاً لا يضيعنا الله » ، وأكرم بها من طاعة ، في أرض مقفرة لا أنيس ولا ماء، ولا طعام ولا أخلاء .

ويأمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ، حين بلغ السن التي يفرح فيها الوالد بولده ، ولو أمر غيره بالذبح ، لكان أهون فكيف إذا كان الذابح للولد أباه ؟

ويعرض الخليل الأمر على ابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢]

ويعلن الجميع استجابتهما وانقيادهما وخضوعهما .

وبهذه المواقف يُلقي إبراهيم وزوجه وابنه درساً للأجيال خالداً ، وعلى مر العصور قائماً ، نتعلّم فيه كيف يكون الاستسلام لله والطاعة والخضوع والاستجابة .

وتأتي أعمال الحج لتركّز هذا المفهوم ، وتعمّق هذا المدلول ، فهناك يقف الحاج في عرفة ولو تأخّر عنها أو تقدّم بطل حجه ، ويطوف حول الكعبة وهي أحجار مغطّاة بستار ، ويقبّل الحجر الأسود الذي لا يضرّ ولا ينفع ، يؤدّي ذلك ليتربّى على الاستسلام والاستجابة ، ويتعوّد على الخضوع والطاعة ، قائلاً في كل نسك ، وفي كل أمر ونهي : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » حتى إذا عاد إلى بلده وبيته ، في عمله وتعامله وسمع الأوامر الإلهية ، والزواجر الشرعية قال : « لبيك اللهم لبيك » ، يعلنها في سائر شؤون حياته ، كما كان يصدح بها على صعيد عرفات ، إذ كيف يستجيب لله في تقبيل حجر ، ولا يستجيب فيما يجلب الخير ويدفع الضرر .

إذا سمع : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أرخى لها سمعه ، واستحضر قلبه ، مستسلماً لله خاضعاً ، ومنقاداً لأمر الله ، فهو إما خير يؤمر به ، أو شر ينهى عنه .

إذا سمع ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ [المائدة : ٩٠]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ﴾ [الحجرات : ١٢]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١]

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨]

﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾ [الحجرات : ١٢]

وهكذا كلما سمع أمراً ربانياً ، أو توجيهاً نبوّياً ، قال دون تلكؤ وتردُّدٍ : « لبيك اللهم لبيك » ، قال دون أن يعرض الأمر على العادات والتقاليد ، أو يستجيب لأهواء العبيد : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فلا مناص - عباد الله ، حجاج بيت الله - من أن تطيعوا ، لا أن تعرّضوا أوامر الله للتضييع والتمييع قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِن نَكِيرٍ ﴾ [الشورى : ٤٧] .

أمة الإسلام :

ومن معاني الحج العظيمة ، وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم ، يجتمعون في مكان واحد ، وفي زمن واحد ، على تباعد ديارهم ، وتباين ألوانهم ، واختلاف ألسنتهم ، تجرّدوا من ثياب الزينة ، وطهَّرُوا قلوبهم من الضغينة .

هاهم على صعيد عرفات : الأسود والأبيض ، الأحمر والأصفر جميعاً مسلمون ، بربّ واحد يؤمنون ، وببيت واحد يطوفون ، ولكتاب واحد يقرؤون ، ولرسول واحد يتبعون ، ولأعمال واحدة يؤدّون ، فأي وحدة أعمق من هذه ، كلهم في مظهر واحد .

فما أعظم وأحوج المسلمين أن يحقّقوا وحدة المظهر والمخبر ، والظاهر والباطن .

حتى لا يتلصّص بين الصفوف عدو مشاحن ، وذو ضغن مواحن حتى لا تنفتح الأسماع ، لأضم حسود ، ووغِم حقود ، حتى تتطهّر النفوس ويصبح صف المسلمين كالبنيان المرصوص ، ومهما علت النداءات ، وتكررت الخطابات ، لتحقيق الوحدة الإسلامية ، فلن تتمّ دون أن نحقق مقوماتها ، ونوجد أركانها ، ومنها : تصحيح المنهج والمسار والسير على هدي سيد الأبرار ، وحب الصالحين الأخيار .

هذا واقع المسلمين لما تفرّقوا ، تأمّل أحوالهم ، وقد تبدّد شملهم ، تفرّق جمعهم ، تباين أمرهم ، اختلفت آراؤهم ، تنافرت قلوبهم ، تمزّقت ألفتهم ، خمدت نارهم ، وركدت ريحهم ، بل أصبحوا غثاء كغثاء السيل ، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

وأفظع من هذا وأعظم أن ترى الدماء الجارية من أجساد المسلمين الطاهرة بأيد مسلمة .

ونتساءل بكل حيرة وعجب ! أيقتل المسلم أخاه المسلم بلا سبب ؟ هذا الذي كان يمتنع حال إحرامه عن قتل الصيد في الحرم ، بل عن تنفيره وإثارته ، وهناك تراه يسعى لقتل أخيه وإبادته ، دون وازع من دينه وإيمانه وعبادته .

قلِّب بصرك أنَّى شئت تَرَ العَجَبَ العُجاب ، ولن ينفع العويل ، ولا الصراخ والعتاب .

ولقد بيَّن الرسول ﷺ حُرمة المسلم للأمة ، حذراً من نوازل مدلهمة ، وذلك في خطبة حجة الوداع العظيمة فقال : « **فَـإِنَّ دِمَـاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُـمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا** » رواه البخاري .

وفي الحديث قال ﷺ : « **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ** » أخرجه الترمذي .

لا يتسع المقام لاستقصاء الدروس ، ففي كل نسك من هذا الركن العظيم مغزىً ، وعلى كل بقعة معنىً ، ولعل ما ذُكِرَ تتمُّ به السلوى قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا تنفعه الطاعة ولا يضره العصيان ، أحمده سبحانه وأشكره على جميع الفضل وعظيم الامتنان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخذ بحجز العباد عن النيران ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل .

عباد الله :

ما زلتم ترفلون في موسم من مواسم الخير العظيمة ، والأيام الفاضلة ، هي للطائفين مغنم ، وللصالحين ميدان للتنافس ومتجر .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ ، قَالُوا : وَلا الْجِهَادُ ؟ قَالَ : وَلا الْجِهَادُ إِلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ** » أخرجه البخاري .

وأخرج أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « **مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ** » .

فالسعيد من اغتنم مواسم الأيام والشهور ، والساعات والدهور ، وتقرب فيها إلى مولاه بالطاعات ، فعسى أن يصيبه شيء من تلك النفحات ، يسعد به سعادة يأمن بعدها من اللفحات .

والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه ، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ولا يتأتى ذلك في غيره .

ويسن التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح أيام العشر ، وإظهار ذلك في المساجد والمنازل والطرقات ، وكلّ موضع يجوز أن يذكر فيه اسم الله ، يجهر به الرجال وتخفيه المرأة ، إظهاراً للعبادة ، وإعلاناً بتعظيم الله تعالى قال تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [الحج : ٢٨] .

والتكبير في أول العشر صار من السنن المهجورة ، فقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبّران ويكبّر الناس بتكبيرهما ، والمراد أن الناس يتذكّرون التكبير ،

فيكبر كل واحد بمفرده ، والتكبير في الأضحى مطلق ومقيد ، فالمقيد عقيب الصلوات ، والمطلق في كل حال في الأسواق وفي كل زمان .

إن يوم عرفة يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، ويوم عيد لأهل الموقف ، حيث لا ترى فيه إلا عابداً يتبتل ، أو مؤمناً يخشع ، ومصلياً يركع ، وتائباً ذا عين تدمع ، تغسل فيه الآثام ، وتمسح الخطايا ، وتمحى السيئات .

وخُص من بين أيام العشر بمزيد فضل فرتب الشارع على صيامه لغير الحاج فضلاً عظيماً وأجراً جزيلاً ، فقد ورد عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم عرفة فقال : « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** » أخرجه مسلم .

فاغتنموا مواسم الخيرات ، وانهلوا من معين القربات ، لتنالوا رحمة رب الأرض والسموات .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

ذكر الله تعالى

الخطبة الأولى

الحمد لله العظيم في قدره ، العزيز في قهره ، العالم بحال العبد في سره وجهره ، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل نعمه وفضله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقامة لذكره ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالبر إلى الخلق في بره وبحره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ما جاء السحاب بقطره وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢]

يسمو المسلم لتزكية نفسه ورفع شأنها عند بارئها بذكر الله تعالى ، هو قوت قلوب القوم ، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً ، وعمارة ديارهم الذي إذا تعطلت عنه صارت بوراً ، هو سلاحهم الذي يقاتلون به قطّاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفؤون به التهاب الحريق ، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب ، به يستدفؤون الآفات ، وتهون عليهم به الكربات ، إذا أظلّهم البلاء فإليه ملجؤهم ، وإن نزلت بهم النوازل ، فإليه مفزعهم ، هو رياض جنتهم ، فيها يتقلّبون ، رؤوس أموال سعادتهم ، بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويسقيه فرحاً وحبوراً ، به يزول الوقر عن الأسماع ، والبَكَم عن الألسن ، والظلمة عن الأبصار ، زيّن الله به ألسن الذاكرين ، كما زيّن أبصار الناظرين .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : « تفقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذكر ، وفي قراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فالباب مغلق » ، وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : « ما تلذّذ المتلذّذون بمثل ذكر الله عزّ وجلّ ، فليس شيء من الأعمال أخفَّ مؤونة منه ، ولا أعظم لذّة ، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب » .

أفضل الذاكرين رسول الله ﷺ ، لا يفتر عن ذكر ربّه ، ولا يسأم من طاعته ، ولا يأنس بغيره ، إذا ذكر الله خشع قلبه ، ولان فؤاده ،

واقشعرَّ جسده ، وأسبل الدمع مدراراً يقول لابن مسعود رضي الله عنه : « **اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] **قَالَ : حَسْبُكَ الآنَ ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ** » رواه البخاري .

كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكراً لِلَّه تعالى ، بل كان كلامُه كلُّه ذِكراً أو ما والاه ، وكذا أمره ونهيه ، تشريعه للأمة ، سكوته وضحكه ، كان ذكر الله يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً وعلى جنبه ، وفي مشيه وركوعه، ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته ، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ » .

وكذا كان أصحابه عليه الصلاة والسلام يحيون مجالس الذكر ، وتنهمِرُ عيونهم بالدمع ، يحرصون على الأذكار السُّنِّية ، ويستشعرون معانيها السَّنِيَّة ، وهذا الصحابي الجليل العرباض بن سارية رضي الله عنه يصف حالهم في مجلس من مجالس الذكر فيقول : « وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ... » رواه الترمذي .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الحج : ٣٤ - ٣٥] ، وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وما يحصل عند الذكر المشروع من البكاء ووجل القلب واقشعرار الجسوم ، فمن أفضل الأحوال التي جاء بها الكتاب » .

قال تعالى عن أنبيائه الكرام ، عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ [مريم : ٥٨]

هذه العين الجارحة إن كانت دامعة باكية ، فإنّ النّار لن تمسّها كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ أخرجه الترمذي وغيره .

« **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ** - ومنهم - **وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » رواه البخاري ومسلم .

فإذا أتيت بذكر نبوي مشروع ، وانهمرت من العين الدموع ، فهنيئاً لِعينك عيناً لن تمسها النار بإذن العزيز الغفور .

والسر في ذلك : أنّ من يبكي بكاء حقيقياً في خلوة ، قلّما يقع في منكر ، وإذا فرطت منه السيّئة ، عاد فأتبعها غالباً بالحسنة ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤]

قرأ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ قوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ [مريم : ٥٨] ، فسجد وقال : هذا السجود فأين البكي .

إننا نشكو قسوة قلوبنا ، وجفاف دموعنا ، وانشغالنا بعيوب غيرنا عن عيوبنا .

شكا رجل قسوة قلبه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال : « أَذِبْهُ بذكر الله تعالى » .

أمَّا مَن كثر في الدنيا شغله ، وازداد فيها هَمُّه ، ونصَبُ بدنه ، صار معقودَ اللسان عن الذكر ، مقيّد الجوارح عن الطاعة ، من قلبه في كل وادٍ مسغبة ، ومن عمره لكل شغل حِصة .

وقـال تعـالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩] ، وقال ﷺ : « **مَا من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلاّ حَسِر عليها يوم القيامة** » .

وعـن أبـي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : « **مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ إِلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً** » رواه أحمد .

وإحيـاء للقلـوب ، وتزكيـة للنفـوس ، وتحصينـاً للعبـاد ، وإرغامـاً للشيطان وتسخيراً للجوارح في طاعة الله ، جاءت هذه التوجيهات القرآنية ، ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤١] ، اذكروه باللسان والقلب والجوارح ، لسان يلهج بالذكر ، وقلب يجول بالتدبّر والتفكّر ، وجوارح مستغرقة في الطاعة في السر والجهر .

ليس الذاكر مَنْ هَمْهَمَ بلسانه ، وقلبه مصرّ على الذنوب ، أو هزّ رأسه دون خشية علاّم الغيوب ، فما قيمة حركة الشفتين والقلب وسنان ، وما أثر الهمهمة في فؤاد نعسان .

الذاكر الله إذا جلس في سوقه ، وأخذ يزن بميزانه ، علم أن الله

مطّلع عليه ، فلم يأخذ إلاّ حقاً ، ولم يعط إلاّ حقاً ، يذكر الله في بيعه وشرائه ، وأخذه وإعطائه ، على كل أحواله بالليل والنهار ، في البر والبحار ، في الصحة والسقم ، في العلن والظُّلَم ، إذا أخذ العبد مضجعه، وعند استيقاظه ، وعند الشدائد والأهوال ، فلا يبقى منه عضو إلاّ وهو ذاكر الله في المعنى ، إن امتدّت يده إلى شيء ذكر الله ، فكفّها عمّا نهى الله عنه ، وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله ، فوقف عن السعي بها ، إلاّ فيما يرضي الله ، وإذا طمحت عينه إلى شيء ، ذكر الله فغضَّ بصره عن محارم الله ، وكذا سمعه ولسانه وجوارحه كلُّها .

طَهَّرَ الذكر قلبه من انتهاك المحارم ، وروعه عن اقتراف المآثم ، وأخلاه عن اجتراح الآثام .

ذكر الله يجعل من الضعف قوّة ، ومن الوهن عزة ، ومن التردد إقداماً وقدرة قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣]

إذا ادلهمَّت الخطوب ، واحتار العبد ماذا يسلك من متشابك الدروب ، فزع إلى الصلاة ، وذكر الله .

ذَاكِرُ اللهِ إذا فاته وِرده وَجَد لفواته ألماً أعظم من تألُّم المريض بِفَوَاتِ ماله وفقده .

وفي الأذكار النبوية الثابتة عن النبي ﷺ فوائد كثيرة ، ولطائف دقيقة، وحكم فريدة ، وأسرار عجيبة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « من أشد الناس عيباً من يتّخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ ، ويدَعُ الأحزابَ النبوية التي كان يقولها مَن أُعْطِيَ مفاتيحَ الكلمة سيِّدُ بني آدم وإمام الخلق وحجّة الله على عباده » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وأسرار كلماته وأدعيته ﷺ فوق ما يخطر بالبال » .

أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ : « **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى** » ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ؟ قَالَ : « **لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** » أخرجه الترمذي .

اللهم أَعِنَّا على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا يدوم غيره ، ولا يرجى إلاّ خيره ، يُبْدِئُ ويعيد ، وهو الغفور الودود ، فعَّال لما يريد ، نحمده تعالى ونشكره على كل حال، ونستعينه ونذكره ، وهو الكبير المتعال ، ونتوب إليه ونستغفره ، وهو الغني الحميد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء ، ونشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الصِّيدِ ، وعلى التابعين لهم بإحسان في صالح الأعمال والأمر الرشيد .

أما بعد : فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢]

عباد الله :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « الذاكر في حصن الذكر ، فمتى غفل فتح باب الحصن ، فولجه العدو ، فيعسر عليه ويصعب إخراجه ، ولما غفل أهل الذكر وفُتِح باب الحصن ، تسلَّل الشيطان إلى البيوت فأفسد فيها ، وإلى القلوب فدنَّسها ، وإلى الأبدان فأسقمها ، فهذا به مسّ ، وذاك مصروع ، وثالث أصابته عين حاسد أو حقود ، لجأ بعضهم إلى

المشعوذين فزادهم رهقاً ، وتزاحم آخرون على أبواب القراء لحل السحر ودفع البلاء حتى تعلق بهم البسطاء » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤١]

في عالم مليء بالمصائب والفتن والمصاعب والمحن ، ينتشر اضطراب الأعصاب ، وينشأ مرض الكآبة ويتسرَّب المَلَل إلى نفوس ضعيفة ، أصابها الملل حتى من الحياة ، فهربوا إلى المخدّرات ، وأفسدوا قلوبهم بالمهلكات فازدادوا ضياعاً ، وأتخموا تيهاً والتياعاً ، ضيق وملل وأعراض ، أمرها جلل ، والسبب خراب القلوب ، عالم لا يذكر الله ، أو يذكره قليلاً ، فلا نجاة من هذا العذاب ، ولا سكينة لهذا الاضطراب ، ولا طمأنينة للقلوب الحائرة التائهة العطشى ، إلا بذكر الله ذكراً كثيراً .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

فإذا تشبَّث العبد بذكر الله تراه وقد انحسرت غمومه ، وانقشعت

همومه ، واستقرّت أحزانه ، وجفل كربه ، وسرى عنه حزنه .

فيا من ضاع قلبه انشده في مجالس الذكر عسى أن تجده ، ويا من مرض قلبه احمله إلى مجالس الذكر لعلّه أن يعافى .

إن كثيراً من المرضى فشلت العقاقير الطبية في علاجهم ، فلما اتّجهوا إلى الصلاة ، وذكر الله ، برأت عللهم وشفى الله أمراضهم ، كيف لا يشفون ، والله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل الآخر، ينزل كل ليلة نزولاً يليق بجلاله ، فيقول : « **مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ** » رواه البخاري .

روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّهِ : التَّسْبِيحَ ، وَالتَّهْلِيلَ ، وَالتَّحْمِيدَ ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ** » أخرجه ابن ماجه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً فقال : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا الَّذِي تَغْرِسُ ؟ قُلْتُ : غِرَاسًا لِي ، قَالَ : أَلا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا ، قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ** » أخرجه ابن ماجه .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

القلب وأمراضه
الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فإنّ من اتّقاه وقاه ، ومن أحسن جزاه ، ومن شكره زاده .

إن أشرف ما في الإنسان قلبه ، فإنه العالم بالله ، العامل له ، الساعي إليه ، وإنّه بمثابة القائد للأعضاء ، يديرها ويصرفها ، فتنقاد له على ما يريد منها ، جعل الله هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها للخير والرشاد، وشرها أوعاها للشر والفساد .

ردعها عن شهواتها التي في نيلها رداها ، ومنعها من الركون إلى لذاتها لتنال نصيبها من كرامته وثوابه موفوراً كاملاً .

القلب مقر الإيمان قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فمن الناس مَن نُورُ لا إله إلا الله في قلبه كالشمس ، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري ، وآخر كالمشعل العظيم ، وآخر كالسراج المضيء ، وآخر كالسراج الضعيف ، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم بين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً .

وكلما اشتدَّ نور هذه الكلمة وعَظُم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته .

إن للقلب حياةً كما أنَّ للجسد حياة ، والمحافَظَة على حياة القلب أولى من المحافظة على حياة الجسد ، وطاعة الله لازمة لحياة القلب ، والقلب يَمْرَض كما يَمْرَض الجسد ، وكما أنَّ الأطعمة المسْمُومة تضرّ بالجسد ، فكذلك المعاصي تضرّ بالقلب وتفسده .

فإذا هبّت رياح الشهوات والشبهات ، وماجت أعاصير الفتن في غفلة من القلب وسهوه ولهوه ، تسلَّل الشيطان ففرَّخ فيه أمراضاً وبيلة ، وجعله مرتعاً لأدواء خفِيَّة خبيثة من جهل ونفاق ، وحقد وحسد ، وكبر وغرور ، وعُجب وهوى ، وكذب وسوء ظن إلى غير ذلك .

فيا عجباً من الناس يبكون على من مات جسده ، ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد ، لذا تمايزت القلوب إلى ثلاثة أقسام ، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى .

قلب سليم يكون صاحبه مُسْتَسْلِماً لله في أقواله وأفعاله ، وسره وعلانيته ، وظاهره وباطنه ، فهو إن أحبَّ أحبّ لله ، وإن غضب غضب لله ، وإن منع منع لله ، وإن أعطى أعطى لله ، قلب سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، قلب سكنه الإيمان وحلّ فيه اليقين ، لا يميل مع الهوى ، ميزانه الدقيق رضوان الله تعالى ، ومطلبه طاعة ربه الأعلى ، أصحاب هذه القلوب يبحث عنهم ويطلبون ، ففي مخالطتهم دواء ، وفي مصاحبتهم عافية ، وفي مؤاخاتهم نجاة .

وثانيها : **قلب ميت** لا حياة فيه ، إنّه مجرد عضلة نابضة ، لكنها لا تنبض بنبضات الإيمان ، ولا تتدفّق فيها دماء الحياة ، قلبٌ الهَوَى إمَامُه ، والشهوةُ قائِدهُ ، والجهل سائِقُه ، والغفلة مركبه ، مخالطة صاحب هذا القلب سُقْمٌ ، ومعاشرته سمٌّ ، ومجالسته هلاك .

وثالثها : **القلب المريض** الذي يتجاذبه نور إيمان وظلمة شهوات ، فيه إشراقة خير وعواصف أهواء ، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ، والحرب دُوَلٌ وسجال .

وإذا أمعنت النظر في تأريخ الرعيل الأول ، ترى نور الإيمان يشِعُّ في سِيَرِهم ، وينبض في حنايا كلماتهم ، فما عرفوا في دنياهم القلق والعُقَد النفسيَّة والانتحار وانفصام الشخصية ، وما إلى ذلك من رصيد من أمراض القلوب ، قلوبهم مطمئنة متوكّلة ، متذكّرة متفكّرة ، مخبتة هادية، كيف لا وأسماعهم يطرقها نبرات صوت النبي ﷺ في خلوته وجلوته ، وقيامه وقعوده ، في حرص دائم ودعاء دائب : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » ، فَتَقْدُمُ إليه أم سلمة رضي الله عنها قائلة : ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال : « **يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيسَ آدَمِيٌّ إلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** » أخرجه الترمذي وأحمد ، ويقول من حديث المقداد بن الأسود ﷺ : « **لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلابًا مِنَ الْقِدْرِ**

إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَاناً » رواه أحمد .

استوعب الرعيل الأول هذه الكلمات النفسية ، وتيقَّظُوا لأعظم الأعضاء خطراً ، وأكثرها أثراً ، وأشقّها إصلاحاً ، فإذا مسَّ أحدَهُم طائفٌ من الشيطان ، واعْتَرَتْهُ عِلَّةٌ بادر إلى تطهير نفسه ، وتنقية قلبه ، فهذا رجل من الصحابة يَعْرِض الدَّاء على طبيب القلوب محمدٍ ﷺ فيقول له : « **إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ** » رواه أحمد .

كانوا يضيؤون مصابيح قلوبهم بالعلم النافع ، ويُمِدُّونَها بالغذاء المفيد الدائم ، قال سعيد بن جبير رحمه الله : « لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي » ، ويجلس أحدهم إلى قبر متأمّلاً أحوال ساكنه حتى يبكي ، فلما سئل عنه قال : « إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة » .

كانوا يَحْذَرُون مواطن العَطَب ومُسَبِّباتِ القَسَاوة والخلل ، يُجَلِّي ذلك الفضيل بن عياض رحمه الله بقوله : « خصلتان تُقْسِيان القلب : كثرة الكلام وكثرة الأكل » ، ويؤكده ﷺ بقوله : « **وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ** » رواه الترمذي .

حرسوا قلوبهم فحرستهم قلوبهم فحرسهم الله وحرس قلوبهم .

ارتحلوا عن الدنيا بقلوبهم ، حتى نزلوا بالآخرة وحلّوا فيها ، فتذوّقت

قلوبهم حلاوة الإيمان ، ولذة المناجاة ، وعاشوا جنة الدنيا التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « إنَّ في الدنيا جَنَّةً مَنْ لم يدخلها لم يدخل جنَّة الآخرة » .

وقال أحدهم : « إنه ليمرُّ بالقلب أوقات ، إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب » .

ولما غلبت الناس اليوم ماديات الحياة الدنيا وزخرفها ، وتزينت الدنيا بأبهى مظاهر الزينة ، وأظهرت من مفاتنها ما أغرى النفوس والقلوب ، فتهافتت عليها من كل ناحية وصوب ، لاهِثَةً رَاغِبَةً حتَّى تربَّعت الدنيا في القلوب ، واستولت على سويدائها ، وعصفت بالقلوب الأهواء ، فأطفأت مصابيحها ، وأصيبت القلوب بالهزيمة والضعف ، وسرت في أوصالها أمراض تعمَّقت مع قلة الديانة ، وتورَّمَت مع نَقْصِ المناعة .

فمِن أمراض القلوب النِّفاق الذي غرس بذوره ، وقاد مركبه عبد الله ابن أبي بن سلول ، فترى المنافق يغمرك بابتسامة عريضة ، وبين جوانحه نفس شريرة ، الغدر عادته ، الكذب بضاعته ، الفجور تجارته .

هذا الوباء يستشرى بلا هوادة ، خاصة في قلوب أولئك الذين يُزَكُّون أنفسهم ، ويُبَرِّؤُونها من النفاق ، والصحابي الجليل والخليفة الراشد : عمر بن الخطاب ، وهو من هو صُحْبةً وإخلاصاً ، وعلماً وعملاً ، يناشد حذيفة رضي الله عنهم أجمعين: هل عَدَّنِي رسول الله ﷺ

من المنافقين ؟ فقال : « لا ، ولا أُزَكِّي أحداً بَعْدَك »، وقال ابن أبي مليكة : « أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه »، فماذا نقول نحن ؟

والرياء داء خفيٌّ يتسلّل إلى الأعمال فَيُحْبِطُها ، وإلى المقاصد فيزهقها يزرع في القلوب حُبَّ المحمدة والثناء ، والسعي إلى الصدارة وطلب السيادة ، المرائي يحافظ على محارم الله في الملأ ويتطاول عليها في الخلا ، وإلى هذه السمة يُشِير النبي ﷺ قائلاً : « **لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا .**

قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا » أخرجه ابن ماجه من حديث ثوبان .

ومن أمراض القلب الكِبْرُ ، حيث يرى المتكبر نفسَه أكبر من غيره ، فيشمخ بأنفه ، ويُصَعِّر خده ، ويَلْوِي صفحة عُنُقِه ، ويتشدَّق في كلامه ، ويختال في مشيته ، والرسول ﷺ يقول : « **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** » أخرجه مسلم .

تبلغ أحياناً عراقة النسب وشرف الأصل ، وغزارة العلم ، وعلو المنصب بأصحاب القلوب المريضة إلى العجب ، فيقع في شراك الغرور ، فيُسَفِّه الآخرين ، يحتقر أعمالهم ، يتّهِم نياتهم ، يتحدّث عن نفسه بالإعجاب والرفع من شأنها ، ظانّاً أنه قد بلغ الكمال ، فيُهْمِلَ تزكية نفسِه .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : « إن إبليس إذا ظفر من ابن آدم بإحدى ثلاث قال : لا أطلب منه غيرها : إعجابه بنفسه ، واستكثاره عمله ، ونسيان ذنوبه » .

ولما حضرت الإمامَ الشافعيَّ الوفاةُ ، سأله بعض الأصحاب قائلاً له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فأجابه – وهو الذي وصفه تلميذه أحمد ابن حنبل بأنه كالشمس للدنيا والعافية للناس – أجاب بقوله : « أصبحت عن الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وعلى الله عز وجل وارداً ، ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة ، أو يؤمر بي إلى النار » .

فماذا أنت قائل في تواضع العظماء ، وعظمة المتواضعين .

الهوى داء قلبي ، والذنوب تميت القلوب ، وقد يُورث الذلَّ إدمانُها .

ولما طال الأمد أصيبت القلوب بمرض القسوة ، الذي يَشْعُرُ صاحبه بجفاف الإيمان وفُتور الطاعة وقحْط العين ، يتكاسل عن صلاة الجماعة

والفجر ، وأداء السنن الرواتب ، يهجر القرآن وذكر الله والاستغفار ، يشتغل بسفساف الأمور مما لا يعنيه ، ينهمك في الدعة والترف ، يُدْمِن محقَّرات الأعمال ، يتتبع العورات ، ويفرح بالزلات .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « من وطَّن قلبه عند ربِّه سكَن واسْتَراح ، ومَنْ أَرسله في الناس اضطرب واشتدّ به القلق » .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦]

أخرج مسلم أن حذيفة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »** .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فاتقوا الله حقّ التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

جعل الله لكل داء دواء ، ولكل عِلة شفاء ، وذلك فيما تضمّنته العلاجات النبوية التي تُصِحُّ قلباً مريضاً أوهن المرض أعضاءه وجسده ، وتحيي قلباً ميتاً أفقده المرض حياته وحيويته ، ومن هذه الأدوية :

تحقيق التوحيد الذي يفتح للعبد باب الخير والسرور ، واللذة والابتهاج .

اعتراف العبد بأنه هو الظالم لنفسه .

التوسل إلى الرب جل وعلا بأحب الأشياء وهي أسماؤه وصفاته ، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ : « **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ** » رواه الترمذي .

الاستغاثة بالله وحده ، وأن يُرتع العبد قلبه في رياض القرآن ، ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان ، وأن يستضيء في ظلمات الشبهات والشهوات ،

وأن يتسلى به عن كل فائت ، ويتعزَّى به عن كل مصيبة ، ويستشفي به من أمراض صدره .

ومن الأدوية : التوبة قال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود :٣]

لزوم الطاعات قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧]

الصلاة منهاة عن الإثم ، دافعة لأدواء القلوب ، مَطْردة للداء عن الجسد ، منورة للقلب ، مبيّضة للوجه ، جالبة للرزق ، قامعة لأخلاط الشهوات قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة : ٤٥]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ :** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] » رواه ابن ماجه

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الثبات أمام التحديات المعاصرة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد : فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فهي النجاة وسبيل الفلاح

عباد الله :

إنّ المسلم اليوم يواجِه تحدّيات معاصِرةً كثيرةً ، وتيّارَات فكرِيَّةً ، ومُغْرِياتٍ دُنْيَوِيَّة ، تُحْدِث في نفسه هزات عنيفة ، وتنشئ في العقل الحيرة ، وفي الضمير البلبلة ، وفي الكِيَان الفسَاد ، مع ضعف الثبات ، وتقاطر الشهوات والشبهات يُضْحِي المتمسك بالسّنة متساهِلاً ، والمناصر لها مُنَاوئاً ، وتُصْغِي الفتاة المسلمة بأذنها إلى أفكار دخيلة ، وبجسدها لملابس خليعة ، تكاد أن تهتك حياءها ، فركوم الفتى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

في غياب الثبات على الحق تخبو جذْوَة الإيمان وقد تضعف ، فكم نشيطٍ في الخيرات اعتراه نعاس واسترخى ، وكم باذلٍ نفسه للباقيات الصالحات صدَّته العوائِق ، وعاقته الأشغال ، وكم مثابرٍ في الطاعة قد وهَنَتْ قُواه وخمدت نيرانه .

إن إقبال الدنيا ببريقها وزخارفها من الأموال والأولاد ، والشهادات والوظائف ، والمنصب والجاه ، وتعلّق القلب بها من أسباب ضعف الثبات ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [فاطر : ٥] ، وقال ﷺ : « **فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ** ،

وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » رواه البخاري ومسلم .

في ذهاب الثبات أو ضعفه تتوالى أخبار السقوط والساقطين ، حتى إنها لتكاد تخلع القلب من الخوف .

فتنة النفس والشهوة ، جاذبية الأرض ، الرغبة في المتاع ، صعوبة الاستقامة على صراط الإيمان مع المعوِّقات و المثبطات في أعماق النفس وفي ملابسات الحياة ، تُنْهِك القُوَى ، وتُزَعْزِع الأركان ، وتُضْعِفُ الثبات

وفي تعليق ابن القيم رحمه الله على حديث : « **وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ** » رواه البخاري .

يقول رحمه الله تعالى : « لما كان العمل بآخِره وخاتمته ، لم يصبر هذا العامل على العمل حتى يتمَّ له ، بل كان فيه آفة كامنة ، ونُكتة خُذِل بها في آخر عمره ، فخانته تلك الآفة والداهية الباطنة في وقت الحاجة ، فرجع موجبها وعملت عملها ، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه »

يقول الإمام القرطبي رحمه الله : « اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وما سُمِعَ بهذا ، ولا

عُلِمَ به – والحمد لله – وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل ، أو إصرار على الكبائر وإقدام على العظائم ، فربّما غلب ذلك عليه حتى ينزلَ به الموتُ قبل التوبة » انتهى .

وحذراً من كَبْوة ليس بعدها انتعاش ، ومزلة يعقبها خسران ومذلة ، كان يلهج رسول الله ﷺ في كل أحواله بهذا الدعاء : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك ؟ قال : « **يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** » فتلا معاذ ﷺ : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾[آل عمران:٨] أخرجه الترمذي وأحمد .

الثبات على الحقّ هو مصدر الطاقات المتجدِّدة ، بل هو الحارس الحامي لصاحبه من الزلل والسقوط .

بالثبات يستطيع الفرد والمجتمع أن يعيش ويستمرّ ، ويرتقي ثابتاً على أصوله وقِيَمِه ، منتهياً إلى أسمى غاياته ، وكُلَّما فسدت الحياة وأسن المشرب ، كان المسلم أحوج إلى الثبات على الدين ، فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور ، وتحصّناً من شبهة عارضة ، أو شهوة جامحة ، أو فتنة بين

الناس شامخة .

إن التذبذب بين الحق والباطل ، وترك السنة الثابتة بعد التخلق بها ليس من شأن أهل الإيمان ، حيث يبرز التناقض بين أقوالهم وأعمالهم ويتقلبون في سائر أحوالهم قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [الحج : ١١]

ولو تأمّلت أحاديثَ الحوض من صحيح مسلم ، لوجدت أن أناساً مُنعوا منه ، ورسول الله ﷺ يقول : « **يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي ، فَيُقَالُ : أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** » ، وكان ابن مليكة أحد رواة الحديث يقول : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا » .

وفي رواية : « **فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا** » رواه البخاري .

« **مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** » : تُوحي بعدم الثبات ، والتراجع البطيء المتواصل المؤدّي إلى الهاوية ، وربّما يشقّ الصعود بعد طول الاستدراج ، فهنيئاً لمن استدرك نفسه ، لئلا تزل قدم بعد ثبوتها .

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، والسداد في الخير .

وفي معرض الثبات يقول أبو الدرداء ﷺ : « أضحكني ثلاثة وأبكاني ثلاثة : أضحكني مؤمّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم ساخِط عليه ؟ وأبكاني فراق الأحبة محمدٍ وحِزْبَهُ ، وهَوْلُ المطلع ، والوقوفُ بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري أأصير إلى الجنة أو إلى النّار » .

يتمثل الثبات في مثابرة دائمة ، وطاعة لا تنقطع ، سئل رسول الله ﷺ :أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : « **أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ** » رواه البخاري ومسلم ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ . رواه مسلم .

يقول النووي رحمه الله : « أي لازَمُوه ودَاوَمُوا عليه » .

والقول الجامع لحقيقة الإسلام إيمان وثبات ، وانظر إلى ما أجاب به الرسول ﷺ الصحابي لَمّا سأله بقوله : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ؟ قَالَ : « **قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ** » رواه مسلم ، ثم يوجه رسول الله ﷺ : « **يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ** » رواه البخاري .

لا تكن مثل فلان كان يفعل الخير فتركه ، لا تكن مثل فلان كان يتلو القرآن فهجره ، وفلان كان يحافظ على النوافل فضيَّعها ، وفلان كان يتقدّم الصفوف الأُوَلَ فما زال يتأخّر حتّى أَخَّرَه الله ، وفلان كان يتعلَّم ويُعلِّم فضَعُفَت عزيمتُه ووَهَنَتْ قُوَاه .

يُعايشُ المسلمُ في حياته فتن الشَّهَوَاتِ المتنوعة العارمة ، بل وفتن تضارب الآراء ، ولا سيما عند تفاوت المدارك واختلاف المشارب ، الأمر الذي يهدّد معتقد المسلمين ووحدتهم .

وتثبيتُ الإيمان خوفاً من الانزلاق مع الآراء والأهواء محلُّ اهتمام سادات الأمة قال سبحانه وتعالى عنهم أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾[آل عمران:٨] ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٧]

جاء عتبة بن ربيعة يتحدث بلسان قريش ويعرض على رسول الله ﷺ أموراً يحرص عليها طلاب الدنيا لعلّه يقبلها أو يقبل بعضها وقال له : « إن كنت تريد يا ابن أخي فيما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد مُلْكاً مَلَّكْنَاك علينا ، وإن كنت تريد شرفاً سوَّدْنَاك علينا » .

أغروه بالمال والجاه والملك ، ليداهنهم ويَكُفَّ عن دعوته ، ولكنَّه كان حازماً في دينه ، ثابتاً في معتقده ودعوته ، لا يلين ولا يداهن ، وهو من ألين الناس خلقاً ، وأحسنهم عِشْرَةً ، إنه ثبات العقيدة والدعوة .

ولما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم حُجَرِ أزواجِ النبي ﷺ لتوسعةِ المسجد النبوي قال عطاء : سمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ : « والله لوددت أنّهم تركوها على حالها ، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ، ويَقْدَمُ القادِم مِنَ الآفاق فيرى ما اكْتَفَى به رسولُ الله ﷺ في حياته ، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده » .

وكان ﷺ يَمْلِك أن يَبْنِي لنفسه قُصوراً شاهقة ، ولو أنه أشار إلى رغبته بذلك مجرّد إشارة لسارع الأنصار في بنائها ، لم يفعل ذلك ، فقد جمع الهمة لعمل الآخرة ، وَثَبتَ ﷺ أمام المغْرِيَات حتّى مات .

يتمثّل الثبات في رفض كل مظاهر الاختراع ، وفنون الابتداع في الدين ، ونصوص الشريعة سدت منافذ الغلو وأصول الانحراف والابتداع، فلا يُعْبَدُ الله إلاّ بما شرعه وأذِنَ به ، لا بما تستحسنه العقول ، وتستسيغه الأهواء ، قال ﷺ : « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْس فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ** » رواه البخاري ، وقال : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** » رواه مسلم ، وفي حديث العرباض بن سارية : « **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ** » أخرجه أبو داود .

وحين يتعرّض المؤمن لنكبات الدنيا ، ويحيا في دوامة المحن ، فلن تقذف به الأمواج ، ولن تطيح به العواصف ، ذلك أن المؤمن أصبرُ الناس على البلاء ، وأثبتهم في الشدائد .

سئل رسول الله ﷺ : أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قال : « **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** » رواه الترمذي .

في زمننا فَقَدَ بعض الناس الثبات في الأخلاق ، فهي تتبدَّل بتبدُّل أحوال الحياة ، يخلع منها ويلبس ، يدور مع الدرهم والدينار ، يتمثّلها في أسمى معانيها إذا دَرَت بها منافعه ، ثم لا يبرح هازِئاً من الأخلاق ساخراً بها .

وقديماً حارب المسلمون وفتحوا العالم وشرحوا الصدور ، فأثبتوا في كل أرض ثبات أخلاقهم في الحرب والسلم ، في الفقر والغنى ، مع العالية والسافلة .

هؤلاء الثابتون هم الَّذِينَ يَسْعَدون بالثبات عند الممات ، كيف لا ، وهم الموقِنون بلقاء ربهم ، وكيف لا ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

إن لحظة الموت لحظة معاناة وضعف ، يجد فيها الشيطان فُرصتَه

الكبرى ، لِيُضِيف إلى حزبه أَعْضَاءً وأتباعاً ، ربّما حاول معهم من قَبْلُ فاستعصوا عليه ، وباءت محاولاته معهم بالفشل ، لكنَّه هنا في لحظة الموت يُضَاعِف نَشَاطَه ، ويُمْعِن في إغرائه وإغوائِهِ ، محاولاً بكل وسائله أن يُفْقِدَ المريض صَبْره في حالة يأس ، ويُفْقِدَ أَهْلَه صوَابَهم في حالة سُخط واعتراض، أما الثابتون في معترك الحياة ، فهم المستحقون للثبات عند الممات .

لَّما حضَرَ مُعَاذاً رضي الله عنه الموتُ قال : « مرحباً بالموت ، مرحباً بزائر جاء على فاقة ، اللهم إني قد كنت أخافُك فأنا اليومَ أرجوك ، اللهم إن كنتَ تعلم أنِّي لم أكن أحِبُّ الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْيِ الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر » ، ولَّما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوَفَاةُ قالت امرأته : وا حُزناه ، فقال : « بل وا طرباه ، غداً نلقى الأحبة محمَّداً وحِزْبَه » ، ولَّما حضرت الوفاةُ أنسَ بنَ مالك رضي الله عنه قال :« لَقِّنُوني لا إله إلا الله» فلم يزل يقولها حتَّى قُبِضَ .

وفتح عبد الله بنُ المبارك عينه عند الوفاة وضَحِك وقال : « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء الأرض والسموات ، أحمده سبحانه وأشكره على ما مضى من نعم وما هو آت ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الخلق والأمر وإليه مآل البريَّات ، وأشهد أن سيِّدنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله سأل مُقَلِّبَ القُلُوب الثَّبَاتَ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة دائمة تامة إلى يوم الممات .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل .

إخوة الإسلام :

يحتاج المسلم إلى السعي لتحقيق الثَّبات بطلب وسائله :

القرآن الكريم وسيلة التثبُّت الأولى ، فَحِينَ يُقبل المسلم على كتاب ربه بروحه ومشاعره ، بقوله وعمله واعتقاده ، تعلماً وتعليماً ، تلاوة وتدبراً ، يجد فيه العصمة ، والثبات ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾ [طه : ١٢٣] ، وقال : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾

ومن وسائل الثبات : العِلْمُ المُخْلَصُ في تحصيله ، المُتَّقَى فيه الله تعالى.

الدعاء هو السلاح الأمضى ، والعامل الأقوى : « **اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » .

كثرة الأعمال الصالحة ، فإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

تدبُّر قصص الأنبياء للتأسي والعمل بها ، قال تعالى : ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس : ١٢٠] .

التخلُّق بالأخلاق المعِينَة على الثبات ، وأعظمها الصبر قال ﷺ : « **وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** » رواه البخاري ، وقال ﷺ : « **صَبْراً آلَ يَاسِرَ فَإِنَّ مَصِيرَكُم الْجَنَّةَ** » رواه الحاكم .

ومن وسائل الثبات : البُعْد عن مظان الافتتان بملبوس ، أو مأكول ، أو مشروب ، أو مركوب ، أو مجالس أو مقروء ، ومن المجالس الفاتنة مجالس المنحرفين في اعتقاد ، أو فكر ، أو سلوك ، أو غير ذلك .

صُحبة الصالحين من وسائل الثبات ، فإن ضَعُفَ أحدُهم أو انحرَف تسارَعُوا لإنقاذه وشَدِّ أزره ، قال الله تعالى قاصاً كلام موسى عليه

الصلاة والسلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩] .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

المفلسون من الأخلاق

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي يسّر لعباده أسباب السعادة ، وكتب لأوليائه السيادة ، وجعل حسن الخلق عبادة ، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حذَّر من سوء الخلق والغدر والخيانة ، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله ، أنزل الله عليه قرآناً فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] تُتْلَى شمائله بالثناء إلى قيام الساعة ، فكان على خير خلق وطاعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فاتّقوا الله أيها الناس فلابدّ لكم من تقواه ، فمن اتّقاه وقاه ، هي التي لا يقبل الله غيرها ، ولا يرحم إلاّ أهلها ، ولا يثبّت إلاّ عليها ، وهي خير الزاد في الدنيا والأخرى .

عباد الله :

إن حسن الخلق من الإيمان ، وصفة من صفات أهل الإحسان ،

وحلية المتقين في واسع الجنان ، كما أن سوء الخلق من فعل الشيطان ، وسببٌ من أسباب انغماس العبد في النيران .

الأخلاق الفاضلة : من أسس الإسلام ، في بناء الفرد وإصلاح المجتمع ، فسلامة المجتمع وقوة بنيانه وسمو مكانته ، وعزة أبنائه بتمسّكه بفاضل الأخلاق .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كما أن شيوع الانحلال والرذيلة والفساد مقرون بنبذ الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلا

بل بيّن لنا التاريخ أنّ كلّ أمّة نهضت نهضة جبّارة ، وكلّ حضارة ازدهرت وحقّقت السعادة ، كان لتمسّك أفرادها بالأخلاق الحميدة والسيرة الفاضلة الرشيدة .

يُصَوِّر عمر بن الخطاب الأمة الإسلامية في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما وقد عينه قاضياً على المدينة فمكث سنة لم يعقد جلسة قضاء ، فطلب من أبي بكر إعفاءه فقال أبو بكر : « أمن مشّقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر ؟ » فقال عمر : « لا ، ولكن ليس بي حاجة عند قوم مؤمنين » .

وصلوا إلى ذلك بالأخلاق الإسلامية النبيلة والآداب الإنسانية الفاضلة

عباد الله :

المسلمون الأوائل فتحوا بلاداً إسلامية ، لم تتحرك إليها جيوش ، ولم تزلزل بها عروش ، ولم تقم بها تروس ، لم يرفع بها سيف ولا رمح ، بل تجار صالحون بأخلاقهم حققوا الفتح ، فكان فتحاً خُلُقِيّاً ، ذهبوا يتعاملون بالدرهم والدينار ، فحقق الله لهم بأخلاقهم الانتصار ، بأخلاق أدهشت العقول والأفكار ، وسلوك حسن لفت الأنظار ، فالعودة العودة عباد الله إلى مكارم الأخلاق قولاً وعملاً ودلالة ومضموناً ، لا سيما وأن البعض زهد فيها ورحل إلى أخلاق غير المسلمين ، وبعضهم جمع من العلم فأوعى ، وخلا من الخلق الأوفى ، وفقد آخرون الإخلاص والنية ، فأخلاقهم نفعية ، لمصالح أرضية ، فهو يبتسم للمصلحة ، ويرحّب للمنفعة ، أخلاقه توصف بأنها عالية ، لكنها لمطالب دنيوية فانية ، يرى أنها مظهر من مظاهر الحضارة ، أو متطلّب من متطلبات العمل ، وهي في الحقيقة زيف ودجل ، قلبه شغل وتعلّق بالأمل ، يتكلّفها المسكين على حظوة من مدير ، أو ثناء من بشر ، فأنّى له أن ينال أجراً وثواباً ، لعمل صار هدراً وهباء .

إن الجفوة والفجوة التي يعيشها أفراد الأمة الإسلامية في ترابطهم وتعاملهم ومشاعرهم ، نتيجة إهمالهم الأخلاق الحميدة وتساهُلِهم في الالتزام بها ، أَدَّى ذلك إلى ضعْف العلاقات ، وزعزعةِ الثقة ، وسوء

الظن والغدر والتحايل ، بل أصبح المسلم موطن شبهة وشك في تعامله مع أخيه المسلم ، يتربَّص به الدوائر لينتقم منه ، أو ليفرغ شيئاً من ضغائنه وأحقاده ، أو ليأخذ شيئاً من متاعه وماله ، أو يسقطه من منصبه ومكانه أو يفضحه بين عشيرته وإخوانه .

وافتقدنا كثيراً من الأخلاق الحميدة فأين الحب والوفاء ، والصدق والإخاء مع الخدم والضعفاء والعُمَّال والفقراء ، وفي البيع والشراء ، أين بر الوالدين ، وحقوق الأقارب والجيران ، أين معاشرة الناس بالحفاوة والوفاء ، وترك التنكّر لهم والجفاء ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والنصيحة لهم ، أين معاشرة الزوجة بالإكرام والاحترام ، وبشاشة الوجه، وطيب الكلام ، وإفشاء السلام .

إخوة الإسلام :

حسن الخلق عبادة ، بل إن ثواب بعضه قد يفوق ثواب كثير من العبادات المعروفة ؛ تصوّر معي أن إلقاء السلام عبادة ، وعيادة المريض عبادة ، وزيارة الأخ في الله عبادة ، وأن تبسُّمك في وجه أخيك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، ومصافحة أخيك صدقة ، ومسح رأس اليتيم عبادة ، وصلة الرحم عبادة ، وإغاثة الملهوف عبادة ، وقضاء الحوائج عبادة ، ومساعدة المحتاجين عبادة ، فما أعظمها من تجارة ، وما ألذّها من

سعادة ، غفل عنهـا أكـثر النـاس ، وَحُرِمُوا نفعهـا وآثارهـا ، نسـأل ا لله السلامة .

ولأهمية الأخلاق ، كانت أخلاقُ العبد السيئة ، وسلوكياته المشينةُ ، تأكل الخيرات ، وتجعله مفلساً مـن الحسـنات ، وتحمّلـه مـن غـيره الأوزار والسيئات ، وتقـذف بـه في الدركـات ، ولــو صلّـى وصـام ، وعمـل الصالحات ، سأل المصطفى ﷺ يوماً أصحابه كما في صحيح مسلم فقال: « **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَـةِ بِصَـلاةٍ وَصِيَـامٍ وَزَكَـاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَـذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَـتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْـهِ أُخِـذَ مِـنْ خَطَايَـاهُمْ فَطُرِحَـتْ عَلَيْـهِ ثُـمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** » .

أجهد نفسه في الطاعة ، وأسهر ليله في الإنابة ، أظمأ نهاره بالصيام ، وتكبّد سفراً في الحج إلى بيت ا لله الحرام ، فلمّـا وقـف بـين يـدي الجليـل المتعال ، فوجئ برصيد هائل من الديـون ، فقـد شـتم وسـفك ، وضـرب وهتك ، فوزّعت حسنات النهار ، وطاعات الليل سداداً لتلـك الديـون ، في يوم الجزاء والنشور ، فهذا خادم مغبون ، وذاك عامل مظلـوم ، وجـار له مشتوم ، ويتيم أو ضعيف ماله مأكول ، فوقف أمام الجميـع بـين يـدي

الجبار العظيم ، وقلبه متألّم متأوّه محزون ، فانهمرت الدموع من العيون ، هل من طريق للفرار من الديون ، هذا وأمثاله يوم القيامة مفلسون .

فالذي يباشر العبادات ويبقى بعدها باديَ الشر ، كالح الوجه ، قريب العدوان ، كيف ترجى له النجاة إذا نصب الميزان ، بل قد حذر الرسول ﷺ أمثالهم من النار ولو جاء بصلاة وصيام ، وفعل الأمور العظام ، وفي هذا ورد عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : « **إنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : هِيَ فِي النَّارِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاتِهَا ، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ وَلا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : هِيَ فِي الْجَنَّةِ** » رواه الإمام أحمد .

وبهذا نعلم أن الحديث عن الأخلاق ليس ترفاً علمياً ، وليس نافلة في درجات العمل ، بل هو طريق إلى السعادة لمن حسّن خلقه ، وطريق إلى الشقاوة لمن أساء تعامله .

إن أخطر ما يضر الأخلاق ، ويفسد السلوك ، ويدمِّر الفضائل : حبُّ الدنيا ، فهو رأس كلِّ بليَّة ، من أجل متاع الدنيا يخون الناس الأمانات ، وينكثون العهود ، ويجحدون الحقوق ، وينسون الواجبات ، ويبغي بعضهم على البعض ، ومن أجلها يغش التجار ويطغون ، ويتجبّر الأغنياء ويستكبرون ، من أجلها يكذب العباد ويزوّرون ، ومن أجلها

تستباح الحرمات ، وتضيع الحقوق ، وتداس القيم ، ويباع الدين والشرف والعرض .

إخوة الإسلام :

إن للخلق والفضيلة ميزاناً واحداً لا يتغيّر بتغيّر الأزمان والأماكن أو الأشخاص ، لا يتغير بتغير الأشخاص ومواقعهم ومناصبهم ، فالأخلاق مع الأغنياء والفقراء والضعفاء والكبراء ، وكذا مع الحشم والخدم ، في حالة الفرح والألم ، كما هي مع الزوجة والولد بحب وصدق وصفاء ، على قدم سواء ، بما يرضي ربّ الأرض والسماء .

فليس مع الأغنياء التزلّف والمديح ، ومع الفقراء الاحتقار والتوبيخ .

كان أبو بكر ﷺ يحلب للضعفاء أغنامهم كرماً منه ورفقاً بهم ، فلما تولّى الخلافة وزاد مرتبه ، وعلا منزله ، لم يتغير ولم يتبدل ، سمع جارية تقول : اليوم لا يحلب لنا ، فقال : « بلى لعمري لأحلبنها لكم » ، وهو الذي يمشي على قدميه مع جيش أسامة ، وأسامة راكباً فقال أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلنّ فقال : « لا والله ، لا نزلت ولا أركب ، وما علي أن أُغَبِّرَ قدمي ساعة في سبيل الله » .

ولا تنعدم الأخلاق حتى مع الأشرار ، فمن الناس من تحسن إليه اتقاء شره ، ولو اشتغلت بتأديب كل جهول لأعيتك الحيل .

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن عَلَى النبي ﷺ رجلٌ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : « **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ** » رواه البخاري .

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]

ولا يتغير ميزان الخلق مع اختلاف الزمان ، فالخير خير أبداً ، والشر شر أبداً ، والفضيلة تبقى فضيلة إلى يوم القيامة .

فالسفور والتبرج مثلاً شر أبداً ، وهو دنس ورذيلة ، ولا يتغيّر في زمن آخر على أنه تقدُّم ورقيٌّ وفضيلة .

وإلا اختلّ ميزان الأخلاق ، وتعرَّضنا لسخط العليم الخلاق ، لا يتمّ للحديث بنيان ، وللمقال بيان ، وللكلمات جمال وبهاءٌ ، حتى نُعطِّر أسْمَاعَنَا بقطرات ندية ، ومواقفَ زكيةٍ من أخلاق رجل حوى أعظم سيرة ، وأزكى سريرة ، إنه المصطفى ﷺ الحبيب ، صاحب هذا القبر

القريب ، الذي تأدَّب بـالقرآن وأدَّب صحابتـه أحسـن تـأديبٍ ، حبـه في شغاف الأفئدة مغروس ، وتوقيره مشربةٌ به النفوس .

نقل بأخلاقه البشرَ خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب الكريمات ، اقرأ سير العظماء ، وتصفح تاريخ النبـلاء ، لـن تجـد أعظم من خلق وسيرة أفضل الأنبياء ، اقرأ سيرته مع الأطفال والخدم ، مع الفقراء والأغنياء في البيـع والشراء ، في الشـارع والسـوق ، مـع الزوجـة والولد ، تجد أعظم خلُـقٍ وأزكـى سـلوكٍ ، كـان أحسـن النـاس ، أجـود الناس ، أشجع الناس ، كان دائـم البشـر ، سـهل الطبـع ، لـين الجـانب ، ليس بفـظ ولا غليـظ ، ولا صخّـاب ولا فحّـاش ولا عتّـاب ولا مـدّاح ، يشتري حاجته ويحملها بنفسه ، يخصف نعلـه ، ويرقـع ثوبـه ، يـأكل مـع الخدم ويجالس المساكين ، يمشي مع الأرملة واليتيم ، بأبي هو وأمي ﷺ ، روى الترمذي عن عبد ا لله بن سلام ﷺ قال : « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ : قَدِمَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ ، قَـدِمَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُـرَ إِلَيْـهِ ، فَلَمَّـا اسْـتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَـهُ لَيْسَ بِوَجْـهِ كَـذَّابٍ ، وَكَـانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : **أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُـوا السَّـلامَ ، وَأَطْعِمُـوا الطَّعَـامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ** » .

هذا هو الرسول القائد الآمر الناهي ، الذي عُرج به إلى السماء ، وتَنَزَّل عليه الوحي صباح مساء ، مع كل هذه الألقاب والمناصب والمسؤوليات والوظائف : « يأتي أعرابي إلى رسول الله ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية ، فيدركه الأعرابي فيجذبه جذبة شديدة أثّرَت في صفحة عاتق رسول الله ﷺ ، ثم يقول الأعرابي فوق هذا بكل غلظة وجفاء ، مخاطباً أكرم الأنبياء : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء » رواه البخاري .

هذه العظمة في أسمى معانيها ، والأخلاق في واحد من أَجَلِّ مواقفها.

تأمَّل سيرته حين دخل مكّة فاتحاً منتصراً عزيزاً مؤيّداً على أولئك الذين طردوه ، وآذوه وحاصروه ، حتّى أكل مع أصحابه ورق الشجر ، فما رحموه ، ووضعوا سلا الجزور فوق ظهره وهو ساجد لله ثم تركوه ، ورصدوا جائزة لمن يأتيهم برأسه حياً أو ميتاً ، دخل مكة مطأطئ الرأس ، متذلّلاً لله ، متواضعاً لعباد الله ، قائلاً لأولئك : « **ما تظنّون أنّي فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء** » ما انتقم رسول الله لنفسه إلاّ أن تنتهك حرمة الله .

ثمّ كم يحمل هذا الإنسان في صدره من الهموم والغموم ، هموم الأمة هموم هدايتها ، هموم الرسالة ، هموم القيادة ، هموم الفقراء ، وهو أب متزوّج وقائد وحاكم ، ومع ذلك كلّه يقول عبد الله بن الحارث : « مَا

رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » رواه الترمذي ، بل ويلاطف الطفل الصغير ويقول : « **يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ** » رواه البخاري ، يمازح أصحابه ، يخالطهم ، يجاريهم ، يداعب صبيانهم ، يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، فما مقدار همومنا إلى همومه ﷺ ، وأحدنا إذا نزلت به أدنى مصيبة أو فتنة قطب الحاجبين ، وأمسى وأصبح حزيناً عبوساً قمطريراً .

كم في قلبه ﷺ من العلم والحلم ، وفي خلقه من الإيناس والبر ، وفي طبعه من السهولة والرفق ، وفي يده من السخاوة والندى .

يقول أنس : « إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ » رواه البخاري .

« وكَانَ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ » رواه ابن ماجه .

ولنا أن نتساءل ما نصيبنا من هذه الأخلاق ، أين موقعنا من هذه الخلال الحميدة ، والأفعال الرشيدة ، أصبحت أخلاق الرسول ﷺ تراتيل بها يُتَغَنَّى ، وأوراداً صاحبُها يتمنّى ، ودموعاً تنهلّ عند تتجدّد الذكرى .

إنه لأمر يدعو إلى الأسى والحزن ما وصل إليه حال أخلاقنا وا لله المستعان .

علينا أن نتعلّم أخلاق المصطفى ﷺ ونعلّمها من نعول ، ونغرس الأخلاق في نفوسنا ، ونؤسّس عليها أبنائنا .

لننهل من معينها الذي لا ينضب ، ونقتبس من ثباتها الذي لا يتذبذب ، ونصعد إلى مثلها لمن أراد أن يتهذّب ويتأدّب ، وبهذا يكتب الله للأمة الأمن والأمان والسعادة والإيمان قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ،وقال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾[النساء : ٦٩]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمـد لله ذي الفضـل والإحسـان ، جعَـل حُسْـنَ الخلقِ طريقـاً إلى الرضـوان ، أحمـده سبحانه وأشكره ، وشكري لـه مـن نعمـه العظـام ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] ، وأشهد أن سيّدنا ونبينـا محمّـداً عبـده ورسـوله بُعِـث ليتمم مكارم الأخلاق ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الـبررة الكـرام وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فـاتّقوا الله تعـالى ، وأكـثروا مـن الحسـنات ، فإنّهـا طريـق النجـاة ، وتوبوا من السيئات قبل الممات فإنّها طريق الهلكات .

إنّ القمّة في الأخلاق ، والعظمة في السلوك ، لمن شهد له ملك الملوك من فوق سبع سموات ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلـم : ٤] ، لقـد قدَّم النبي ﷺ بأخلاقه أكبر مجموعة من النماذج العملية .

حفظ أحرف الوحي في السور الطوال والقصار تنزل عليـه ، ثـمّ بـدأ عملية تحويل هذه المعاني إلى خلق شخصي ، ومسلك نفسيّ واجتماعيّ ، ولم يكتف بذلك ، بل أخذ يشحذ الهمة ويسـتحثّ الأمـة بأحـاديث تهـزّ

القلوب الحية ، ليتنافس الصالحون صعوداً إلى القمة في الدرجات العلى من الجنة .

فقال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم : « **إنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا** » ، وأخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ** » .

ولما سئل عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ الجنةَّ قال ﷺ : « **تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ** » رواه الترمذي ، وقال : « **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** » أخرجه الترمذي ، وقال ﷺ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ** » أخرجه أحمد ، وقال ﷺ : « **اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » رواه الترمذي .

وأخرج أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** » ، وقال ﷺ : « **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ**

لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ » رواه أبو داود .

إن من نتائج الأخلاق الفاضلة :

سعادة النفس ، ورضا الضمير ، كم يشعر المرء بالسعادة أن فرّج عن مُعْسِرٍ كُرْبَتَه ، وعن تعيسٍ شقاءه ، وعوَّض عن ضعيف عجزه ، إنها منتهى السعادة ، يقول المصطفى ﷺ فيما رواه البخاري : « **وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » .

ومن نتائجها : أنها ترفع شأن صاحبها ، فيقتدي به الآخرون ، ويلجأ إليه المحتاجون ، وهل هناك منزلة لإنسان أعلى من أن يحسن الناس الظن به فيقصدونه ويقدرونه .

ومن نتائجها : أن تشيع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع .

كل فرد فيه يحبّ لأمته ما يحبّ لنفسه ، ففي مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** »

ومن نتائجها : أنها طريق العزة والكرامة والنجاح .

عباد الله : إن العالم يرمقكم عن بعد ، ويخالطكم عن قرب ، فإذا رأى الإنسان الأيدي المتوضئة تقف عن الشبهات والدنايا ، ورأوا من سناء قلوبكم ، ورقّة طباعكم ، ونزاهة نياتكم ، وصدقكم في معاملتكم ، رأوا الصدق والوفاء ، والحب والإخاء ، دخلوا في دين الله أفواجاً ، فكونوا عباد الله إخواناً .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ..

فتنة أمتي المال
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنعم على العباد ، فصب الماء صبّاً ، وشقّ الأرض شقّاً ، ورزقهم خيرات ، وأطعمهم فاكهة وأبّاً ، أحمده سبحانه ، وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾ [الفجر : ٢٠] ، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّداً عبده ورسوله ، دعاه ربه إلى الإنفاق فلبّى ، وأعطى غنماً بين جبلين فوفّى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلّما رتّل قارئ وتغنّى .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران : ١٤]

يقرّر القرآن شهوة كلّ نفس على مدار الزمان ، ثم يقرر قيمتها الحقيقية ، لتبقى في مكانها لا تتعدّاه ولا تطغى على ما سواه ، هي شهوات مستحبّة مستلذّة ، ليست مستقذرة ولا كريهة .

الإسلام لا يدعو إلى استقذارها وكراهيتها ، إنّما يدعو إلى معرفة طبيعتها وبواعثها ووضعها في مكانها بحيث تُهَذّب فلا تجاوز حدها ، ولا تعدو طريقها ، ولا تُلهي عمَّا هو أرفع شأناً منها ، كما حثَّ الإسلام على طلب الرزق الحلال ، والسعي في مناكب الأرض ، وإعمار الدنيا ، فهي طريق الآخرة ، والمال أحد هذه الأمور ، إلاَّ أنّه في عصر المادة ، أخذ بمجامع النُّهَى والألباب ، ومن أجله تشاحَن الأحباب ، وشتَّت شمل الأخوة بلا أسباب ، المال صاحب السلطان على ضعاف الإيمان ، ومحبوبهم الذي لا يجارى في سائر الأزمان .

ظنّ قوم أنّ فيه السعادةَ والإكرامَ والوفادة ، وعند التأمّل في أحوال بعضهم كان مصدرَ شقاء وتعاسة ، فلا هم يهنؤون بعيش ، ولا يشعرون بطمأنينة واستقرار وسكينة ، قاد بعضَهم إلى الكفر با لله والجحود ، والبُعْدِ عنه والكنود ، ثم قادهم إلى نار الخلود ، كقارون الذي تُيِّم بالمال وغفل عن المآل ، وأنساه حبّه ربّه المنتقم الجبار ، آتاه ا لله من الكنوز ما

إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، فطغى وتجبَّر وجحَد وتكبَّر ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص : ٧٨] ، فكانت عاقبته نهاية الطغيان : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ [القصص : ٨١] .

في لحظة زال ما كان ونفذ أمر الله ، وما كان لأمثاله في الحسبان ، فعاقبه الله على هذه البسيطة ، ليكون عبرة للخليقة ، وليعلم الناس أن هناك ثراءً هو بالرثاء أجدر ، وأموالاً هي لأصحابها ابتلاء يعقبها بلاء ، قال تعالى :﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ﴾ [العلق : ٦] ، وقال : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل : ١١] .

وقال : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧]

إن المال فتنة ، ومن هام في حبّه عاش في بلاء ومحنة ، فتنة محفوفة بالمخاطر ممزوجة بالآثام ، كم ضيّع على العبد من خير وبر ، وأشغل عن الطاعة والذكر ، وأوقعَه في الحرام بلا خوف ولا فكر .

ومن كانت الدنيا أكبر همّه ، طال غداً في القيامة غمه : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٥]

إذا ذكر لبعضهم المال ، وجدت له عزيمة تحمل الأثقال ، وحيوية تصارع الأهوال ، ونشاطاً يجوب به السهل والجبال ، وإذا نادى منادي الحق ، قام نافراً ثقيلاً ، يجر ساقيه جراً وبيلاً ، بل لا يكاد يقوى على حمل نفسه ، وإذا وقف بين يدي الله في الصلاة ، جال بخاطره بين الأرصدة والأمتعة ، يجمع يطرح يحزن ويفرح ، قد أصمّ أذنه عن سماع أفضل الكلام ، وشغل قلبه عن تدبر آيات القرآن ، لا يُفِيق من سكرته إلاّ مع سلام الإمام ، ليس له من صلاته إلاّ النصب والقعود والقيام .

وفي هذا المعنى يقول المصطفى ﷺ : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ** » رواه البخاري .

فمن كانت هذه حاله ، فهو عبد للمال ، يعيش مع الدّرهم والدينار، ويتبع بَرِيقَهُ حيث دار ، وعبادته للمال حباً وبغضاً ولاءً وبراءً ، تبت يداه وخاب مسعاه .

قال الحسن البصري : « لكلّ أمة صنم يعبدونه ، وصنم هذه الأمة الدرهم والدينار » .

وأخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ** » .

ها نحن نحرص على زيادة المال ، فأين الحرص على زيادة الإيمان ؟ ونتلمس فرصاً لتنمية المال ، فهل نتلمس مجالس الذكر والإيمان ؟ ونحفظ الأرصدة والأرقام ، فلم لا يكون للقلب نصيب من القرآن ؟ وبذلك تغيرت القيم والموازين ، واهتز ميزان التفاضل والتكريم ، فصاحب الثراء والمال على أي حال كان تتهيأ له المفارش ويتصدَّر المجالس ، وهو المتحدث في كل قضية بلا منافس ، يقول فيخطئ ولا مصوب ، فهو عند جلسائه صاحب الرأي الرشيد والقول السديد .

وتقلب نظرك إلى الفقير فتراه بالإجابة ، بل بالنظر والاهتمام غير جدير ، هذا المصطلح المقلوب والمفهوم المنكوس حذر منه وبيَّنه طبيب النفوس ، ففي صحيح البخاري : « مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا** ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا** ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا** » .

وفي مسلم : « **رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** » .

وقال معاذ : « لا يوزن غداً الفقر والغنى ، وإنما يوزن الصبر والشكر ، ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر ، بل بالتقوى فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة » .

إخوة الإسلام :

حذّر المصطفى ﷺ من إضاعة المال ، فقال فيما رواه مسلم : « **إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا .**

وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ » .

ومن إضاعته الإسراف والتبذير ، وأبشعه عندما يكون في معصية الله ، والتعدي على حدوده ، فهذا محرم بالإجماع .

قال مجاهد : « لو أنفق إنسان ماله كلّه في الحق لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مداً في غير حقّ كان مبذراً » .

ومن إضاعته التكلّف في المأكل والمشرب ، والملبس والمركب ، وسائر المباحات ، فيؤدّي بهم إلى البذخ والتفاخر ، والتعالي والتكابر .

وما لم نعلنها حرباً على الإسراف والتبذير والاقتصاد في كل سبيل ، فإن العاقبة جلية أمام كل بصير ، في عالم يموج بالفتن والأعاصير ، فكم أنشب الفقر أنيابه ، وطوى الجوع الأحشاء .

فكم من أمم أضاعت المال ، فزال النعيم وولّى الثراء ، وكأنّها تحكي قصّة سبأ ، وتردّد عبرة مأرب : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] .

قال ﷺ : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ** » رواه البخاري ، لا يبالي من رباً أو رشوة ، أو غشّ أو سرقة ، أو ميسر وشعوذة ، أو ظلم أو ثمن لبضائع محرمة أو غير ذلك .

فالحلال عند هذا الصنف : ما حلّ في يده بأي سبب ، والحرام : ما عجز عن تحصيله مع الجد في الطلب ، فهذا ماله وبال عليه وشؤم ، إن أكل منه لم يؤجر عليه ، وإن تصدّق به لم يقبل منه ، وإن أمسك لم يبارك له فيه ، وإن تركه لورثته ، كان زاداً له في النار ، لغيره غُنمه ، وعليه إثم تحصيله وغرمه .

أما الذي يكسب ماله من طريق الحلال ، ويتّقي في طلبه ذي الإكرام والجلال ، وينفقه فيما يعود عليه بالنفع في الحال والمآل ، يتوسّل به إلى فعل الخيرات ، ونفع ذوي القربات ، وإغاثة أهل الحاجات ، فذاك يبارك له في ماله ، ويكون من أسباب صلاح قلبه ، وأعماله وأحواله ، إن أنفق منه أجر عليه ، وإن تمتّع به بورك له فيه ، وإن تصدّق به قبل منه وضوعف له ، وإن ترك لوارثه كان خيراً له ، فنعم المال الصالح ، للرجل الصالح ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

كم ندعو فلا يستجاب ، ونلهج فلا يفتح باب ، ومع علمنا أنه قد يتأخّر الجواب ، إلاّ أن سعداً رفع هذا الأمر إلى رسول الله ﷺ كيف يكون مستجاب الدعوة ؟ فقال :« **أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** » رواه الطبراني ، وذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ ، أَشْعَثَ ، أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ . رواه مسلم .

أمّا في المآل فإن القلوب ترجف ، ونُذُرُ التذكير تعصف مع حديث رسول الله ﷺ في الترمذي الذي يحرك الجنان مبيناً فيه أنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن الدرهم والدينار ، بل عن كل درهم ودينار أمن حرام هو أم من حلال ، من أين أخذته وفيم أنفقته ، من أين اكتسبته ، وفيم صرفته .

فطن لذلك الحبيب المصطفى ، والنبي المجتبى الذي فضل الآخرة على الأولى ، فقال ﷺ : « **اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا** » رواه البخاري .

في الدنيا نعيم ، وفي الآخرة سؤال ، وموقف طويل ، ليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت .

أما في الآخرة فالسّؤال عن كلّ ما جمعت ، ورصدت وحويت ، تخيّل وتذكّر هذا السؤال ، حتّى إذا عرض المال الحرام ، اهتزت الأركان وهربت إلى رضا الرحمن ، تخيل هذا الموقف العصيب ، حتّى إذا وقع في يدك رباً أو رشوة قلتَ : أعوذ بالله هذا عذاب ونقمة ، تخيّل ليقوى شعورك وينمو إيمانك ، حتّى يشين المال الحرام في نفسك ، وبذا فلن تأكل أموال اليتامى والضعفاء ، ولن تأكل أموال الناس بالباطل ، لن تقدم على غش وتدليس وتطفيف وتبخيس ، بل وتبعد عن الشبهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، بل مازالت التقوى بالمتقين ، حتّى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام .

ما دام الأمر كذلك ، فعلى صاحب المال أن يُصْلح مالَه ، ويَصْلُح في ماله ، فنعم المال الصالح ، للرجل الصالح ، ثمّ أنت مرتحل عنه لا محالة بالموت ، وقد يرتحل عنك قبل ذلك ، فالأيام دُول ، وكم من غني صار فقيراً ، فاغتَنِمْ المهلة ما دام في العمر بقية ، واجعل المال طريقاً إلى السعادة

قبل أن تفاجئك المنية ، فقد روى البخاري حديثاً عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال له :« **إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا** »، وفي رواية : « **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** » رواه البخاري .

فإذا دعاك داع الإنفاق ، ووقف المحتاج أمامك من إملاق ، فتقول له لبيك هذا مالي ، بل مال الله إليك ، وتشكر الله على ما أنعم عليك .

بصلاح المال ، وصَلاحِك في المال ، يُزاد في عمرك ، ويُمدّ في أجلك ، حتّى إذا أكل الدود لحمك ، ونخر عظمك ، لم تزال صحائف الخير تُنَمَّى ، وحسنات البر تُزاد ولا تُنسى ، حتّى إذا صرت جثة هامدة ، وجيفة خامدة ، لم يزل خيرك يمتدّ إلى فقير مسكين ، أو طفل يتيم ، أو أرملة ليس لها معين ، فإذا أردت ذلك كلّه ، إذا أردت الباقية ، فعليك بصدقة جارية ، ليكتب الله لك بها عمراً آخر في الطاعة ، وتزاد خيراً وسعادة .

لقد قدم رجل على ربه خاوي اليدين من الطاعات العظيمة ، لم ينفعه إلاّ صلاح ماله وصلاحه في ماله ، كان يُيسِّر على المُوسِرين ، ويُنْظِر المعسرين ، يقضي حوائج الناس ، ويفرج كربهم ويقرضهم قرضاً حسناً ، أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « **أُتِيَ اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَقَالَ لَهُ : مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ**

حَدِيثًا ، قَالَ : يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ اللَّهُ : أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي » .

ألا إنّ وجوه الخير معلومة ، وأصوات البر والإحسان مسموعة ، فَنَمِّ مالك فيها ، ليكتب الله لك الأجر والمثوبة ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح .

﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٦] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمائه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

يجدر بالمسلم معرفة أحوال الصحابة مع المال وسنعرض لطرف منها :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالكرام فلاح

أخرجوا المال من قلوبهم ، وخرجوا من الدنيا بلا دنيا ، هذا سيد ولد آدم رسول الله ﷺ اشتدّ عليه الوجع وعنده سبعة دنانير أو تسعة ، فقال : « **يا عائشة ما فعلت تلك الذهب ؟ فقلت : هي عندي ، قال : تصدقي بها ، قالت : فشغلت به ، ثم قال : يا عائشة ما فعلت تلك الذهب ؟ فقلت : هي عندي ، فقال : ائتيني بها ، قالت : فجئت بها**

فوضعها في كفه ثم قال : ما ظنّ محمد أن لو لقي الله وهذه عنده ، ما ظنّ محمد أن لو لقي الله وهذه عنده » أخرجه ابن حبان .

توفي رسول الله ﷺ ، وليس في بيته دينار ولا درهم ولا متاع .

أما سلمان الفارسي فقد بكى في مرضه ظنّاً منه أنه تجاوز وتعدّى عهد رسول الله ﷺ إليهم « **يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ** » رواه ابن ماجه .

فلمّا بحثوا بعد وفاته ، وإذا هو لم يترك إلاّ بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده .

الصحابة سخروا المال عنصر قوة وبناء لأمتهم ونصرة لرسولهم وخدمة لدينهم .

أولهم أبو بكر ، صدَّق رسول الله ﷺ حين كُذِّب ، وأعطاه ماله حين مُنِعَ ، يشتري ضعفاء المسلمين ويعتقهم .

وعثمان يُجَهِّز جيشاً بأكمله في غزوة من الغزوات ويقول فيه ﷺ : « **مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ** » رواه الترمذي .

الصحابة سخروا المال عنصراً من عناصر التكافل الاجتماعي ، يرى أن لأخيه حقاً في ماله لا يضن بشيء منه ، كيف يهنأ له بال وهو يرى الجائعين والمساكين ، فعثمان رضي الله عنه يشتري بئر رومة ويجعلها حسبة للناس ، ويصيب الناس قَحْطٌ أيام أبي بكر رضي الله عنه ويتوقّع الناس الهلاك ، فجاءت عير

من الشام لعثمان ﷺ ألفُ بعيرٍ مسوقةً بُراً وزيتاً وزبيباً ، فرفض أن يبيعها للتجار ، فجعلها صدقة على المساكين وفقراء المسلمين .

سطّر الصحابة رضوان الله عليهم مواقف خالدة ، قالوا فيها : « إذا تعارض الدين والمال قُدِّم الدِّين دون نظر لأيّ اعتبار » ، بل قد يتنازل أحدهم عن ماله كُلِّه فراراً بدينه ، وهذا ما فعله صُهَيْب ﷺ يوم هجرته ، وإلاَّ حيل بينه وبين الهجرة فقال له النبي ﷺ : « **يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثاً** » أخرجه الحاكم .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧]

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣]

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

العَدُوُّ الماكر
الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد : فأوصيكم ونفسي بتقوى الله .

عباد الله :

أمر الله إبليس أن يسجد لآدم فأبى ، حمله الحسد والكبر على معصية الله ، فكان مصيره الطرد والإبعاد من رحمة الله ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣]

وبعد أن اطمأنّ إبليس لبقائه زفر تغيّظاً ، فأظهر دفين حقده ، ومكتوم عداوته ، تَشَذَّرَ للمعاداة ، وتصدّى للإغواء ، وتشمَّرَ للإضلال قال الله تعالى على لسانه : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ - ٨٣]

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧]

فلن يترك سبيلاً للضّلال إلاّ سلكه ، ولا فجاً للغيّ إلاّ طَرَقه ، فالغدر عادته ، والكذِبُ بضاعته ، والفُجور تجارته ، والإفك طريقته ، في ملحمة أَجَلُها إلى يوم يبعثون ، ووسائلها شبهات وشهوات رخيصة يسدِّد بها سهامه ، ليصيب مواقع القتل في أجساد العباد ، ثمّ ينتظر المصابين أن

يقعوا في الهوة السحيقة بعد تردِّيهم ، يطلب الغواية في أوجها ، والضلال في دركاته ، ليتخذ من عباد الله نصيباً مفروضاً .

وتأتي آيات الكتاب العزيز مجلّيةً حقيقةَ المعركة ، ليتسلَّح الصالحون ويتأهَّب المحاربون ، حتى لا يخدعوا ، فيظنّوا أن إبليس وحزبه سيكون لأحدهم صديقاً أو ناصحاً يوماً ما ، ولو اختفى وراء أوليائه ، فإنّ كتاب الله العزيز يكشف كيده ويُظهِرُهُ لِلمؤمنين المخلِصين ، عارياً لا يستره ثوب مِنْ مكر ، أو كيد ، أو خداع قال تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠] ، فهناك صنف من الناس يحبّونه ، وهو يبغضهم ، ويتقرّبون إليه بأعمالهم وقلوبهم ، وهو يكيد لهم المكايد ويوقعهم في المصائب .

قال تعالى :﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

وذلك بهتك أستاره ، وفضح مكايده ، وكشف مصائده ، فإنَّ في تعريف الشر تحذيراً من الوقوع فيه ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة ﷺ قال : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي » رواه البخاري .

يُعلن إبليس الحرْب منذ الولادة ، فلا صلح ولا هوادة ، ولذلك يستهلُّ المولود صارخاً من نخسة إبليس ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ ، وفي عرشه على الماء كما أخبر المصطفى ﷺ : « **إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ .**

قَالَ الأَعْمَشُ : أُرَاهُ قَالَ : فَيَلْتَزِمُهُ » أخرجه مسلم .

سِلاحُه الوسوسة في صدر العبد ، ففي توحيده يُشَكِّكُه ، وعن صلاته يشغله ، وفي وضوئه يُتْعِبه ، وفي نومه يحزنه ، وفي يقظته يَفتنه ، وفي تجارته يزين له الحرام ، وفي ليله يبول في أذنه ليَعُوقَه عن القيام ، يأمر بالسوء ، ويخوف في الإنفاق بفقر قاتل ، يلقي الأماني الكاذبة والظنون السيئة ، يومئ بجدل عقيم ، يغرس اليأس والقنوط من رحمة الله ، يوقع العداوة بين المسلمين ، يفكِّكُ دعائم الأسرة ، ويزلزل أركان الأمة ، يلقي الهمزات الخفية في نظرة بشهوة ، أو فكرة سيئة ، يشغل العبد عن عيوبه بتتبع عيوب الآخرين وتَصَيُّد أخطائهم ، يُوقِعُه في زلل ، ويوحي له أنَّ هذا أَمْرٌ جلَل ، ثُمَّ يسوِّغُ له سيء القول من غيبة ونميمة وفحش ورذيلة .

أعظم مطلوب لإبليس كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « أن يصل بالعبد إلى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله ، فإن أعياه ذلك سلك به طريق البدعة ، وجعله من أهلها وداعية من دعاتها ، فإن عجز عن ذلك زيّن له الفواحش ، وأوقعه في الكبائر على اختلاف أنواعها ، فإن أعجزه العبد ، نقله إلى الصغائر التي إذا اجتمعت فربّما أهلكت صاحبها ، فإن لم يتمكّن شغل العبد بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها ، فإن أعجزه العبد وكان حافظاً لوقته شحيحاً به ، نقله إلى المرتبة السادسة ، وهو أن يشغله بالعمل المفضول عن الفاضل ، وقلَّ مَن يتنبّه لهذا من الناس ، فإن عجز عن هذه المراتب الست سلَّط عليه حِزبه مِنَ الإنس والجنّ بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتحذير منه ، وقصد إخماده وإطفائه ، لِيُهَوِّش عليه قلبه » انتهى كلامه رحمه الله بتصرف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « لَمَّا علم عدوّ الله إبليس أنّ المدار على القلب ، والاعتماد عليه ، أجلب عليه بالوساوس ، فإنّ القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية ، فيوسوس إليه ويُخْطِرُ الذنب بباله ، فيصوِّر لنفسه ويمنِّيه ويشهِّيه فيصير شهوة ، ويزيّنها ويحسّنها ويجلّيها في خيال ،

تميل نفسه إليه ، فيصير إرادة ، ثـم ينسيه علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها ، فلا يرى إلاّ صورة المعصية والتذاذه بها ، فتصير الإرادة عزيمة جازمة ، فيشتدّ الحرص عليها من القلب ، فيبعث جنوده في الطلب، ويبعث الشيطان معهم مدداً ولهم عوناً ، فإن فتروا حرَّكهم حتّى يقاد إلى الذنب بألطف حيلة وأدنى مكيدة » انتهى كلامه رحمه ا لله .

أما القلوب التي تُحيط بها أسوار الإيمان ، وحصون التقوى ، وعليها حُرَّاس الذِّكر ، فلا يستطيع الشيطان أن يدخُلها إلاّ خلسة ، فإذا دخلها قام حُرَّاس الذِّكر فطردُوه خارج الحصون مذموماً مد حوراً قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١]

نعم ، قوة الإيمان تُضعِّفُ كيد الشيطان ، فهذا الإمام الراشد عمر بن الخطاب ﷺ يقول له رسول ا لله ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** » أخرجه البخاري ومسلم .

قال رجل للحسن البصري رحمه ا لله : أينام إبليس ؟ قال : « لو نام لوجدنا راحة » .

في ساحة المعركة يُغْوي الشيطان العباد ، بتزيين الباطل : ﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] .

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله : « يزيِّن له الفعل الذي يضره حتى يُخيَّل إليه أنَّه من أنفع الأشياء ، وينفّره من الفعل الّذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيّل له أنه يضرّه ، فلا إله إلا الله ، كم فتن بهذا السحر إنساناً ، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإحسان ، كم جلّى الباطل وأبرزه في صورة مُسْتَحْسَنة ، وشَنَّع الحقَّ وأظهرَه في صورة مُسْتَهْجَنَة ، كم يروج من الزيوف على الناقدين ، وكم رَوَّج من الزغل على العارفين ، فهذا الذي سحر العقول ، حتى ألقى أرْبَابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعِّبة ، وسلك بهم من سبل الضلال كُلَّ مسلك ، وعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان ، أبرز لهم الشرك في صورة التعظيم ، والكفر بصفات الربّ وعلوّه في قالب التنزيه ، وتركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودُّدِ إلى النَّاس ، وحسْن الخلق والعمل بقوله : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [المائدة :١٠٥] ، والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والمداهنة في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس » انتهى كلامه رحمه الله .

﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ زين الدنيا وزخرفها في قلوب كثير من الناس ، فركِبُوا إليها واطمأنُّوا بها ، وعضُّوا عليها بنواجذهم ، وأَنْشَبُوا فيها أظفارهم ، ففيها يعادون ، وعليها يتنافسون ، ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون ، بل قد زيَّنها وزخْرَفَها حتى عبدها بعض الناس من دون الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ** » رواه البخاري .

﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ فسمَّى الفواحش والمعاصِيَ بأسماء محببة إلى النفوس ، لكي يُخفِي خُبْثَهَا وفُحْشَهَا ، فهو الذي سمَّى الشجرة بشجرة الخلد : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ [طه : ١٢٠]

زيَّن إبليس الباطل ، وقبَّح صورة الحق وشوّهها بأسماء منفّرة ، فهذا الذي أوحى إلى أوليائه من قوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٦] ، وأوحى إلى أوليائه من كفار مدين أن يقولوا للناس : ﴿ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٠] ، وأوحى إلى أوليائه من

كفار قريش ، بتسمية رسول الله ﷺ بالساحر ، والكاهن ، والشاعر ، والمجنون ، وغيرها .

وفي مشهد آخر يأتي في صورة الناصح الأمين ، وبهذه الحيلة أغوى أبوينا وأخرجهما من الجنة ، بل : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١]

بهذه الحيلة يتمكَّن عَدُوُّ الله مِمَّن أعرض عن العلماء العاملين وعلمهم ، وهجر أهل الصلاح ومشورتهم ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما أخبر ﷺ .

وفي ليل الجهل يتلصَّص إبليس ، لينفُثَ سُمُومَ المكر والتدليس ، ذلك أنَّ الجاهل لا يَعْرف مَداخِل الشيطان فيسدّها ، ولا مكايده فيبطلها ، ولا شباكه فينسفها ، يجتذبه الشيطان بسهولة ، ويتغلَّبُ عليه بأدنى حيلة ، يرصده بسهام الشبهات ، وسموم الشهوات ، فَيُرْدِيهِ قتيلَ الهوى أسيرَ الشهوة

وإذا استشاط العبد غضباً ، ضعف عقله وعميت بصيرته ، فحقَّق الشيطان مَكْرَه ، لأنّ عدُوّ الله يلعب بالغضبان كما يلعب الأطفال بالكرة

وفي نهاية المطاف يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

أما بعد :

فاتقوا الله حقّ التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾ [النور : ٢١]

قال أبو الدرداء ﷺ : « إنَّ مِن فِقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان متى تأتيه وكيف تأتيه » .

وقال الحسن البصريّ رحمه الله تعالى : « لا يزال العبد بخير ما علم الذي يُفْسِدُ عليه عمله » .

ومِمَّا يحفظ العبد ويُحَصِّنُه من الشيطان الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

وأن يضرع المسلم إلى الله تعالى بأن يُعِيذَه مِن همزاته ونزغاته قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ - ٩٨] ، وقال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦]

المحافظة على صلاة الجماعة وكثرة الطاعة ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ : يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ** » .

الاستعاذة عند دخول الخلاء ، وعند الصلاة ، وعند الغضب ، فعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا** » قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي » رواه مسلم .

قراءة القرآن ، وذكر الله إحصانٌ للعبد من الشيطان ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ**

مَقَابِرَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .

وقال ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ » رواه البخاري .

وقال ﷺ : « مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » رواه البخاري ومسلم .

سدَّ النبيُّ ﷺ مسالِكَ إبليس وأَوْصَدَ منافِذَه ، فأمر بحفظ البصر ، ونهى عن إطلاقه ، وجعل النَّظْرَةَ سهماً مسموماً من سهام إبليس ، وقال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ قَالَ : الْحَمْوُ الْمَوْتُ » رواه البخاري .

وأراد ها هنا أخا الزوج ، أي احذر الحمو ، كما تحذر الموت ، أي : أنَّ خلوة الحمو معها ، أشدّ من خلوة غيره من البعداء .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ

انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ » أخرجه البخاري ومسلم .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

سراديب الظلم
الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فإنَّ من اتقاه وقاه ، ومن شكره زاده

عباد الله :

الظلم أعلى جريمة عرفتها البشرية ، وهو سبيل التهلكة ، سُلِبَت به خيراتٌ ، ونزعت بركات ، بسببه يحبس القطر من السماء ، وتحِلُّ النِّقَم ، وترتفع الأسعار ، وتنتشر الأمراض ، مزعزع الأمن والاستقرار ، وعدوّ الطمأنينة والازدهار ، والأنفس الأَبيَّة يُؤْلِمُهَا الضَّيْمُ ، ويَجْرَحُهَا الظلم .

يتسلَّط الظالم بقسوة قلبه على حُقوق الآخرين ، غَيْرَ مكترِثٍ بآلامِهِمْ وأنَّاتهم ، قد نَضَبَ خُلُق الرحمة من قلبه ، فانحرف عن الحق ، وتجبَّر على الخلق ، غرق في سبات التعالي والبَطَر بالنعمة ، فغدا متحجِّرَ العاطفة ، متبلّد الإحساس ، مفقودَ الندى ، موجود الأذى ، يتلذَّذُ بظلمِ الناس ، ينصر الباطِل ، يعضد الجاهل ، يصاحب اللئيم ، ويفارِق الكريم.

تنمو في سراديب الظلم بُذُورُ الضغينة والشرِّ ، فَتُنْبِتُ حقداً أليماً ، وكرهاً دفيناً ، يتضخّم مع توارد الحوادث ، وقلةِ النصرة إلى ما لا تحمد عقباه .

يُدَمِّرُ الظُّلْمُ جِبَاهَ البشَر ، ويُقَوِّضُ صرْحَ الأُخُوَّة ، ويُحَطِّمُها ، يغرِزُ النزاع والخصومات ، حين يتربص المسلم بأخيه الدوائر ، كالوحوش الكاسرة تَتَهَارَشُ تَهارُش السِّبَاع .

قال أبو هريرة ﷺ : « إن الحبارى لتموت هولاً في وكرها من ظلم الظالم » .

حرَّم الله الظلم على نفسه ، وجعله بين عباده محرّماً ، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه وفيه : « **وأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا** » .

ومن الظلم الكفر با لله والشرك ، بل هو أعظم الظلم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، ومن أظلم ممن أعطى حق الله لعبيده ، وترك مَلِكَ الملوك ، وخضع للذليل المملوك ، فكان كتشبُّث الغريقِ بالغريق ، واستغاثة الرقيق بالرقيق ، واحتياج الفقير إلىالفقير ، العبد يظلم نفسه بتعدي حدود الله ، وانتهاك حرماته ، والاسترسال مع شهوات نفسه المحرَّمة ، فيحرمها اللذة الأبدية ، والنعيم الخالد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٩]

ومن الظلم التدليس في عَرْضِ حقائق الإيمان ، وتحريف شريعة الرحمن ، وتجاوز حدودها : كَتْمُ شهادة الحق ، أكل أموال الناس بالباطل ظلم ، العدوان على حقوق الناس ، والإعراض عن آيات الله ظلم ،

السرقة والقذف والغيبة والإفساد بين الناس والنميمة ظلم ، الربا والتغرير بالمسلم وخيانة المودَع عنده والشريك والأجير والوكيل ظلم ، الرجل يظلم زوجه بمصادرتها على حقوقها ، فَيُهْدِرُ كرامتها ويستولي على أموالها .

إذا كان فيما يُكَالُ ويُوزَن ظلماً وجوراً ، فإنّ هناك تطفيفاً لا يُعلم بالكيل والميزان ، بل تُرى آثاره وتُسْمَع همساته ، وهو أعظم خطباً وأشد ظلماً ، وهو التطفيف في حقوق المسلمين المعنويّة بانتقاص أعمالهم ، وجرح إبداعهم ، والطعن في خفايا سرائرهم ، والنيل من إيمانهم وأحزانهم ، وهذا مجاله أوسع ، والحذر منه أوجب ، وحين لم يُتَقَبَّل قربانُ ابنِ آدمَ الأوَّلِ كان أسلوبه أن قال لأخيه :﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ قال تعالى: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٨] .

شهادة الزور ظلم ، لما يترتّب على ذلك من ضياع الحقوق ، وظلم المساكين ، شاهد الزور يجعل الحق باطلاً ، ينقض العهود والمواثيق ، ويشترك في الفساد مع القاتل والسارق ، وقد يتجاوز في ضرره الكافر والمنافق .

وظلم اليتيم بأكل ماله وتضييع ثروته وإفساد حاله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء : ١٠] .

والتعدّي على الجار في زرعه وماله ، أو داره وعقاره ظلم .

والقتل ظلم وعدوان ، لأنها سلب لحياة المجني عليه ، وتأييمٌ لنسائه ، وحرمان لأهله وأقاربه ، وإضاعَةٌ لحقوقه ، وقطع لأعمال حياته ، وقتل نفس واحدة بلا مسوِّغٍ كقتل الناس جميعاً قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء : ٩٣] ، آخر ما نزل وما نَسَخَهَا شيء

وعن معاوية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** » رواه أبو داود والنسائي ، فيا له من ذنب ثقيل ، ويا لها من جريمة فظيعة ، وعن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ** » رواه ابن ماجه ، فما أحوج المسلمين في بقاع الأرض ، خاصة أولئك الذي يشهرون السلاح في عبث بأرواح الأبرياء مساء صباح ، باسم الجهاد ولا جهاد ، ما أحوجهم أن يُذْعِنوا

لنصوص الشريعة ، ويُصْغُوا لنداء أهل العلم والرأي ، والفضل لِحقن دماء المسلمين ، وكفى ظلماً وعاراً وشناراً .

ومن فتح على العمال والخدم أبواب الجور ، وأطلق عليهم عقال الظلم ، وبسط سيول التعدّي ، فآذاهم ، أو أذلّهم ، أو منع حقّهم ، أو تلاعب بمشاعرهم ، متَسَوِّراً ضَعْفَهم وحاجتهم إلى العمل ، أو استنفد قُوَّتهم ، ثمَّ لم يُوَفِّهِمْ أُجورَهم ، إذ لا يراهم إلاّ هملاً مضاعاً ، فقد باء بظلم وعار ، تجب التوبة منه .

قال ابن حزم رحمه الله : « واعلم أن التعسُّف وسوء الملكة لمن خوَّلك الله أمره من رقيق أو خدم ، يدلاَّن على دناءة الهمة ، وضعف العقل ، لأن العاقل الرفيع النفس ، العاليَ الهمَّةِ إنَّما يغلب أكفاءه في القوة ، ونظراءه في المنعَةِ ، وأمَّا الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة ، فسقوط في الطبع وعجز ومهانة ، ومن فعل ذلك فهو بمنزلة من يتبجَّحُ بقتل جُرَذ أو بقتل برغوث ، وحسبك بهذا ضعةً وخَسَاسَةً » انتهى كلامه بتصرف.

يروي أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ ﷺ فيقول : « كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا : **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ** ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ ، فَقَالَ : **أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ** » أخرجه مسلم

نَـأى الإسـلام بالعمـال مـن أن يكونـوا مُجَـرَّدَ آلاتٍ للإنتـاج ، أو دواليبَ تدور مع الثروة ، لتعود بالنفع على صاحب العمـل ، وقـرّر قبـل كل شيء بشريَّةَ العامِلِ ، وحفظ عليـه كرامَتَـه ، ودعـا إلى أن يُجْـزَل لـه النوال ، ويُسْكب عليه فَيْضُ السِّجال ، حيث قال ﷺ : « **أَعْطُوا الأَجِـيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ** » أخرجه ابن ماجه .

وكان يزيد بـن حكيـم يقـول : « مـا هبـت أحـداً قـط هيبـتي رجـلاً ظلمته ، وأنا أعلم أنه لا ناصر لـه إلا الله ، يقـول لي : حسـبي الله ، الله بيني وبينك » .

وهنا يأتي التوجيه النبوي الذي تتجاوب معه القلوب الحيـة ، لتتحلَّـل وتتنصّل من مظالم العبـاد ، قبـل يـوم الفصـل والتنـاد : « **مَـنْ كَـانَتْ لَـهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْـهُ الْيَـوْمَ قَبْـلَ أَنْ لا يَكُـونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِـهِ ، وَإِنْ لَـمْ تَكُـنْ لَـهُ حَسَنَاتٌ أُخِـذَ مِـنْ سَـيِّئَاتِ صَاحِبِـهِ فَحُمِـلَ عَلَيْـهِ** » رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

نعم حقوق العباد لا تسقط إلاّ بردّها إلى أصحابهـا مـع القـدرة علـى ذلك ، أو استحلالهم منها ، فإن كانت بالنفس مكّـن صـاحب الحـق مـن القصاص ، وإن كانت في المـال أعطـاه مالـه ، أمـا إن كـانت في العِـرْض بسبٍّ أو غيبةٍ ، وَجَبَ على المغتاب أن يُشَمِّرَ عن سـاعِدِه ، ويُطَـامِنَ مـن

كبريائه ، مبادراً إلى التحلّل بالاستغفار ، والدُّعَاء للمغتاب ، ويثني عليه في مجالسَ لَوَّث فيها ذِكْرَهُ ، ولعلَّ في ذلِك غُنْيَةً عَنْ إعْلامِه .

إن الأمر خطير ، وحقوق الناس أداؤها حتم في موقف حاسم ، حينئذ يفلس الظالمون ولو جاؤوا بصلاة وصيام وزكاة ، ذلك أن الظلم يأتي على الحسنات فينسفها نسفاً ، حين يقوم العبد إلى ربّه ، وقد حمَل من مظالم العباد أثقالاً من الديون ، وأرْتالاً من الأوزار ، فقد شتَم وسفَك ، وضرب وهتك ، فهذا خادم مغبون ، وذاك عامل مظلوم ، وجار له مشتوم ، ويتيم أو ضعيف ماله مأكول ، هذا وأمثاله يوم القيامة مفلسون

لو اسْتَعْرَضْنَا هذه البراهينَ السَّاطِعةَ والأدلَّة القاطِعة موقنين بوقوع مدلولها يوم الجزاء ، لما رأيت بائعاً مختلساً ، ولا تاجراً محتكراً ، ولا غنياً متكبراً ، ولا سارقاً عليماً ، ولا غاصباً أثيماً ، ولما امتلأت السجون بالمجرمين ، وضجَّت المحاكم بالمتخاصمين ، ولما اتُّهِم جليس ونديم وظُنَّ به الظنون .

عن أبي أمامة ﷺ قال : « يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه ، فما يبرح الذين ظُلموا بالذين ظَلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم

حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهـم ، حتى يَرِدُوا الـدرك الأسفل من النار » .

فلا تيأس أيها المظلوم ، ولا تتضجّر أيها المكلوم ، فَسَتُرَدُّ الحقـوق إلى أهلها : « **لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا** » رواه مسلم ، قسم نبوي من لسـان يقطر شهداً ، وقلب يفيض إشفاقاً وحبّاً ، وهو إعلامٌ تَرْجُف له القلوب ، وتتصدَّع له الأفئدة ، ويفرق منه أولوا الألباب .

« **لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ** » ، هن بهائم لا يعقلن ولا يفهمن ، لكنّ الله عز وجل حَكَمٌ عَدلٌ ، أراد أن يُرِيَ عباده كمال عدله ، حتّى في البهـائم فكيـف ببني آدم ؟

مع هدأة الليل ، وهجعة النـاس ، وسـكون الظـلام ، يتجـافى جنـب المظلوم عن مضجعه ، متقلّباً على فراشه يئنّ ممّـن ظلمـه ، وسـلب حقـه ، رافعاً أكفّ الضراعة بقلب منكسر ، وشـعور ذليـل ، ودمـوع متقـاطرة ، ساخنة قد اقشعرّ جلده ، تقاربت أنفاسـه ، أوقـات يتجلّـى الـربُّ الجبـار القاهر الذي لا يقهر ، الغـالب الـذي لا يغلـب ، حِينَ ينزل إلى السـماء الدنيا قائلاً : « **مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ** » رواه البخاري .

هنا تسري دعوة المظلوم في الليل ، والنـاس نيـام ، وتفتـح لها أبـواب السماء ، ويقول الرب : « **لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ** » رواه الترمذي

عن أبي هريـرة ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **ثَـلاثُ دَعَـوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْـوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ** » أخرجه الترمذي .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد العزيز الوهّاب ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا يحصيها عدّ ، ولا يسعها كتاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدّخرها ليوم العرض والحساب ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمّداً عبده ورسوله ، آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم آل ، وأفضل صحاب .

أما بعد : فاتّقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والنجوى .

احذروا أن يصدر منكم الظلم ولو لحيوان ، ففي الحديث الصحيح : « **دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلا** » أخرجه مسلم .

الظلم ظلمات وليس ظلمة واحدة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، تغشى الظلمة في قبورهم ، وفي حشرهم ، وفي عرصات القيامة ، إنهم يكونون في ظلام دامس .

قال ميمون بن مهران في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** ﴾ [إبراهيم : ٤٢] : « تعزية للمظلوم ، ووعيد للظالم » ، وقال : « الظالم والمعين على الظلم

والمحب له سواء » .

حين يمهل الله للظالم ، ولا يعجِّل له العقوبة ، يغترُّ بنفسه ، ويتمادى في ظلمه ، وينغمس في غيّه ، فتتكدّس عليه المظالم ، وتتضاعف المآثم ، فإذا أخذه الله على غرة لم يفلته ، أخذه أخذ عزيز مقتدر .

« **إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ :** ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢]

عاقبة الظالمين ترويه الخرائب المظلمة ، والذرية التعسة ، والمصير البائس المشؤوم ، قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل: ٥٢]

ماذا ينتظر الظالم من ظلمه ؟ لئن رُفِع في الدنيا ، وابتسمت له الأيام ، فإنه سيعضّ على يديه ندماً ، حين لا يستطيع أن يردّ حقاً أخذه ، أو يظهر عذراً عن ذنب اقْتَرَفه ، وهو مبهوت يتحيَّر لا يدري ماذا يفعل

المحنة الكبرى أمام الظالمين حين يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام ضحاياهم في مقاصاة بين يدي الحَكَمِ العَدْلِ ، وقد كُدِّسَتْ أوزارهم على ظهورهم،وشهِدَتْ عليهم أيديهم وأرجُلُهم وجلودهم بما أسلفوا ،يوم يود الذين ظلموا لو تسوَّى بهم الأرض ،ويوم يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

التربية والتعليم
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، أحمده سبحانه وأشكره على ما يسّر وأنْعَم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وألزم ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، غفر الله له ما تأخّر من ذنبه وما تقدّم ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما هلّلَ مُهَلّل وكبَّر .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

إن أول ما نزل من آيات القرآن قول الله تعالى لنبيه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١- ٥] .

هـذه أول صيحـة تسمو بقـدر القلـم ، وتُنـوِّه بقيمـة العلـم ، وتُعْلِـنُ الحَرْبَ على الأمية الغافلة ، وتجعـل اللبنـة الأولى في بنـاء كـل مسـلم : أن يقرأ ويتعلم .

أعلى القرآن الكريم دَرَجاتِ العلماء فقال : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّه لا إِلَـهَ إلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمَ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَـهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيـمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، فبدأ سبحانه بنفسه وثَنّى بالملائكة وثَلَّث بـأهل العلـم ، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً .

حثَّ المصطفى ﷺ على التزوّد من العلم ، وجعلـه طريقـاً إلى الجنـة : « **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَـى الْجَنَّـةِ** » رواه مسلم ، وقال : « **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَـا ، وَحَتَّـى الْحُوتَ لَيُصَلُّـونَ عَلَـى مُعَلِّـمِ النَّـاسِ الْخَيْرَ** » رواه الترمذي .

تميّزت الأمة الإسلامية عبر التاريخ عن غيرها مـن الأمـم والشعوب ، بأنها أمة العلم والمعرفة ، وأمة القلم والقرطاس ، قال علـي رضي الله عنه : « العلـم خير لك من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق ، مات خزان المال

وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة » .

تعليم العلم لله خشية ، وَطَلَبُهُ عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، لأنه حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والسلاح على الأعداء ، بالعلم يبلغ العبد منازل الأبرار ، وينال الدرجات العلى في الدنيا ، وفي دار القرار ، به يطاع الربّ وبه يعبد وبه يوحَّد ويمجَّد ، وبه تُوصَلُ الأرحام ، ويعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يلهمه الله السعداء ويحرم منه الأشقياء .

والآن ترى هذه الجموع المباركة من أبنائنا وبناتنا المتجهين إلى دور التربية والتعليم ، صباح مساء ، يروحون خماصاً ويغدون بطاناً ، تُشْعِرُ الرائي أن في الأمة نبض حياة ، وأن لها غداً مشرقاً مأمولاً بإذن الله .

إن الأعناق لتشرئبّ إلى استمرار النماء ، بالتربية الجادة ، في دُورٍ تحتضن براعم وناشئة أبرياء ، تنتظر منهم الأمة ردّ كيد الأعداء ، والمجتمع أن يكونوا له مخلصين أوفياء .

إن هذا التعليم مبارك ، وتزداد بركته ، وتبرز ثمرته ، ويتحقّق فضله بأمور منها : أدب وتقدير ، معلّم تهذّب بالخلق القويم ، تزكية وتهذيب وتربية مع التعليم .

الأدب مفتاح العلم ، وأساس الطلب ، فيتعلم الطالب أدب الجلوس وأدب الاستماع ، أدب السؤال وأدب الإنصات ، أدب الاعتذار وأدب الاستدراك .

يقول الإمام الشافعي : « كنت أصفح الورقة بين يدي شيخي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها » .

ويقول الربيع : « والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له » .

أما ابن عباس ابن عمّ رسول الله ﷺ ما منعه نسبه وعلوّ منزلته ، حين يبلغه الحديث عن رجل أن يأتي بابه وهو قائل نائم ، ثم ندع ابن عباس رضي الله عنه يكمل ويُصَوِّر حاله فيقول : « فأتوسّد ردائي على بابه ، تسفي الريح عليّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ، هلاّ أرسلت إليّ فآتيك ، فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك ، قال : فأسأله عن الحديث » ، هذا الأدب الذي يُعْلِي وقريب منه يا طلبة العلم يكفي .

إن لتقدير المجتمع للمعلّم أثراً نفسياً وواقعاً معنوياً ، لا لذات المعلم ، وإنما لشرف المهمة التي ينتسب إليها ، وسموّ الرسالة التي يؤدّيها ، فهو مُرَبِّي الأجيال ، وصانع الرجال ، وعليه تعقد الآمال ، وتحت إشرافه

يتخرّج العلماء والفضلاء والمفكرون والأدباء ، فالقوة البشرية للمجتمع ، والدعامة الأساسية للأمة ، وأمل المستقبل كل هذا تحت يديه .

المعلّم الذي يؤدّي رسالته عن رغبة ، وحبّ وطواعية لا عن تململ وتذمّر وكراهية ، هو الذي تهذّب بالخلق القويم ، وتحلّى بالمزايا الكريمة والسجايا الحميدة ، وتزيّن بالحكمة والعطف واللين ، والصبر والتحمُّل ابتغاء الأجر الجزيل ، وهو الّذي يحترم الكبير ، ويشفق على الجاهل والصغير ، امتلأ عطفاً ورحمة على طالب يتيم مسكين ، وحقّق إخلاصاً يملأ القلب باليقين ، هذا الذي تُعْقَدُ عليه الآمال ، والمصباح المضيء لطلابه طريقَ الأبرار ، والحصن الحصين من الفتن والأخطار ، وهنيئاً له قول المصطفى ﷺ : « **فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** » أخرجه البخاري ومسلم .

أما المعلّم الذي لا يصدق في عمله ولا يخلص ، يثور لأدنى زلل ، وكل هفوة عنده أمر جلل ، سريع الغضب والانفعال ، ألفاظه بذيئة ، كلماته نابية ، سلوكياته مشينة ، هذا يهدم ولا يبني ، لا يصلح ولا يهدي ، جهده تحصيل حاصل ، كلامه دون إشارة ، قوله دون دلالة ، صوته بلا معنى ، كَمٌّ دون كيف ، بدنٌ بلا روح .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢]

تبين لنا الآيات أن تعليم المعلّم لا يثمر ولا يصلح ، إلا بتهذيب السلوك وتقويم الأخلاق وتزكية النفوس ، كلّ ذلك من مدلولات التعليم النبوي ومستلزماته ، وهي إشارة إلى معلمينا الأكفاء وطلابنا النجباء ، أن يحقّقوا ذلك في معاقل التربية والتعليم .

وبهذا التعليم صار العربُ رعاءُ الشاء والغنم قادةَ أُمَم .

جعل منهم هذا التعليم حملة رسالة ، وصانعي أحداث ، ومؤسّسي حضارات ، تخرّج من مدرسته ﷺ عظماء ، ملؤوا الدنيا صلاحاً وفلاحاً ، وذِكراً وإعجاباً وفلاحاً ، ثم انطلق صحابته على منهجه في التعليم تربية وتزكية وتهذيباً ، وهذا مصعب ﷺ أُرْسِل إلى المدينة معلّماً وحيداً ، وكان أثره فريداً ، حيث عاد إلى مكّة قبل انقضاء العام في المدينة ، ولم يكن بطن من بطون الأوس والخزرج ، إلاّ وفيه عدد من المسلمين ، فتردّدت آيات الله في بيوت المسلمين من الأوس والخزرج ، رجالاً ونساء وفتياناً ، ما كان هذا الفتى الشاب ، والمعلّم الذي هجر الأهل والأحباب،

أن يُحدث هذا التحول العجيب والتأثير السريع بمجرد ترديد الآيات وتخزين المعلومات .

بالقدوة الصالحة ، ومخاطبة القلوب ، وتهذيب السلوك ، وتقويم الأخلاق ، حقّق مصعب ﷺ المراد ، وفي أقل من سنة أصلح ا لله به قلوب كثير من العباد .

وسجل لنا التاريخ حياة علماء ، تعليمهم على منهاج النبوة ، يفسرون الآيات ، ويشرحون المبهمات ، وكان كل منهم مدرسة حية مشاهدة ، إن تكلّم عن الصدق كان صادقاً في أقواله قبل طلابه ، وإن تكلّم عن الإخلاص رأيت ذلك في سمته ، وظهر على أفعاله ، إن حذّر عن المحرمات كان أبعد الناس عنها وعن كل فحش وبذاءة ، وإن رغَّب في الخيرات تراه أحرص الناس على الصدارة .

يقتبس طلابه من سلوكه وأحواله أكثر مما يحفظون من حديثه ومقاله، وبهذا يكون المعلّم ينبوعَ خيرٍ متدفّقاً ، وشمسَ صلاح مشرقةً ، وشريان حياة نابضاً .

إن أزمة المسلمين اليوم أزمة قدوات ، وليست أزمة معلومات ومؤلّفات ، هي أزمة خلق وسلوك مشاهد ملموس ، وليست أزمة نظريات ومثل ، وأخلاقيات مخزونة في الرؤوس ، أيعجز المعلّم المسلم أن يحث أبناءه على الصلاة والصيام ، ويرغبهم في بيوت ا لله وصلاة الجماعة

والقرآن ، ويدلهم على أبواب الرحمة ببر الوالدين وصلة الأقارب والأرحام ، ويحصّنهم الآفات والمخدِّرات والأخطار ، ومهيجات الفتن ، وزيغ المفاهيم ، وبلبلة الأفكار .

إن أعلى الشهادات في أي تخصُّص ، هي وُرَيْقَة لا قيمة لها ألبتة ، إذا لم يحتضنها قلب سليم ، وخلق قويم .

إن العالَمَ غني بجمع من المهندسين والأدباء والمفكرين والأطباء ، إلا أنه فقير إلى الأخلاق الفاضلة للطبيب المسلم الذي تستأمنه على عرضك وزوجك ، يضع المشرط باسم الله ، ويوقن أن الشفاء من الله ، وهو فقير إلى المهندس المسلم الذي يراقب الله فيما يعمل ، ويصمم وينتج ويقنّن ، وفقير إلى الأخلاق الفاضلة للأديب المسلم الذي ينطلق من مبادئ ثابتة ، ويصدر من قيم راسخة .

كل ذلك لا يتحقَّق إلاَّ في ظل معلّم ، يعلِّم ويزكِّي النفس ، ويربّي ويقوّم .

أيها المعلم الباني .. أيها الأب الحاني :

هذا صفوة الخلق ﷺ يعلّم ويربّي ، ويصلح ويهدي ، والأخلاق السيئة ينزعها فلا يذر ولا يبقي .

يعالج أخطاء طلابه بعيداً عن الإعلان والإذلال ، والعنف والانفعال

بال أعرابي في ناحية المسجد كما في صحيح البخاري ومسلم ، فصاح به الناس وقالوا : **مَهْ مَهْ** ، فقال المعلّم الجليل ﷺ : « **لا تُزْرِمُوهُ** » - أي دعوه - فتركوه حتى انتهى ، ثم دعاه ﷺ قائلاً له : « **إنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ ، إنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** » .

هذه الحكمة مع أعرابي جافي الطباع ، خشن المعاملة ، أثمرت القبول والاستجابة والتسليم والطاعة .

لم تكن تربيته محصورة في المسجد ، أو في وقت دون وقت ، بل كان ﷺ مع طلابه يوجّه ، ويعلّم ويهذّب بأساليب تتلاءم مع الأشخاص والأحداث .

يقول لأبي ذر لمّا عَيَّر رجلاً بأمه : « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** » رواه البخاري ، ويرى يد عمر بن أبي سلمة تطيش في الصحفة - إناء الطعام - فيقول له : « **يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** » رواه البخاري ، ونراه تارة يُعرِّض في التوجيه والإرشاد للمتعلّمين فيقول : « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا** » رواه البخاري ومسلم ، ويوجِّه أخرى بأسلوب أشدَّ تأكيداً لأهمية الموضوع : « **مُرُوا**

أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » رواه أبو داود .

إن سألت عن منهجنا نحن المسلمين في تزكية النفوس وإصلاح القلوب وتربية الأبناء ، فهذا منبع متدفّق سيّال في مدرسة نبوية صافية ، نطق التاريخ بأمجاد رجالها ، واستَلْهَمْنَا منها عبرها ونماذجها .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق من الماء بَشَراً ، فجعله نَسَباً وصهراً ، وكان ربك قديراً ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق كل شيء فقدَّره تقديراً ، وأشهد أن محمداً عبده ، ورسوله بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

لقد عالج المصطفى ﷺ مشكلات الشباب ، وخاطب همومهم ، واقتلع نوازع الشر من نفوسهم ، ووجدوا في حديثه البلسم الشافي ، لاسيما وأن العالم المعاصر اليوم يئنّ من مشكلات الشباب وتعقُّدها ، حتى أصبح الشباب عنصر هدم في كثير من المجتمعات ، مع توفّر الضوابط والعقوبات ، وكثرة الدراسات والتحليلات ، وشاطئ الأمان معلّم على منهج النبوة .

أيها المعلم .. أيها المربي :

اتَّق الله في هذه الأمانة : « **فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » رواه البخاري ، إن لك أثراً في صياغة الأمة وسيرها خيراً أوشراً، سلباً أوإيجاباً ، إن لك أثراً في إنشاء جيل يفكر بعقل المسلم ، ويكتب بقلم المسلم ، ويدير ما يوكّل إليه من أعمالٍ لخدمة أمته ودينه ومجتمعه ، بِسِيرَةِ وَبَصِيرَةِ المُسْلِم وخُلُقِه .

فأثرك خطير ، ومهمّتك صعبة ، وأجرك عظيم ، فأنت أشبه بالربَّان الذي يقود السفينة ، وبيده إنجاؤها أو إغراقها ، فلتكن لك سيرةٌ حسنة ، وخلقٌ قويٌّ ، ومبدءٌ ثابتٌ ، وغايةٌ حميدةٌ ، وإيمانٌ با لله قويٌّ .

من الواجب على المعلّمين والآباء تَعَهُّدُ فِطْرَةِ الأولاد من الانحراف ، وصيانة عقيدتهم الإسلامية ، فَيُحَبِّبُوا إليهم الإيمانَ منذ الصغر .

ونقطة البدء تبدأ بغرس كلمة التوحيد : « لا إله إلا ا لله » قولاً وعملاً واعتقاداً .

فهذه أم سليم أم أنس بن مالك ، خادم رسول ا لله ﷺ أسلمت ، وكان أنس صغيراً لم يفطم بعد ، فجعلت تلقّنه قل : لا إله إلا ا لله ، قل : أشهد أنّ محمداً رسول ا لله .

وكذلك التركيز على حبّه ﷺ ، والتأسّي بأخلاقه ، والمعلّم الواعي والمربّي الصادق ، ينتهز الفرصة لتوجيه طلاّبه إلى حبّه ﷺ ، والحديث عن

شمائله : رفقه بالخدم والحيوان ، تواضعه ، حياته ، شجاعته ، ذكر الله ، إلى غير ذلك ، كيف لا نحبه وهو الذي يحبنا ، فقد سأل الله أن يخفّف عن أمته الصلاة في الإسراء ، كما أخّر دعوته لأمته ، كي يشفع لها يوم القيامة ، إننا نحبه ونتخذه قدوة لنا ، نطيعه فيما أمرنا ، ونصلّي ونسلّم عليه عند ذكره ، فالصلاة على النبي ترفع الدرجات ، ومن أسباب تحقق شفاعته ، ومن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشراً .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

تربية الأولاد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أرشد الخلق إلى أكمل الآداب ، وفتح لهم من خزائن رحمته وجوده كل باب ، أنار بصائر المؤمنين ، فأدركوا الحقائق وطلبوا الثواب ، وأعمى بصائر المعرضين عن طاعته ، فصار بينهم وبين نوره حجاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك العزيز الوهَّاب ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث بِأَجَلّ العبادات ، وأكمل الآداب ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢]

عباد الله :

الأولاد هبة الله للآباء ، تَسُرُّ الفؤادَ مُشَاهَدَتُهم ، وتَقَرُّ العينُ

برؤيتهم ، وتبتهج النفس بمحادثتهم ، فهم ريحانَـةُ الألِبّـاء ، وزهـرة الحيـاة الدنيا قال تعالى : ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٦] ، وجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَـيْنُ يَسْعَيَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَـالَ : « **إِنَّ الْوَلَـدَ مَبْخَلَـةٌ مَجْبَنَـةٌ** » أخرجه ابن ماجه ، أي : « من أجلهم يبخل الإنسان ويجبن » .

هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة .

الولد أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة نفيسة وهي قابلة لكل نقـش ، فإن عُوِّدَ الخيرَ نشأ عليه ، ولأبويه الأجر والثـواب ، وإن عُـوِّدَ الشـرَّ نشـأ عليه ، وكان الوزر في عنق أبويه .

لهذا نجد الرسول ﷺ يحدُو الوالدين على تربية الأبناء ويحضُّهُما عليها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « **أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ** - وفيـه - **وَالرَّجُـلُ رَاعٍ عَلَـى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » رواه البخاري ومسلم .

هـذه المسـؤولية أضاعَهَـا بَعْـضُ الآبـاء ، فاهتمامـاتهم الأرضيـة ، ومطامحهم الدنيوية ، قتلت أوقاتهم ، وأنهكت قواهم ، وأشغلت فكرهـم

بهموم دنياهم ، ففقد الأولاد أبوة التوجيه ، أبوة التربية ، أبوة العطاء والخبرة .

كيف يمارس الأب التربية وهو لا يعيش حياة أولاده ، لا يناقش همومهم ، لا يَحُلُّ مشكلاتهم ، لا يُصَحِّحُ مسارهم ، لا يُهَذِّب أخلاقهم ، فالتربية ليست مجرّد طعام طيّب ، وشراب هنيء ، وكسوة جميلة .

ويعظم الخطب حين تُضيع الأمُّ التربية بمشاغِلها واهتماماتها ، يضع الرسول ﷺ قاعدة أساسية مَفادها أن الولد يَشِبُّ على دين والديه ، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ** » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنّه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللابن على أبيه حقٌّ » ، ثم يقول : « فمن أهمل تعليم ولده مَا ينفعه وتركه سدى ، فقد أساء غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبَلِ الآباء ، وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسُنَنه ، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً ، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال : يا أبت إنك

عققتني صغيراً فعققتك كبيراً ، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً » انتهى كلامه رحمه الله .

تدبَّر دَعْوَةَ إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

مِن عِظَم الإيمان في قلب الخليل عليه السلام أن تكون أمنيّته ذريةً صالحةً ، إن غيره يطلب لذريَّتِه الغنى والرياسة ، أو ما شاء من مُتَع الحياة الدنيا ، لكن أنبياء الله لهم شأن أعلى وأمنية أسمى .

عرف الأوَّلون ما للأبناء من أثرٍ في حياة الأمة ، إذ هم الدم الحار الذي يتدفَّق في عروقها ، والشمس الساطعة التي تضيء جوانبها ، والسلاح القوي الذي يُوَجَّه إلى صُدُور أعدائها ، والدّرع الواقي الذي يحمي حماها ويحقق لها المجد والعزة .

وبِفَضْلِ التربية على العقيدة الصافية ، والأخلاق السامية ، خَرَّجَ لنا السلف أكرم جيل وأفضل رعية ، ولو سَبَرْنَا أحوالهم وتتبعنا سيرهم ، لوجدنا أن وراء كل واحد منهم تربية عميقة .

هذا أنموذج لأم من أمهات السلف ، جعلت من ولدها بفضل الله عَلَماً شامخاً وإماماً جليلاً ، حيث تقول لابنها أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري : « يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي » ، تتخوّله

بالموعظة وتؤدِّبه ، تغذِّي القلب والرُّوح ، وتشحذ الهمَّة بالطموح ، فتقول له : « يا بني إن كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » .

قَلِّبْ تاريخ هؤلاء وغيرهم تَر أنَّ وراء العظماء تربيةً إيمانيةً ، أساسها أبٌ همامٌ وأمٌ قديرة .

أما رسول الله ﷺ فقد كانت تربية الأولاد همّاً من همومه ، تستغرق جانباً من وقته ومهماته ، ها هو يركّز في قلوبهم العقيدة والإيمان ، ويعلّمهم التقوى والإيمان ، ويُقَوِّي صِلتَهم با لله ، فيقول لابن عباس رضي الله عنهما : « **يَا غُلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ** » رواه الترمذي .

كان يرحمهم ، ويبعث في نفوسهم الثقة ، ويكرمهم ، يحرِّك مشاعر الأطفال ويشعرهم بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب ، قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ** » رواه البخاري .

يحثّهم على العلم والتعلُّم ، ويهيء لهم أسبابه ، ويضمّ ابنَ عباس رضي الله عنهما داعياً له بقوله : « **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ** » رواه البخاري

يعلِّمهم الآداب الكريمة ، والخِلالَ الحميدة ، فعن عمرو بن أبي سلمة قال : « كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله ﷺ : « **يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عامر قال : « دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ : هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟** قَالَتْ : أُعْطِيهِ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ** » أخرجه أبو داود .

إذا وجد الوالد أمَّه تكذب على أبيه ، أو وجد أباه يكذب على أمِّه ، أو وجد أحدهما يكذب على الجيران ، ولو كان ذلك مرةً واحدةً فإنَّها كفيلة بأن تُدمِّر قيمة الصدق في نفسه ، ولا ينفعهما حينئذ في تقرير قيمة الصدق في نفس الولد أن يرددا على سمعه النصائح والمواعظ في ذلك .

وكذلك لو وجد أُمَّه أو أباه يغش أحدهما الآخر ، أو يغشان في قول أو فعل ، مرة واحدة فإن تلك المرة من غشيان الغشِّ كفيلة بأن تدمِّر قيمة الاستقامة في نفسه ، ولو انهالت على سمعه التعليمات ، وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية .

إن السباق المحموم ، والغرور المشؤوم لسرقة أولادنا من بيتنا ، سرقة أفكارهم وعقولهم وقلوبهم آثارُه خطيرة .

فالعالَمُ اليومَ - وقد اتصل شرقه بغربه ، وتقارب أعلاه من أدناه - تموج في سمائه فضائيات مُهلكة ، وقنوات مدمِّرة ، وأفكار مبلبلة ، وتتلوّث أرضه بمخدّرات مفسدة ، وقصصٍ مَاجنة ، وروايات خليعة ، ناهيك عن شياطين الإنس والجن ، كُلٌّ ذلك يهدم معالم الشخصية الإسلامية ، وبناء معالم شخصية أخرى يتغلغل فيها الانحراف ، وتستهويها الجريمةُ ، وتمارس التمرُّد والعقوق .

إن الَّذي يُهمل تربية ولده ، وإعدادَه ليس يقتل نفساً واحدة ، ولكنه يقتل خلقاً كثيراً ، ويجني بعد هذا على الأمة كلها ، حين يصير هذا الولد أستاذاً أو مسؤولاً أو قَيِّماً على أسرة .

وقوام التربية الحقَّة ومِلاكُها أن تجتمع عليها تدبيرات ولاة الأمور والعلماء والآباء : كلٌّ في منصبه ومكانته .

إلا أنه قد بقي منصب الآباء وحق الرعاية المنوطة بهم مطالباً بيقظة دائمة ، وتربية إيمانية عميقة ، كما يفرض منصب الإصلاح بالمؤسسات التربوية على اختلاف مواقعها اهتماماً مكملاً للبناء والإصلاح ، فننمي فيها وبها بذرة التديّن ، وَنَتَعَهَّدُهَا بالنماء ، ونحفظها من أيدي العابثين ، ليكون أبناء الجيل فاعلاً لا غافلاً ، مؤثّراً لا متأثّراً ، متبوعاً لا تابعاً ،

مُصلحاً لا مقلّداً ، ويكون لَبِنَةَ بِنَاءٍ وَإشعاعَ خَيْرٍ لمستقبل مجتمعه ، وحضارة أمته ، له انتماؤه الإسلامي المتميز ، وعقيدته الراسخة ، وجديته الماضية .

إن الجيل الذي لا يعرف إلا الترف والبذخ والانغماس في الملذات جيل ناعم ، لا يصلح لشدائد الحياة ، يهرب من تحمل الأعْبَاءِ ، ينشأ نشأة لَيِّنَةً طَرِيَّة ، لا رجولة فيها ولا خُشونة ، لا صبر ولا مصابرة ، يشعر بالعجز عن القيام بواجبه ، وتحقيق معالي الأمور ، لم يَتَرَبَّ على بذل الجهد والتضحية لخدمة أمته ، وسعادة مجتمعه ، فقد اعتاد الأخذ و لم يتعوَّد على العطاء .

إنَّ الأمم التي بَعُدَ صيتُهَا - قد دخلت التاريخ - لبلوغها عنان السماء في الصنائع والمآثر ، التي يناط بمثلها الذِّكْرُ الجميلُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْر ، ويُخَلَّدُ الثناءُ الطيبُ على تراخي الأحقاب ، لم تكن لتحقّق شيئاً مما حققت ، ما لم تكن تملك قدراً من حياة الجد والهمة العالية ، هذه سنة الله في الحياة أن لا ينجح إلا الجادُّون أصحاب الهمم العالية .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كان يقول كل يوم : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ** ... » رواه البخاري .

وفي العاجز الكسول يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « لا يزال في حضيض طبعه محبوساً ، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدوداً

منكوساً ، قد أسام نفسه مع الأنعام ، راعياً مع الهمل ، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة ، واستلان فراش العجز والكسل ، لا كمن رُفِعَ له علَـمٌ ، فشمَّر إليه وبُورِكَ له في تفرُّده في طريق طلبه ، فلَزِمَه واستقام عليه » .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسـول ا لله ﷺ : « **إِنَّ الرَّجُـلَ لَـتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : أَنَّـى هَـذَا ؟ فَيُقَـالُ : بِاسْـتِغْفَارِ وَلَـدِكَ لَـكَ** » أخرجه ابن ماجه .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فقَدْ حذَّر الرسول ﷺ من الدعاء على الأولاد ، ذلك أن دعوة الوالد مستجابة ، وما يدريك أنها قد توافق ساعةَ إجابةٍ ، فيشقى الولد بعدها شقاء عظيماً ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ** » رواه أبو داود .

وقال : « **ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ** » أخرجه ابن ماجه .

ما دامت دعوتك مستجابةً فَلِمَ تحرم ولدك وفلذة كبدك فضلَ دعوة صالحة تكون سبباً إن شاء الله تعالى في هدايته ، واستقامته ، وبركته ومصدر خير ، وسبب أمن لوالديه ، ومجتمعه وأمته .

فهؤلاء أنبياء الله ورسله لا يَغْفُلُون عن الدعاء والالتجاء إلى الله أن يهب لهم ذريَّةً صالحةً قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

وقال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، ولما وهب الله له يحيى قال : ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ [مريم : ٦] .

من الواجب علينا أن نغرس في قلوب الأولاد الإيمانَ ومحبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، وأن نملأ أوقات فراغهم بالمفيد ، بل إن أعلى المطالب وأشرف المواهب اشتغالهم بحفظ كتاب الله تعالى ، فهو يُزَكِّي نُفُوسهم ويحفظ أوقاتهم ، يحميهم من الضياع والانحراف ، يُفَجِّر ينابيع الحكمة في قلوبهم ، ففضائل القرآن لا تخفى .

يملأ أوقات فراغهم بمزاولة حِرفة أو صِناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فذلك مِن أشرف المكاسب ، والإسلام كرَّم العمَّال ، واعتبر كَسْب الرجل من يده من أفضل القربات ، لقد كان النبي ﷺ يُزاول التجارة قبل مبعثه ، وهو القائل كما روى البخاري : « **مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا رَعَى**

الْغَنَمَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ » .

وأخرج البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ** » .

من الواجِب على الأب أن يُجَنِّبَ أولاده الكسل والبطالة ، فإنَّ لَهُمَا عَوَاقِبَ سُوءٍ وَمغبَةَ ندم

يشوِّقهم إلى الذهاب للمسجد صغاراً ، ويحملهم عليه كباراً ، يُخَصِّصُ لهم وقتاً يُؤَنِّسُهُم فيه ، يُسَلِّيهِمْ ، يُعَلِّمُهم ما يحتاجون إليه ويقصُّ عليهم أحسن القَصَص ، يُشْبِعُ عواطفهم بالرعاية والرحمة والحنان ، يصطحبهم لِحِلَقِ العلم والمحاضرات والنَّدَوات ، يُقِيمُ لهم حلقة علمية في بيته ، يُعَلِّمُهم فيها القرآن وحسن الاستماع وأدب الحِوَار .

يُحَذِّرُهم أَصْحَابَ السوء أن يلتقطوه فيهووا به إلى دركات الرذيلة وارتكاب الجريمة .

ومسْك الختام تشويقهم إلى سيرة سيد الأنام ﷺ ، فهي التطبيق العملي لمعاني القرآن والأخلاق العظيمة ، ولما لها من تأثير محبب في النفس ، ولما تحمل في حياتها من معاني الحب والإخلاص .

التربية تحتاج إلى صبر ومصابرة ودعاء ومتابعة ، فربما استجاب الولـد بعد حين وادّكر بعد أمة .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

شباب ومخاطر
الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فهي النجاة وسبيل الفلاح ، من اتقاه وقاه ، ومن سلك سبيله نجاه .

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

[سورة الروم : ٥٤]

لَقَدْ سِيقت هذه الآية الكريمة للادِّكار والاعتبار ، ففيها يُنبِّه جلَّ وعلا بني الإنسان إلى أصل خلقهم ، ثم إلى الأدوار التي مروا وسيمرون بها في هذه الحياة ، يخرج من بطن أمه إلى الدنيا ضعيفاً واهِنَ القوى ، أحوج ما يكون إلى غيره : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ﴾ ، ثم يأخذ في القوة حتى يصير شاباً مكتمل القوى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾، ثم يأخذ في النقص فيكتهل ، ثم يشيخ ، ثم يهرم : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً ﴾ .

الشباب : هو زمن العمل ؛ لأنه زمن قوة بين ضعفين ، وهو ضيف سريع الرحيل ، فإن لم يغتنمه العاقل تقطَّعت نَفْسُه بَعْدَ حَسَرَاتٍ ، إنه

صحة لن تعود ، ونشاط لن يبقى ، وحواس تنقص ، كانت صفية بنت سيرين توصي فتقول : « يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب ، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب » .

الشباب : أمل المستقبل وزمن الحاضر ونهضة الغد ، هم أغلى مِن كل رغبة ، وأفضل من أيّ فائدة ، وأسمى من أيّ مَغْنَم ، ما استتبَّ لأمة أَمْنٌ إلاّ بسواعدهم ، وما اتَّسق لها عز إلا بعزتهم ، ولا تهيَّأت لها رِفعة إلاَّ بقوتهم .

إن مرحلة الشباب سِلاح ذو حدَّيْن ، تحمل في طياتها عنصر الخير ، وقد تتوجَّه إلى البر والإصلاح والبناء والتعمير ، أو تشتغل إلى عكس ذلك وتؤدي إلى شر مستطير ، وهدم وتدمير ، وضرر وإفساد .

والقرآن الكريم يعرض نماذج رفيعة للشباب المؤمن ، ويجعلها مثلاً أعلى للشباب في كل زمان ومكان ، ففي سورة الكهف قال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ [الكهف : ١٣ - ١٤] .

ويُسَجِّل القرآن حياة يوسف عليه السلام الذي تعرض للابتلاء من صِغَرِه ، بل كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من المحن والشدائد ،

فخرج منها جميعاً طاهراً نقياً عفيفاً نزيهاً ، حافظ على نقاوة شبابه ومروءته وشرفه ، ثم مكّن الله له في الأرض : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٥ - ٥٦] .

كما يعرض القرآن لحياة موسى عليه السلام ، وكيف أنه في ريعان شبابه ، وعنفوان قوته ، كان يستخدم هذا الشباب في حمل الخير ومساعدة المحتاجين : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣ - ٢٤] .

الشباب : لهم ماضٍ مُشْرِق في التاريخ الإسلامي ، كانوا أول الداخلين في الإسلام والملتفين حول رسول الله ﷺ ، والشعلة المضيئة في السيرة ، غذاهم الإسلام بمبادئه ، وَرَوَّضَهُمْ على تعاليمه ، ففي ميدان العلم والمعرفة جعل منهم أئمة في الدين وأعلاماً في الفقه ، وفي مجالات

العبادة جعل منهم رهباناً بالليل : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧ - ١٨] ، كانوا مشاعل النور إلى العالم في الدعوة إلى الله ، وسطَّروا ملاحم البطولة ، ونال كثير منهم شرف القيادة ، وشرف النصر ، وشرف الشهادة .

الشباب : هم عُدَّة المستقبل ، وإذا أردت أن تبين مستقبل أمَّة ، فانظر إلى شبابها ، فإذا وجدته مؤمناً به ، مقتدياً برسول الله ﷺ مقبلاً على الطاعة ، يحيا حياة عاملة جادّة ، ينافس في ميادين الاختراع والابتكار والبناء ، فاعلم أن للأمة غداً مشرقاً بالعز والمجد .

أما إذا رأيت شباب الأمة معرضاً عن تقوى الله ، منغمساً في الرذائل ، منصرفاً إلى اللهو والعبث ، غارقاً في الشهوات والملذات ، فقد الاتزان في تفكيره وسلوكه فأي مستقبل تتطلّع إليه الأمة ؟

لقد كان رسول الله ﷺ يهتم بالشباب ، يجيب دعوتهم ، فعن عبد الله بن بسر قال : « بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَدْعُوهُ إِلَى الطَّعَامِ ، فَجَاءَ مَعِي ... » أخرجه أحمد .

ولقد كان وهو في مجالسه التي يحضرها كبار القوم يعرف للشباب قدْرَهم ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : « أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَالَ : **يَا غُلامُ**

أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ » أخرجه البخاري .

وحين يمرض أحدهم يعوده ويطمئنُّ على حاله ، فعن زيد بن أرقم قال : « أَصَابَنِي رَمَدٌ فَعَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ ... » أخرجه أحمد .

هذا الاهتمام يجب أن يستثير اهتمام العالِم المسلم ، والكاتب المسلم ، وأهل الرأي والتربية لتحصين الشباب من المخاطر التي تواجههم ، وقد تسبب لهم الانحراف ومنها :

الفراغ : الذي يسبّب تَبَلُّدَ الفكر ، وضعْفَ النفس ، واستيلاء الوساوس والأفكار الرديئة ، والإرادات السيئة ، ومَن عَلِم أن الشباب ضيف لا يعود ، وفُرصة إذا مرَّت لا رجوع لها شغله بطاعة الله والعمل الجاد ، ومن أتبع نفسه هواها قاده الشيطان بزمام الشباب إلى التهلكة .

جلساء السوء : يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وإذا ارتبط بهم الشاب فإنهم يَجُرُّونَه إلى المغامرات الدنيئة ، والمخدرات المدمرة ، بل ما يزالون به ليكون عضواً فاعلاً في سلك التهريب ، ونشر الرذيلة قال ﷺ: « **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ** » أخرجه أحمد .

كثرة المثيرات : من خلال المشاهد الهابطة التي تُصَوِّر لهم مباهج الحياة المتحلّلة ، وتُرَسِّخُ في أذهانهم أن الدنيا كأسٌ وغانية ، وهذا ما

يتطلع إليه، إنها عملية استثارةٍ مستمرة ، ليسقط الشباب في ميدان القيم ، ويُفْلِس في ميدان الروح والخلق .

إنّ شبابنا يقع في كل دقيقةٍ من يومه تحت تأثير الضخ الإعلامي الفضائي الذي يُصَوِّبُ ضِدَّ حصوننا أعْتَى سلاحٍ ، لينزع الشباب من تُرْبَتِه ، فيقطع من جذوره ، ويُمْنَع عن وِرْدِه .

والأمة التي تسعى لحماية شبابها مطالبة بإعلام يَرُدُّ على مقولات الترويج والتخريب ، إعلام يدخل معترك المنافسة باقتدار يحوِّل الجهد في مغبات الشهوة والرذيلة ، إلى إجهاد النفس في ميادين اكتساب العلم والمعرفة على أرضية الخلق والإيمان ، ليضمن حضوراً فاعلاً في ميادين التقدُّم والحضارة والقيم ، فإنه لا بقاء لأمة أظلم روحها ، واضطرب تفكيرها ، ولصقت بالأرض لصوق الهوام والحشرات .

الشباب : في كلِّ أمَّة هم ثَرْوَتُهَا ، فالإنتاج الاقتصادي في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة يحتاج إلى الطاقات الشابة والسواعد المفتولة التي تعمل بكفاءة وإخلاص ، وعلم وإيمان ، وقُوَّةٍ وأمانة .

وميادين البحث العلمي بحاجة إلى صبر ومعاناة ، وسهر ومجاهدة ، لذا فإن المحافظة على الشباب عقيدةً راسخةً ، وفكراً صافياً ، وجسماً قوياً أشد إلحاحاً ، فهم ثروة الأمة الحقيقية .

ومن المخاطر التي تُواجِه الشباب : **التأثر بالأخلاق الوافدة** : في الملبس ، في الأفكار ، في الثقافات ، في طريقة الحياة الاجتماعية ، بل قد يتجاوز الأمر مرحلة التقليد إلى مرحلة الإعجاب بأخلاق الكفار ، إنها دليل على انغلاق الفكر وضياع الشخصية ، إذ كيف يُقلِّد المسلم الكافر في باطله ، والغربَ في انحلاله وميوعته ، فلا إله في نظره يرقب جزاءه ، ولا دين يتقيد بحدوده ويسير مع أحكامه ، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟** » أخرجه البخاري .

ومن الأخطار : **غلاء المهور** : وتكليف الشاب الأموال الطائلة ، فيحرم الشاب من الزواج المبكر ، ويترتب على ذلك مفاسد أخلاقية ، والإسلام حث على تخفيف المهور ، ونبذ التباهي بالمظاهر والشكليات في حفلات الخطبة والزواج ، قال ﷺ : « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** » أخرجه البخاري ومسلم .

ومن أعظم المخاطر : **انشغال الآباء والأمهات** : عن تخصيص الوقت الكافي للتربية ، فيُتْرَكُ الشباب في مواجهة العواصف العنيفة ، والتيارات العاتية دون سِنَةٍ من توجيه وإرشاد ، وهذا يجعل مقاومتهم ضعيفة ، ومناعتهم محدودة ، فيغرقون في دوامات تطويهم وتعصف بهم

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧ - ١٠] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

لقد حرص الإسلام على تكوين الشباب فحث على التزام الطاعة لله والعبادة له قال ﷺ : « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ** - وذكر - **وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ** » رواه البخاري ومسلم .

حث الشباب على اغتنام القوة والصحة في الشباب فقال ﷺ: « **اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ** » رواه الحاكم .

بيَّن أنَّهم مَحَاسَبُون على هذا الشباب ومسؤولون عنه فقال : « **لا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ** : - ومنها - **وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ** » رواه الترمذي .

أعظم وسيلة لتحصين الشباب ترسيخ الإيمان ، فالإيمان بالله يملأ القلب طمأنينة ، ويبعث في النفس الثِّقَة ، ويحوط المؤمن بسياج منيع ، التوجيه الصالح الرشيد الذي يتضافر عليه البيت والمدرسة ، فالشباب بحاجة إلى أبوة بحب، ونصح بعلم ، وتوجيه بإخلاص ، وقيادة بمثل .

لا يكفي أن نطيل الكلام في مزايا الإسلام والمسلمين دون أن نهيء قدوة صالحة ، وأسوة حسنة لشبابنا في بيته ومن حوله .

لابد أن نحرص على المصادر التي يستقي منها الشباب ثقافتهم وزادهم الفكري ، حتى تكون صدورهم منابع صافية غير مشوبة بلوثات فكرية أو شبهات دينية ، لتصب جميع القنوات في تنشئة الجيل الصاعد .

الكلمة المسموعة ، الحرف المطبوع ، الأندية والجمعيات تُكَوِّن كلها جوّاً مؤثراً على تربية الشباب وتوجيههم ، فإذا كانت متمشية مع عقيدة الأمة ، معبرة عن قيمتها وحضارتها نشأ جيل من الشباب مؤمن بربه ، متمسك بعقيدته .

المسجد له دوره باعتباره محضناً للشباب ، يمنحه الثبات والاستقامة ، فهل يحيي الأئمة والخطباء دور المسجد ورسالته ؟

ويجب التنويه إلى وجود الشباب المستقيم المتمسك بالإيمان الصحيح والعمل القويم ، ينبذ العنف والتطرف ، يلتفّ حول العلماء وولاة أمره .

يؤدي واجبه تجاه أمته ووطنه ومجتمعه ، ها هو في كل ميدان ، في العلم والعمل ، في الصناعة والتجارة ، في التقنية والإنتاج ، شباب يعد مفخرة الأمة ورمز حياتها وسعادتها ، هو من مبشرات الخير ، ومن خير المبشرات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الفقر مشكلة وحلول

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، قدّر الغنى والفقر ، وأمر بالصلاة والصبر ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حذّر من ضلال يعقبه خسر ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله تعوَّذ من القِلَّة والذِلَّة والفقر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما أقبل ليل وتسنَّم فجر .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، فإن من اتّقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

من مشكلات العالم الإسلامي والتي ليست وليدة اليوم ، ولكنها ولدت مع البشرية ، مشكلة الفقر ، مشكلة الفقير الذي لا يجد كفايته ، أو الفقير المتعفّف الذي لا يسأل الناس إلحافاً ، ولا تزال المشكلة هي الشُّغْل الشاغل للبشرية ، من أسبابها : الكسل ، والجهل ، والإسراف ،

والتبذير ، كما أن الحروب المسَعَّرة ، والفتن الداخلية ، وكذا الزلازل ، والبراكين ، وكثرة فيضان الماء في الأصقاع ، والأوبئة تغيِّر معالم الأرض ، وتأتي على الأخضر واليابس ، ويعقبها يتم ، تأيُّمٌ ، تشرّد ، فقر وجوع .

لقد أنشب الفقر أنيابه في أجزاء من العالم الإسلامي ، وانطوت الأحشاء على الجوع ، نتج عن ذلك ضعف الكيان الصحي للأمة ، وضعف الروح الدينية والحالة العلمية والمعنوية ، وراجت سوق المذاهب الهدامة ، لذا استعاذ الرسول ﷺ من الفقر وفتنته فقال : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ** » أخرجه أبو داود ، وقال : « **اللَّهُمَّ فَالِقَ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ** » أخرجه مالك ، وقال ﷺ مخاطباً أمته : « **تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ** » أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد .

ولا غرابة في ذلك فالفقر له آثاره السيئة على الفرد والمجتمع والأمة ، على العقيدة والإيمان ، على الخلق والسلوك .

الفقير الذي لا يجد ما يسد رمقه ، ويخفّف لوعة جوعه ، ويطفئ غلته قد تتزعزع عقيدته ، بل ويتنازل عنها حين لا يجد إلاّ أولئك الذين يقدّمون له كسرة الخبز بيد ، والصليب والإنجيل باليد الأخرى .

الفقير المحروم قد يدفعه بؤسه وحرمانه إلى سلوك ما لا ترضاه الفضيلة والخلق والكريم .

إن الفقير حين لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ، وقد اتقد في جوفه نار الجوع ، ولا يرى من يعطيه ما يستعين به على بلغة العيش وأسباب الحياة ، يسوقه حادي السغب إلى مغادرة البيت ، فتتلقفه أيدي السوء والجريمة ، وتحيط به هالة الشر والانحراف ، فينشأ في المجتمع مجرماً، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض .

سجّل القرآن حقيقة تاريخية رهيبة ، هي أن بعض الآباء قتلوا أولادهم ، وفلذات أكبادهم ، تحت وطأة الفقر المدقع ، أو خشية الفقر المدقع ، فكانت جريمة بغيضة ، حطَّمَت الفضيلة ، وأزهقت الإنسانية قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ، وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١]

إنَّ مِن المسلمين مَن يَزْعُمُ أَنَّ صاحب الرسالة آثر الفقر على الغنى ، ودعا إلى قلة ذات اليد ، فنشروا الفقر في الأمة الإسلامية ، وجعلوها لا تُحْسِنُ إدارةَ مِفْتَاح خزَائِنِ الأرض ، ولما توسَّع غير المسلمين في الدنيا ، وشؤون العمران ، والصناعات ، امتلكوا البحار وبطونها والأرض

وهواءها ، فكانت السيادة الدنيوية المادية البحتة لهم مع كفرهم ، وكان الواجب أن نسبقهم في علوم الحياة فإن الله يقول : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة : ٢٩] ، وفي السنة الصحيحة « **لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** » رواه البخاري .

لقد اعتنى الإسلام بعلاج الفقر ، ورعاية الفقراء ، بمنهج لم يسبق له مثيل في أيّ دين سماويّ ، أو مذهب بشريّ .

فحث الإسلام على العمل حتى آخر لحظة من لحظات العمر ، حتى آخر خطوة من خطوات الحياة فقال ﷺ : « **إنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ** » رواه أحمد .

إلا أن فقراء المسلمين أساؤوا إلى أنفسهم حين ركنوا إلى الكسل والتسول ، سوّغ بعضهم قعوده عن العمل بدعوى التوكل على الله ، وانقطع آخرون لعبادة ربهم كالرهبان في الأديرة ، فلم يعفوا أنفسهم وضيعوا أهلهم ، مع أن سعي الإنسان في الأرض ضرب من الجهاد في

سبيل الله ، ولهذا قرن الله بينهما في قوله : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [المزمل : ٢٠]

مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : المتوكّلون ، قال : « أنتم المتواكلون ، إنما المتوكّل رجل ألقى حبه أي بذره في بطن الأرض وتوكل على ربه عز وجل » .

ورأى بعد الصلاة قوماً قابعين في المسجد بدعوى التوكل على الله ، فعلاهم بِدُرّته ، وقال كلمته المشهورة : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة»

وفي زمننا احتقر بعض أقوياء البنية ، وأبناء الأمة بعض الحِرف والمهن واستهانوا بها ، وآثروا الاتكال على الآخرين وذلّ السُّؤال ، وممارسة التسوُّل ، فبدَّل الإسلام هذه المفاهيم المغلوطة ، ورفع من قيمة العمل أيًّا كان نوعه ، وحقَّر من شأن البطالة ، وجعل كل كسْبٍ حلال ، عملاً شريفاً وإن نظر الناس إليه نظرة استهانة وانتقاص : « **لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ** » رواه البخاري .

ولنا في أنبياء الله ورسله القدوة العظمى ، فزكريا عليه السلام كان نجاراً ، وآدم حراثاً ، وإدريس خياطاً ، وإبراهيم ولوط زارعين ، وصالح

تاجراً ، أما أفضل الخلق محمد بن عبد الله صلوات ربه وسلامه عليهم أجمعين ، فكان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة .

وإذا كان الفقير قادراً على العمل ، فإنه لا يكفيه أن يُقدِّم له المجتمع والأمة خُطباً وعظية ، وحلولاً نظرية ، أو معونة مادية وقتية ، إنه يتطلّع إلى محترفي الصناعة ، وأهل النجارة وأرباب المال أن يكونوا له سنداً في توفير فُرص العمل ، ليسدّ جوعته ويطعم أسرته .

تأمّل كيف عالج الرسول ﷺ حالة فقير من الفقراء : « أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : **أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ** ؟ قَالَ : بَلَى ، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ : **ائْتِنِي بِهِمَا** ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ : **مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ** ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ : **مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ** مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : **اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ** ، فَأَتَاهُ بِهِ ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : **اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا** ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ**

الْمَسْأَلَةَ لا تَصْلُحُ إلا لِثَلاثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ » رواه أبو داود ، وهكذا أخذ الرسول ﷺ بيد الفقير ، وأرشده إلى العمل ، وهيأ له آلته ، فأسهم في علاج مشكلته .

الزكاة من وسائل مكافحة الفقر ، وفي فترة من التاريخ استطاع الإسلام بهذا محو الفقر والجوع في العالم ، فكان الغني يحمل صدقاته وزكاة ماله فلا يجد فقيراً يقبلها منه ، وما ضنَّتِ السماء بمائها ، ولا شحَّت الأرض بنباتها إلا بسبب بخل بعض الأغنياء ، وعدم إخراجهم زكاة أموالهم : ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [المعارج : ٢٤ - ٢٥]

وإلى جانب الزكاة صدقة الفطر ، والأضحية ، والكفارات والفدية ، وجعل الإسلام كَفَّارَةَ كَثِيرٍ من الذنوب إطعام الفقراء والمساكين ، ويُعَدُّ هذا مورداً كبيراً لمشاريع التكافل الاجتماعي .

إخوة الإسلام :

ما أكثر المُعْدَمِينَ في العالم الإسلامي في ثياب المتعففين : ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ** ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

ومن هذا الصنف الأرملة التي تضم أيتاماً لا عائل لهم ، وهي في دمع يجيب ، ووله يذيب .

الشيخ الكبير الذي وهن منه العظم ، وليس لديه مال يستعين به في هرمه أو ولد بار يُسْعِفُه في شَيْخُوخَته ، العاطل الذي كسدت بضاعَتُه .

العاجز الذي أقعدته عن الكسب زَمَانته ، وصاحب المورد القليل الذي مسَّهُ شظَفٌ وعمَّه قشف ، كل أولئك علينا أن نخفِّف عنهم ألم الفقْرِ ،ونُواسِيَ جراحهم ونشعرهم بالكرامة ، ونرتفع بهم عن ذُلِّ السُّؤَالِ

كيف يستريح ضمير المسلم إذا طعِم ولبس وتمتع ، وقريبه أو جاره عاجز عن القوت ، لا يجد ما يُقيم أوده وأود أبنائه ، بل تتواثب أحشاؤه شوقاً إلى فتات تلك المائدة الحافلة بصنوف الطعام ، ويسيل لعابه تلهُّفاً على فضلاتِها قال ﷺ : « **السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ** » رواه البخاري ، وفي صحيح مسلم : « **وَأَحْسِبُهُ قَالَ : وَكَالْقَائِمِ لا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ** »

فهم ابن عباس رضي الله عنهما هذا الفهم الصحيح للإسلام فقال : « لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجَّةٍ بعد حجَّة » .

رعاية الفقير : تشْمَل كفالته ، تعليمه ، إدخال السرور إلى قلبه ، تأمين حِرفة أو صفْقة ، وهل هناك أَجَلُّ منزلةً من قول الرسول ﷺ : « **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا** » رواه البخاري .

قال ابن بطال رحمه الله : « حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به » ، وقال ابن حجر رحمه الله : « ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أن ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى » .

ومما يعد مفخرة للتشريع الإسلامي : الخدمات الاجتماعية كالوقف الخيري ، وتشمل : تشييد دور عديدة للأيتام ، وعدد من الملاجئ ، ودور العجزة ، وأوقاف العميان ، وذوي العاهات من المحتاجين .

إننا نخاطب أغنياء العالم الإسلامي باسم الإيمان والأخوة أن يرعوا إخواناً لهم عَضّهم الفقر ، وهدَّتْهُم الشدائد ، وصرَعَهم الضرر أن يمدّوا لهم يد العون إنقاذاً لعقيدتهم من الانحراف وأخلاقهم من السقوط وعقولهم من التلوّث .

وما يزال في الأمة قلب ينبض بالعطف والرعاية والإحسان ، وهذه البلاد قيادة وشعباً أسْهَمَت في مكافحة الفقر في العالم الإسلامي ، فكم روى من ظمآن .. وأطعم من جائع .. وكسى من عار ..

قال الله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ٧] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحَسانه والشكر له على توفيقه وامتنانــه ، وأشـهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمـداً عبـده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى ا لله عليــه وعلـى آلـه وصحبـه وسـلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فاتقوا ا لله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

أخي الفقير :

حين ابتلاك ا لله بالفقر فاعلم أن بسط الرزق وتضييقه لا يدُلاّن علـى إكرام ا لله لعبده أو إهانته له ، وإنما هو امتحان وابتلاء للعبـد ، واعلـم أن ما يلزمه من العبادة في هذه الحالة هو الصبر الجميل ، فإذا قمت بـه كنـت من المتقين الصابرين الذين يُؤْتَوْنَ أجورهم بغير حساب .

أيها الفقير :

ينبغي أن لا تيأس ويضيق صدرك لضيق يـدك وقلـة رزقـك وخشـونة عيشك ، فإن معيشة الرسول ﷺ كـانت كذلـك ، ومتـا ع الدنيـا قليـل ، ولذاتها فانية ، لا تستحق الأسى والحزن على فواتها .

انظر إلى من هو أسفل منك مالاً ومتاعاً ممن فُضِّلْتَ عليه ، ليكون ذلك داعياً إلى الشكر وعدم ازدراء نعمة الله عليك .

استحضر أيها الفقير في قلبك قول الرسول ﷺ في وصيته الخالدة لابن عمر رضي الله عنهما : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » رواه البخاري .

يتوج ذلك كله قول الرسول ﷺ : « **هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ** » أخرجه البخاري ، وقوله ﷺ : « **ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ** » أخرجه أبو داود ، وقوله ﷺ : « **يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ** » أخرجه الترمذي ، وقوله ﷺ : « **قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ** » رواه البخاري ، وقوله ﷺ : « **رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** » رواه مسلم .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

مرض بلا مضض
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، أحمده سبحانه وأشكره لا إله غيره ولا نعبد إلا إياه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أكرمه ربه فاجتباه ، وأحبه فضعّف عليه الوجع وابتلاه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢]

لقد خلق الله الحياة على طريقة اختلطت فيها اللذائذ بالآلام ، والمحابّ بالمكاره ، فهيهات أن ترى لذة لا يشوبها ألم ، أو صحة لا يكدِّرها سقم ، أو سروراً لا يُنَغِّصُه حُزن ، أو راحةً لا يخالطها تعب ، أو اجتماعاً لا يعقبه افتراق ، أو أمَاناً لا يلحقه خوف ، إن هذا ينافي

طبيعة الحياة ودور الإنسان فيها ، قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ : صف لنا الدنيا، فقال: « ماذا أصف من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء »

ومن البلايا ما يصاب به العبد من أمراض .

وفي عالمنا اليوم انتشر العلم وفشت الأمراض ، أمراض لم نعهدها ، وبلايا لم نعرِفْهَا ، استحدثت آلات وتقنية ، واستجدَّت أمراض مستعصية لم يكن هذا الأمر سهواً والقدر عبثاً ، بل إنها سنة ربانية أَكَّدَتْهَا نصوص القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال ﷺ : « **لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا** » أخرجه ابن ماجه والحاكم .

هذا المرض الذي يَهَابُه الإنسانُ ويفزَع من وقوعه ويدفع الغَالِيَ والنفيس لئلا يَحِلَّ بداره .

المرض : كلمة مُرعبة وحالة مُفزعة ، تخالجها الأحزان والهموم والأكدار والغموم ، والعبد لا يتمنّى البلاء ، ولا يتعرّض له ، بل يسأل الله العافية كما قال ﷺ : « **اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ** » أخرجه الترمذي وأحمد .

ولو تأمل المسلم النصوص الشرعية ، والمراتب العالية السنية ، لو تأمّل ما في المرض من حِكَم وأسرار وثمرات من الخير غزار ، لمن ابتلي بالمرض فصبر ، ورضي واستسلم للقضاء والقدر ، لعلم أن المرض بلاء ومحنة في طيِّه جزاءٌ ومِنْحَة .

المرض : سببُ تكفيرِ الذنوب والسيئات ، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ، إلا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا** » أخرجه البخاري ومسلم

ودخل المصطفى ﷺ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ : « **مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ؟ قَالَتِ : الْحُمَّى لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَقَالَ : لا تَسُبِّي الْحُمَّى ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ** » أخرجه مسلم .

ويقول ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص : « **فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** » أخرجه الترمذي وابن ماجه .

وقال قيس بن حماد : « ساعات الوجع يُذْهِبْنَ ساعاتِ الخطايا » .

بالمرض : تكتب الحسنات وترفع الدرجات ، طرق رسول الله ﷺ وجعٌ ، فجعل يشتكي ويتقلّب على فراشه ، فقالت له عائشة : لو صنع

هـذا بعضنـا لوَجـدت عليـه ، فقـال النـبي ﷺ : « **إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّهُ لا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً** » رواه أحمد .

المرض : سبب دخول الجنة ، قال ﷺ : « **يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ** » رواه ابن ماجه .

المرض : سبب النجاة من النار ، فقـد عـاد النبي ﷺ مريضـاً فقـال : « **أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ** » أخرجه ابن ماجه وأحمد .

فمن تأمل هذه الأحاديث ، زالت هموُمُـه وانقشَعَت غُمومـه وامتـلأ قلبه رضاً بما قدَّر الله ، وهذا أعلى مِن مَقَامِ الصبر .

عبدَ الله : إنّ ابْتِلاءَكَ بالمرض نعمةٌ فلا تجزَع ، ومنحةٌ فلا تقلَقَ ، فما أخذ منك إلا لِيُعَوِّضَك خيراً ، ومـا ابتـلاك إلا لِيُطَهِّـرَكَ ويرفَـعَ درجتـك، فَسَلِّمْ له تَسْلَمْ .

إخوة الإسلام :

إن الصحة تدعو – أحياناً – إلى الأشَر والبطَر والإعجَاب بالنفس لمـا يتمتَّع به المرءُ من نشاطٍ وقوةٍ وهدْأة بال ، فـإذا قيّـده المـرض – أحيانـاً –

وتجاذبته الآلام أوقاتاً ، انكسرت نفسه وتقارب نَفَسه ، فَرَقَّ قلبه ، ولان حسُّه ، وتطهَّر من أدران الزَّهو والكبر .

فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقّد عبدَه بأنواعٍ من أدويةِ المصائب ، تكون حِمايةً له من هذه الأدواء ، وحفظاً لصحة عبوديته ، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بِنَعْمَائِهِ ، فلولا أنّه سبحانه يُدَاوِي عباده ، بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغَوْا وعَتَوْا .

ورُبَّ محسودٍ على رخاء هو شقاؤُه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « إن الله سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، ساءه ذلك القضاء أو سرَّه ، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء ، وإن كان في صورة المنع ، ونعمة وإن كان في صورة محنة ، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية ، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يَعُدُّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذَّ به في العاجل ، ولو رُزق من المعرفة حظاً وافراً لَعَدَّ المنعَ نعمةً ، والبلاءَ رحمةً وتلذَّذ بالبلاءِ أكثرَ مِن لذته بالعافية ، وتلذَّذ بالفقر أكثرَ من لذّته بالغنى .

والعبد لجهله وظلمه يتّهِم رَبَّه بابتلائه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه ، ومن رحمته أنه نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها ، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنّوا إليها ، ويرغَبُوا في النعيمِ المقيمِ في دارِه وجوارِه ، فساقهم إلى

ذلك بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم ليعطِيَهم ، وابتلاهم ليعافِيَهُمْ ، وأماتهم ليحييهم » انتهى كلامه .

ولهذا كان الأنبياء والصَّالحون يفرحون إذا نزل بهم البلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء حيث قال ﷺ : « **وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ** » رواه ابن ماجه ، لأنهم يعلمون أن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء ، ولأنهم يعلمون أن الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه ، ولهذا كان أشدُّ الناس بلاء أحبَّهم إليه سبحانه ، ولما سئل المصطفى ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قال : « **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** » رواه الترمذي وابن ماجه .

ولهذا كان النبي ﷺ من أشد الناس بلاءً ، ولما أصابته الحمى قال أبو سعيد الخدري : كنت أجدُ حرَّها بين يديَّ فوقَ اللحاف فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ ، قال : « **إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الأَجْرُ** » أخرجه ابن ماجه .

وابن مسعود ﷺ يمسّ النبي ﷺ بيده فيتعجَّب من شدة الحمى عليه قائلاً : إنَّك لتُوعَكُ وعكاً شديداً ! فيخبره النبي ﷺ بأن الحمى تشتدّ عليه

كما تشتدّ على رجُلَيْنِ ، ثـم يخبره أنَّ لـه الأجـر مرَّتَـين . رواه البخـاري ومسلم .

ونبي الله أيوب عليه السلام ، بقِـيَ أسـيرَ مرضـه ثمانيـة عشـر عامـاً ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في حديث صحيح .

أخي المريض : - كشف الله عنك كُلَّ ألم وضر - إذا ابتليت بمرض عارض فاحمد الله تعالى أنك لم تُصَب بمرض أشد منه ، أو بمرض مزمن ، وإذا أُصِبت بداء شديد فاحمد الله تعالى أنَّك لم تُصَبْ بأكثر من داء ، ولو شاء لأصَابَك ، وإذا أُصِبْتَ بأمراض فاحمد الله واشكره أنـه أبقـى عليـك عقلك ، ولو شاء لسلبك إياه .

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « ما أُصِبْتُ ببـلاء إلا كـان لله عليَّ فيه أربعُ نِعَمٍ : أنه لم يكن في ديني ، وأنه لم يكن أكبر منه ، وأنـي لم أحرم الرضا ، وأني أرجو ثواب الله تعالى » .

ويطفئ المريض المبتلى مُصِيبَتَهُ ببرد التأسي بأهل المصائب : انظـر يمنـة فهل ترى إلا محنة ، ثم اعطف يسرة فهل تـرى إلا حسـرة ، ولـو فَتَّشْـتَ العالم لم تر فيه إلا مبتلى بفوات محبوب أو حصول مكروه .

أخي المريض :

اختار الله لك المرض ورضيه لك والله أعلم بمصلحتك من نفسـك ، وحق الله عليك في هذه البلوى هو الصبر ، فهو عبودية الضراء ، والجـزع

لا يفيدك بل يزيد عليك آلامك ويضاعف المصيبة وأحزانك ، وسوف تنسى - **أخي المريض** - كل ما كنت تعانيه من آلام وأسقام إذا دخلت دار السلام حين ينادي مناد : « **إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :** ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] » رواه مسلم .

ما أعظم الأجر لو قدر الله المرض على عبد وهو مقيم على عبادة وحسن طاعة ، لو قدم إليه المرض وهو من أهل القرآن ، المحافظين على فضائل الأعمال ، القائمين في جوف الليل ، الصائمين بالنهار ، هذا حتى لو أقعده المرض كتب الله له ما كان يعمل حين كان صحيحاً ، فأي فضل هذا ، أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا** » .

قال أحد السلف : « رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى ، وتارة بالتداوي إلى أن يشتدّ عليهم ، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى الصالح من وصية أو فعل خير أو تأهب للموت، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها ، أو عنده ودائع لا يردُّها ، أو عليه دين

أو زكاة ، أو في ذمته ظُلامة لا يؤديها ، وإنما حزنه على فراق الدنيا إذ لا همَّ له سواها » .

أخي المريض :

إنك أحوج ما تكون إلى رحمة ربِّك وعفوه فلِمَ تهجر القرآن ، لم تغفل عن ذكر الله والدعاء ، لِمَ ترفع الشكوى إلى الخلق وتنسى الإله الحق ، لِمَ تتهاون بالصلاة بحجة المرض ، صَلِّ الصلاة لوقتها قائماً ، فإن لم تستطع فجالساً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك متوجهاً إلى القبلة ، فإن لم تتمكن فصَلِّ حيث كان اتجاهك ولا إعادة ، فإن لم تستطع فَصَلِّ مستلقياً رجلاك إلى القبلة .

فإن شقَّ فعلُ كلِّ صلاةٍ في وقتها فللمريض الجمعُ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمعَ تقديمٍ أو تأخيرٍ حسبما يتيسر ، أما الفجر فلا جمع بينها وبين صلاة بعدها أو قبلها .

سئل رسول الله ﷺ : أنتداوى ؟ قال : « **نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا** » أخرجه الترمذي وأبو داود .

وأخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** » .

والدعاء من أنفع الأدوية ، فعن عثمان بن أبي العاص أنه أتى رسول الله ﷺ قال عثمان : وبي وجع قال : فقال لي رسول الله ﷺ : « **ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ثَلاثًا ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ** » رواه مسلم .

وأخرج أيضاً عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا – أي : وَضَعَ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا : « **بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا ، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا ، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا** » .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله تعالى قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أخي المسلم : وقاك الله أنواعَ المرض وصرَف عنك لواذع المضض .

إن للمريض حقوقاً : فعيادته سنة ، والدعاء له هدي رسول الأمة ﷺ ، لأن الله عز وجل يقول كما في الحديث القدسي : « **يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ** » أخرجه مسلم .

وقال علي ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ** » أخرجه الترمذي وابن ماجه .

عيادة المريض : للدعاء له كما قال ﷺ : « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إلا عُوفِيَ** » رواه الترمذي وأبو داود .

وكان المصطفى ﷺ إذا عاد مريضاً يقول : « **أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا** » أخرجه البخاري ومسلم .

عيادة المريض : لتعلم فقرنا وحاجتنا إلى خالقنا ، حين ترى المريض مستلقياً على فراشه يتقلَّب ألماً ويئنُّ وجعاً ، ونحن نرفُل في لباس الصحة والعافية ، وأن ما ابتُلِيَ به المرضى يُمكِن أن نُبْتَلَى به ، فإنَّ الله قادر على كل شيء سبحانه وأنه ليس أحد بممتنع من الله عز وجل .

عيادة المريض : لِنُذَكِّرَهُ بالصبر ، وعدمِ الجزع على ما فاته ، وأن نعمل على إصلاح ما يمكن أن يكون قد تهدَّم من نفسه ، فقد يحصل مع تحطيم النفس ، تمكُّن الشك ، ووجود السخط على الله ، وبغض قضائه

وقدره ، وزوال الإيمان ، ومن وصل إلى ذلك فقد خسر الدنيا والآخرة نسأل الله السلامة والعافية .

عيادة المريض : للقيام بحقوقه ، فقد يبتلى بمرض يُقعده ، وهموم نفسية تشغله ، فهو يَعُول أسرة ، ويرعى أطفالاً ، ويتفقد والدين كباراً ، ومن واجب الأخوة مواساته مصابه بأن تقف إلى جواره ، وتخفف آلامه وأحزانه ، فتتحمل عنه شيئاً من متطلبات الحياة ، وتكاليف المرض ورعاية الذرية والولد .

أخي المسلم : عليك بمعالجة مرضك بإزالة سببه وهو الذنب قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي كرَّم وفضّل طابة ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وزيادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يسر أسباب الخير والفلاح والسعادة ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وعد بالأجر الجزيل لمن جعل المدينة دار إقامة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مع كل تكبيرة وتهليلة ، وأذان وإقامة .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فمن اتّقاه وقاه ،ومن سار على نهجه نجاه قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

عباد الله :

اختار الله تعالى المدينة لهجرة نبيه ﷺ بعد البلاء والتضييق الذي كابده من أهله وعشيرته ، خرج من مكة وهو يشير بمقاله وضميره إلى

عمق المحبة لمولده مكّة ، أشرف بقاع الأرض .

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، خرج الناس لاستقباله ، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت ، وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون : جاء محمد ، جاء رسول الله ﷺ .

يصف أنس رضي الله عنه ذلك اليوم فيقول : « لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنهَا كُلُّ شَيءٍ ، فَلَمَّا كَانَ اليَومُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظلَمَ مِنهَا كُلُّ شَيء ، وَلَمَّا نَفَضنَا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَيدِي ، وَإِنَّا لَفِي دَفنِهِ حَتَّى أَنكَرنَا قُلُوبَنَا » أخرجه الترمذي .

لما قدم الرسول ﷺ المدينة نطق التأريخ بالأمجاد ، وأضاءت كلماته ، وتلألأت حروفه لتسطر مواقف خالدة ، وكلمات سامقة ، تحمل في أثنائها الخير والعزة ، حبَّبَ الله تعالى المدينةَ إلى المؤمنين ، كحبهم مكة أو أشد ، فكان ﷺ إذا قدِم مِن سفر ورأى جُدران المدينة وضع راحلته ، وإن كان على دابة حركها من حبها .

لما قدم النبي ﷺ طابة لم يدخل بيتاً و لم ينزل مكاناً حتى حدَّد موضع مسجده هذا ، فبناه باللَّبِن ، سواريه من جذوع النخل ، وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، كان تحت الجريد في هذا المسجد رجال عظماء في إيمانهم وأخلاقهم ، ملؤوا التاريخ دوياً ، وأظهروا دين الله عزيزاً قوياً، سيرهم مدرسة حية تنبض بالأدب الرفيع ، والمنهج السديد ، والوسطية في

الدين ، الإيمان يملأ جوانحهم ، والتبسُّم يعلو محياهم ، والرحمة تغشى تعاملهم ، وحسن الظن يسد مسارب الشيطان إلى نفوسهم .

قيّض الله لهذا المسجد عبر العصور والأزمان ، أهل الخير والصلاح ، يشيدون بنيانه ، ويظهرون بيانه ، فيا فوز مَن أخلص لله سبحانه ، فغدا هذا المسجد مَنْهلاً عذباً ، ومصْدراً ثرا للهدى والرشاد ، ومحط آمال تهفو إليها قلوب العباد ، تتجه إليه أفئدتهم من كل صوب ، ويَشُدُّون إليه الرحال ، يُرْوُون ظَمَأَهُم بالصلاة فيه ، ويَعيشون في رحابه حيث قال ﷺ : « **صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** » رواه البخاري .

وفيه روضة من رياض الجنة حيث قال ﷺ : « **مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي** » رواه البخاري ومسلم .

إنها طيبة التي يأرز إليها الإيمان في آخر الزمان ، ضمت في أحشائها رهط السابقين ، من الرجال المؤمنين الذين خرجوا من رحابها إلى الدنيا الواسعة ففتحوا الأمصار ، وعمروا الديار مدناً ومساجد وثغوراً وأقاليم ، نشروا العدل ، وأشاعوا المساواة ، وملؤوا الأقطار تقدُّماً وعلماً وازدهاراً ورخاء .

أحب رسول الله ﷺ أهل طابة الذين فتحوا صدورهم من قبل أن يفتحوا دورهم ، ناصروا رسول الله ﷺ من قبل أن يروه ، تشرَّفوا بأن

يلقبوا بالأنصار ، آوَوْه ونصروه وعزَّروه واتبعوه في ساعة العسرة ، فَدَوْا رسول الله ﷺ بالأهل قبل المال والولد ، فدَوْهُ بالنفس والنفيس قبل الأرض والبلد ، ولفضلهم وكريم فِعلهم جَعَلَ الرسول ﷺ علامة الإيمان حبهم وعلامة النفاق بغضهم ، وقال : « **وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ** » رواه البخاري ، وحين قُسِّمت الغنائِمُ يوم حنين أعطى الرسول ﷺ المؤلفة قلوبهم الشاة والبعير ، ولم يعط الأنصار ، ثم قال لهم : « **أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟** » رواه البخاري .

جعل الله تعالى لنبيه وصفيه محمدٍ ﷺ المدينةَ حرماً آمناً ، بارك الله تعالى - بدعاء - رسول الله ﷺ فيها ، وفي صاعها ومدها وثمرها قال ﷺ : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ** » رواه البخاري ، ولمن صبر على لأوائها ، وشدتها ، ومات فيها كان الرسول ﷺ شفيعاً أو شهيداً .

ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ » فاستجاب الله دعاءه . رواه البخاري .

جعل الله ثمار المدينة بركة ، وتمرها وقاية من السم والسحر ، لا يصيب أهلَها الطاعون ، ولا يدخلها الدجال ، فكان لها الفضل والإجلال عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إلا عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا ، فَيَنْزِلُ بالسِّبْخَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ** » رواه البخاري ومسلم .

« **الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا** » رواه البخاري ومسلم ، والذين يزهدون في سكناها ويخرجون منها رغبة عنها يبدل الله خيراً منهم : « **وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » رواه البخاري ومسلم .

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أَقِلْنِي بيعتي ، فأبى رسول الله ﷺ ، ثم جاء فقال : أَقِلْنِي بيعتي فأبى ، ثم جاءه فقال : أَقِلْنِي بيعتي فأبى ، فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ : « **إِنَّهَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا** » رواه البخاري ومسلم .

وأخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إلا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ ، أَلا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ** » .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لَيَالِيَ الْحَرَّةِ ، فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلأْوَائِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ لا آمُرُكَ بِذَلِكَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **لا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا** » أخرجه مسلم .

هذه المدينة من أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فيا بؤس من تنكّب الطريق ، وارتكب الذنب العظيم في بلد رسول الله الكريم ﷺ .

في المدينة تعيش التاريخ في أزهى صوره وأسمى معانيه ، فمن هنا كان رسول الله ﷺ يدير شؤون الأمة ، هناك حجراته ، وهذا منبره ، وبجواره محرابه ، هنا حن الجذع إليه وتساقط الدمع على وجنتيه ، هنا كان ينزل الوحي بالقرآن ، وتعقد ألوية الإيمان .

على ثرى طيبة تأسَّست أول دولة في الإسلام ، تحمل كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عقيدة وسلوكاً ، منهجاً محموداً ، منها وفيها شُيِّدت حصون الإيمان وقلاع التوحيد .

على ثرى طيبة تآخى المهاجرون والأنصار ، تنازل الأخ عن نصف ماله لأخيه ، وعرض تطليق إحدى زوجتيه تأكيداً لمعنى الأخوة وإقامة

لحقوقها ، والأخوة لبعضهم اليوم أكل لحوم الآخرين ، والوقوع في أعراضهم ، وانتهاك حرماتهم .

في المدينة فتح الأنصار للمهاجرين صدورهم ودورهم وقلوبهم ، وأخوة اليوم تناحرٌ ، وتنافر ، وتشاحن ، وتباغض ، تُهَمٌ باطلة وظنون مشينة ، فأين المسلمون من أدب القرآن العظيم ؟

حريٌّ بمن دبّ على أرضها ، واستروح عطرها ، وفاض عليه خيرها، حريٌّ بمن انتسب إلى مناراتها العلمية ، وتقلّد مسؤولية وظيفة ، حريٌّ بساكنيها وزوّارها أن يكونوا على مستوى فضلها وشرفها ، أن يتقوا الله في أنفسهم وأهليهم وأموالهم وما وَلُوا ، أن يصلحوا نياتهم وأن يتخلّقوا بأخلاق الإسلام ، ويتأدّبوا بالأدب النبويّ ، في منبع الأدب النبويّ في مدينة رسول الله ﷺ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

المسافر إلى المدينة يشرع له أن يقصد بسفره إليها زيارة المسجد النبوي الشريف ، وعبادة الله تعالى فيه لقول رسول الله ﷺ : « **لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى** » أخرجه مسلم .

فإذا وصل الزائر إلى المسجد النبوي الشريف استحب له عند الدخول أن يقدم رجله اليمنى ويقول : « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » ، ثم يصلي ركعتين ، والأفضل أن تكونا في الروضة الشريفة بدون إيذاء للآخرين أو مضايقتهم ، والصفوف الأولى في الصلاة المكتوبة

أفضل ، ويزور بعد الصلاة قبر الرسول ﷺ وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقف تجاه القبر مما يلي وجهه الكريم ، بأدب وخفض صوت ، ثم يسلم على النبي ﷺ ، إن له علينا مننا عظيمة ، لا نستطيع أن نُكَافِأَهُ عليها ، بل نقول : « نشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، فجزاك الله عن أمتك خير الجزاء » ، ثم يصلّي على النبي ﷺ فيقول : « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » .

والصلاة والسلام على رسول الله تبلغانه ولو كان فاعل ذلك في أقصى المعمورة ، ثم يمضي الزائر إلى يمينه قليلاً فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه ، ثم إلى يمينه أيضاً فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يسلم على صاحبيه الوفيين الأبيين اللذين لم يعرف التاريخ البشري صاحباً أوفى لصاحبه منهما ، ولا خليفة قَوِيَ على حمل أعباء الخلافة منهما .

لا يقف الزائر عند القبر ، أو بعيداً عنه ، وقد وَقَفَ وِقْفَتَهُ في الصلاة، جاعلاً يديه على صدره ، مسبلاً عينيه ، ومرخياً حاجبيه ، والرسول ﷺ أهل للاحترام ، لكن بغير هذه الوِقفة التي هي من خصائص الوقوف بين يدي الله تعالى ، يكره عنده رفع الصوت بالسلام والدعاء ، فقد قال الله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢]

وتستحب زيارة البقيع والدعاء فيه للموتى بالدعاء المأثور ، وهو خاص بالرجال ، وكذلك تستحب زيارة مسجد قباء ، فقد كان النبي ﷺ يزوره ، وَيَحْسُن الذهاب إلى أحد لمشاهدة مكان المعركة والدعاء للشهداء والترضي عنهم ، ومنهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

ولنفسك عليك حقاً - بمناسبة الإجازة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنعم على العباد ويسَّر أسباب السعادة ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمة التوفيق والهداية ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حذَّر العباد من الضلال والغواية ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نصرَ الله فكتب له السيادة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

عباد الله :

إن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فبعد العناء والتعب والجهد والنصب تميل النفوس إلى التجديد والتنويع ، واللهو المباح والترويح دفعاً للكآبة ، ورفعاً للسآمة ، ليعود الطالب إلى مقاعد الدراسة بهمة وقَّادة ، والموظف إلى عمله بعزيمة وثَّابة ، ذلك أن القلوب إذا سئِمَتْ عَمِيت .

والإجازة : تجديد لنشاط العامل وحركته ، وصفاء لذهنه ، وترويض لجسمه ، حتى لا يصاب بالخمول والركود فيصبح جسداً هامداً ، وعقلاً غائباً ، وإحساساً ذاهباً قال ﷺ في الحديث المتفق عليه : « **إنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً** » وهذا له مدلول دقيق ، ومعرفة بطبيعة النفوس عميقة .

الإسلام دين السماحة واليسر ، يساير فطرة الإنسان فحين شاهد النبي ﷺ الحبشة يلعبون قال : « **لتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً ، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ** » رواه أحمد .

فبعض الناس لا يرى في الحياة إلا الجد المرهق ، والعمل المتواصل ، وآخرون يرونها فرصة للمتعة المطلقة ، والشهوة المتحررة ، وتأتي النصوص الشرعية ، فيصلاً لا يشق لها غبار ، فيشعر بعدها هؤلاء وهؤلاء أن هذا الدين وسط ، وأن التوازن في حياة المسلم مطلوب : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧]

راعى الإسلام الإنسان عقلاً له تفكيره ، وجسماً له مطالبه ، ونفساً لها أشواقها .

قال ابن مسعود ﷺ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّام

كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا » رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية : « كان يتخولنا أن نتحول من حالة إلى حالـة » ، لأن السـآمة والملـل يفضيـان إلى النفـور والضجر ، يقول علي ﷺ : « إن القلوب تمل كما تمـل الأبـدان ، فـابتغوا لها طرائف الحِكَم » .

ويقول أبو الدرداء ﷺ : « إني لأستجمّ قلبي بـاللهو المبـاح ، ليكـون أقوى لي على الحق » ، وقال عمر بن عبد العزيـز : « تحدثـوا بكتـاب ا لله وتجالسوا عليه ، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجـال » ، ويقـول ﷺ لحنظلـة : « **يَـا حَنْظَلَـةُ سَـاعَةً وَسَـاعَةً** » رواه مسـلم ، وقـال علـي ﷺ : « روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أُكْرِه عمِي » .

وبعد قراءة أقوالهم ، واستقراء لأحوالهم وأفعالهم يُحَدِّد لنا سلفُ الأمة ضوابط اللهو المباح والترويح .

هـاهم يُرَوِّحـون عـن أنفسـهم فـلا يتجـاوز أحدهـم حـدودَ الشــرع المطهر ، بعيداً عن المحرمات أو المكروهات .

لم يكن ترويحهم هدفاً لذاته بـل كـان وسـيلة ، لتجديـد الهمـة ، مـع تصحيح النية ، لعمل أفضل وإنتاج أكمل .

لذا لم يكن ترويحهم لمجرَّد تضييع الأوقـات ، وإمضـاء السـاعات دون مردود بناء ، يقوّي الجسم وينمِّي العقل والذكاء .

كان الصحابة يروّحون عن أنفسهم ، ولا يقصِّرون في شيء من حـق

الله تعالى ، وإذا جَدَّ الجِدُّ كانوا هم الرجال ، كما ثبت من فعلهم أنهم كانوا يتبارحون - أي يترامون - بالبطيخ ، فإذا جدَّ الجِدُّ كانوا هم الرجال ، وكما قال الأوزاعي عن بلال بن سعد رحمهما الله تعالى : « أدركت أقواماً يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهباناً » .

وهكذا كانوا رضوان الله عليهم كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فرساناً بالنهار رهباناً بالليل » ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « كان القوم يضحكون والإيمان في قلوبهم أرسى من الجبال » .

ترويحهم وضَحِكُهم لا يضعف إيمانَهم ولا يُفْسِد أخلاقهم ، لا يتعدى وقت الترويح على أوقات الصلاة ، وذكر الله ، وصلة الرحم ، وقراءة القرآن : ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧] .

إجازة في طاعة الله ليس فيها امرأة تتبرَّج ، أو شهوة تتهيَّج ، أونزعة إلى الشر تتأجَّج ، كانوا يُرَوِّحون عن أنفسهم بعيداً عن سهر في ليل طويل ، وسمر فارغ هزيل ، يُخلّ بحقوق كثيرة ، ومنها : حق الجسم ، وحق الأهل ، وفوق ذلك حق الله تبارك وتعالى .

نرى من خلال قراءة سير الصحابة والسلف الكرام ، عدم الإفراط في

استهلاك المباح من لهو وترويح ، لعلمهم بأن المهمة الكبرى للإنسان هي عبادة الله ، ولأن الوقت ثمين ، ومن منهج الإسلام منع الإفراط في كل شيء حتى ولو كان في الصوم والصلاة والجهاد فكيف باللهو والترويح ، حتى لا تُضيَّع الحقوق الأخرى .

وفي هذا يقول المصطفى ﷺ لأحد الصحابة : « **صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » رواه البخاري .

الصيد - كما تعلمون - مباح في الأصل ، وقد يُفْرِط فيه البعض فيهدر أوقاته ، ويهلك أيامه ، يتتبعه من مكان إلى مكان مطارداً باحثاً ، ولاهثاً غافلاً ، هنا نهى الإسلام عن هذا الإفراط حفاظاً على وقت المسلم الغالي ، ليكون في طاعة مديدة ، ومتوازناً لأداء حقوق كثيرة .

فقال ﷺ : « **مَنْ بَدَا جَفَا وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ** » رواه أحمد ، هذا فيمن يفرط في اللهو المباح والترويح عن النفس ، فكيف بمن يصرف أوقاته الثمينة وساعاتِ عمره الغاليةَ ، في أنماط ترويحية محرمة ، ينتهك محارم الله ، ويتجاوز مناهيه ؟ كيف بمن يقدم حضور حفل أو فرح على فريضة من فرائض الله ؟ كيف بمن يلهو ويمزح ، ويضحك ويمرح ، بالسخرية من أحكام الله أو الاستهزاء بعباد الله يتمضمض بأعراضهم ، ويسخر من أحوالهم هكذا يقضي الإجازة ، أليس هذا نكراناً

لِنِعَم الله ، وجريمة تنذر بالشؤم وتوجب سخط الإله ؟

كان رسول الله ﷺ يداعب أصحابه حتى تعجَّب الصحابة من مداعبته لهم وقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ؟ قَالَ : « **إِنِّي لا أَقُولُ إِلا حَقًّا** » رواه الترمذي .

إخوة الإسلام :

الإجازة نعمة ، وإذا لم تُسْتَثْمَرْ في ترويح مباح ، وعمل مفيد يستغرق المساء والصباح ، فإن هذا الفراغ الرهيب ، يُعَدّ مشكلة تقلق كل أبٍ لبيب ، فهو كما قال الشافعي رحمه الله تعالى : « إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل » ، فكم سهرةٍ عابرةٍ أسقطت فتى في المخدرات ، وجلسةٍ غامضةٍ وقع البريء بها في المهلكات .

الفراغ جرثومة فساد تنتشر وتستفحل في مجتمعات الشباب ، فتحطم الجسد وتقتل الروح ، الفراغ لص خابث ، وقاطع عائث ، وسارق خارب أفسد أناساً ، ودمَّر قلوباً ، وسبَّب ضياعاً .

ونبَّه النبي ﷺ إلى غفلة الألوف عمّا وهبوا من نعمة العافية والوقت فقال : « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ** » رواه البخاري .

كيف نجد في حياة المسلمين فراغاً ونحن نرى الأمم ، كلَّ الأمم تركض اليوم في ميادين الحضارة والتنمية ، تسابق الزمن وتتحدّى

الصعاب وتجتاز العقبات ، وكل أمة قد استجمعت قواها ، وألهبت طاقتها ، واستنهضت عزم شبابها تبتغي اللحاق بالركب والتقدّم .

فراغ في حياة أمة لها غاية ، وترنو لتحقيق أسمى الأهداف .

إن من أولى أولوياتك - **أيها الأب الكريم** - توفيرَ محاضنَ وبرامجَ نافعةٍ ، تعود على ابنك بالفائدة ، تملأ الفراغ ، وتحفظ فلذة كبدك من الضياع .

هنيئاً لك أيها الأب وهنيئاً لابنك : بجليس في أخلاقه وسلوكه صالح، كحامل المسك للعباد نافع .

وكتاب مفيد ، يقرأ فيه النافع والجديد ، وعمل يستهلك طاقته ، ويحفظ له مستقبلاً كرامته .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

وقال ﷺ : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » رواه البخاري

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أخي المسلم :

إن الإجازة جزء من عمرك وحياتك ، ترصد فيها الأعمال وتسجل الأقوال ، واعلم أنك موقوف للحساب بين يدي ذي العزة والجلال ، فإن الدنيا دار اختبار وبلاء ، كل ذلك يجعل للحياة قيمة أعلى ، ومعان أسمى من أن يحصر الإنسان همه في دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، أو منصب يطلبه ، أو رفاهية ينشدها ، أو مال يجمعه ، حتى إذا انتهى راح يطلب المغريات الكاذبة .

كلا ، ليس الأمر كذلك ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

ومن الأمور التي تساعد على استثمار الإجازة : قراءة القرآن فإذا أخذت قسطك من النوم والراحة ، وتنعَّمْت بأنواع الطعام ، وحقَّقت شيئاً من السعادة ، فلا تنس غذاء قلبك بقراءة القرآن طلباً للحسنى وزيادة ، لا تبخل على كتاب الله بساعة من أربع وعشرين ساعة .

زيارة بيت الله الحرام للصلاة فيه وأداء عمرة ، فما أعظمها وأجلها من فرصة ، زيارة مسجد المصطفى ﷺ ، قراءة سيرة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وسيرة الصحابة والتابعين ، انظروا إلى العالم الجليل عبد الله بن المبارك كان يمكث في بيته بعد عمله وتجارته ، قارئاً لتراث السلف ، فإذا ما سئل ألا تستوحش ؟ أجاب : « كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه » .

زيارة الأرحام والأقارب ، زيارة العلماء والصالحين ، ففي صحيح مسلم : « **أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ، قَالَ : لا ، غَيْرَ أَنِّي**

أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

تفقّد الأيتام والأرامل والمحتاجين ، وسد خلتهم وتحسين أحوالهم .

سئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : « يخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته » رواه البخاري

وفي رواية : قالت : « ما يصنع أحدكم في بيته : يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخيط » رواه البخاري .

وفي رواية أخرى : « كان بَشَراً من البَشَرِ ، يَفْلِي ثوبه ، ويَحلُبُ شاتَه ، ويَخْدِم نَفسَه » رواه الترمذي .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

عمل المرأة في الإسلام
الخطبة الأولى

الحمد لله العلي القدير ، العليم الخبير ، الذي أحاط بكل شيء علماً وإليه المصير ، نهى المرأة عن مواطن الفساد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر النساء بالحشمة والحياء ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله إلينا بالهدى ، فكان لنا معلماً ومرشداً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

بمبعث محمد ﷺ أشرق نور الإسلام ، فاكتسح الظلام ، وأفاض الخير ونشر العدل ، ومن ثَمَّ استعادت المرأة حقوقها ، وعرفت منزلتها ، واستنشقت نسمات الحرية .

يقلّب المسلم بصره في عالمنا المعاصر ، فلا يرى إلا سعار الشهوات

وحمى المغريات ، ويرى المرأة المسكينة تترنّح تحت سياطها ، وتصطلي بنارها ، ويرى تحت طلاء العصرية ، والحرية والحضارة لهيب الشقاء والنكد والعبودية قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

وتواجه المرأة المسلمة من هذا المد الإعلامي ، والدعائي الفضائي الهادر ، دعاوِيَ منهزمةً ، يُصَوَّر فيها أنَّ حياتها رزيّة ، وحقوقها مسلوبة، وكرامتها مُهْدَرَة ، ومنزلتها منحطّة ، حيث ارتدى الأعداء مُسوح المحبة ، ولبس الذئاب براقع العطف والرعاية ، يعرضون أفانين السم ، فيما لذَّ وطابَ مِنَ الدَّسَم .

وهيهات أن تعبر هذه الدعاوي الثغور ، أو تطفئ النور ، فقد كفل الإسلام للمرأة حقوقاً لا تَحْلُم بها في أي عصر وفي أي مكان ، بل عجزت عقول واضعي حقوق الإنسان أن تصل إلى مستوى حقوق المرأة في الإسلام ، فقد ضمِن لها حقوقها بنتاً ، وأختاً ، وأماً ، وزوجةً رفيقةَ درْبٍ ، وشريكةَ حياةٍ .

أنكر القرآن على المشركين تشاؤُمهم بالأنثى ، وعاب عليهم ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل : ٥٨] .

واعتبر الإسلام البنت من أسباب دخول الجنة قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ ، وَيَكْفِيهِنّ ، وَيَرْحَمْهِنّ ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةَ أَلْبَتَّة** »

فقال رجل من بعض القوم : واثنتين يا رسول الله ؟ قال :« **وَاثْنَتَيْن** » رواه البخاري .

يعطي الإسلام المرأة كامل الحرّيّة في اختيار الزوج ، ولو أُكْرِهت على الزواج من شخص لا ترتضيه ، فالشارع يجعل الأمر إليها إن شاءت أَمْضت ، وإن شاءَت فسخت النكاح .

وحين تكون المرأة أماً ، فإن منزلتها في الإسلام عظيمة ، وثوابها جزيل ، ويكفي أن التواضع لها سبب لدخول الجنة ، كما قال عليه الصلاة والسلام لمن ترك أمّه وأراد الغزو : « **وَيْحَكَ ، الْزَمْ رِجْلَهَا ، فَثَمَّ الْجَنَّةُ** » رواه ابن ماجه ، ولأنها تعاني متاعِب الحمل ، وتكابد آلام الوضع ، ومشقّة الرعاية ، جعل الإسلام بر الأم أكبر ، والوفاء لها أعظم قال ﷺ : « **أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبُوكَ** » رواه مسلم .

وقد نشرت الصحف قصة شاب غربي ، قَبل أن يُؤْوي أُمَّه العجوزَ في بيته ، مقابلَ أن تقوم بخدمته وخدمة زوجته وأولاده وتنظيف بيته ، وهذا يعتبر كرماً من هذا الولد البار بأمه .

أما المسلم ، فإنّه لا تنقطع صلته بأمّه وأبيه حتى بعد الموت ، بالدعاء والاستغفار لهما ، وفي الحديث : « **إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انقَطَعَ عَنهُ عَمَلُهُ إِلا مِن ثَلاثَةٍ : إِلا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » رواه مسلم .

وإلى جانب ذلك كلّه فقد حافظ الإسلامُ على المرأة ، وصانَها من عبث العابثين ، وطمَع الطامعين ، فأراد لها أن تَبْقَى جوهرةً مصونةً مكنونة ، لا تمتدّ إليها يد آثمة ، أو لسانُ فاسقٍ بأذى ، فحرّم الاختلاط والسفور والتبّرج ، وألزمها بالحجاب ، صيانةً لعِفَّتِها وحفظاً لكرامتها .

المرأة في الإسلام ليست كما يزعمون كَمّاً مهملاً ، وطاقةً مُهْدَرَة ، ورئة معطَّلة ، أسيرة جدران أربعة ، فلو عاش هؤلاء الإسلام حقيقةً ، وقرؤوا التاريخ ، لنطق لهم بأجلى بيان ، وتحدَّث بأوضح أسلوب عن الأثر العظيم الذي تركته المرأة في زمن أشْرَقَ بعصر النبوَّة والرسالة ، فقد كانت تهز المهد بيمينها ، وتهز العالم بشمالها عندما تنشئ قادة ومفكرين، وأبطالاً ميامين تفخر بهم الأمة ، كانت المرأة وما زالت لها أثر في التربية والبناء ، والبطولة والتضحية ، والرأي والمشورة ، كانت مثالاً يُحْتَذى في العبادة والقيام والزهد والدعوة ، فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تُفْنِي شبابها سنداً للدعوة وحامِيةً للرسالة ، وهي أول قلب آمن بالرسول

ﷺ ، وقدَّمت المرأة دمها وحياتها في سبيل الله شهيدة طاهرة ، بل كانت المرأة أوَّلَ شهيدة في الإسلام ، إنّها سُمَية زوجة ياسر وأمُّ عمار بن ياسر

كانت المرأة فقيهة بارعة ، عالمة هادية ، قال أبو موسى الأشعري : « ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » فصارت مرجعاً في كلّ علم ، حلاَّلة لكل مشكلة .

أسهمت الفتاة المسلمة بكل جهد في نصرة الإسلام ، ولذلك وُصِفَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكر بِذَات النطاقين ، لتضحية بذلْتِهَا في الهجرة .

وفي موقف عصيب عاشه الرسول ﷺ في صلح الحديبية ، تأتي مشورة زوجه أمِّ سَلَمَةَ منقذةً من المأزق .

أما نساء الليل فالحديث عنهن يطول ، ونقْتَطَف من نسماته موقف امرأة حبيب أبي محمد الفارسي ، فلقد كانت توقظه بالليل وتقول : « قم يا حبيب ، فإن الطريق بعيد ، وزَادُنا قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت من بين أيدينا ونحن قد بقينا » !

المرأة توجِّه الأجيال ، وتهذِّب أخلاق الرجال ، فيصنعن بهم التاريخ: لقد كان نساء السلف يوصِين أزواجهن إذا خرجوا للسعي والكسب فيقلْن لهم : « اتَّقُوا الله فينا ولا تُطْعِمُونا الحَرام ، فإنَّا نصْبِر على الجوع ولا نصبر على النار » .

وتقول أم سفيان الثوري لابنها : « يا بني اذهب واطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي » .

وتقول : « يا بني إذا حفظت شيئاً من العلم ، فانظر هل تزيد أم تنقص » .

المرأة وإن كانت قارة في بيتها إلا أنها تتحسَّس آلام المجتمع ، أحزان اليتامى ، تَشْعُر بمأساة الأمة ، تَدْفَع مِن مالها ، وتُنْفِق للخير من وقتها ، تقول عائشة عن زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنهن : « ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب بنت جحش ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشدَّ ابتذالاً في العَمَل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى » .

ذلك غيض من فيض للسمو والرقي الذي أثبَتَتْه المرأة المسلمة بفعالها، وللأثر العظيم الذي لا يفقهه مَنْ لُوِّثت عقولهم ، وطمست بصيرتهم ، ويَمَّمُوا قُلُوبَهم شَطْرَ حضارَةٍ بلغَتْ المادة فيها أعلى درجاتها ، والإنسانية والقيَمُ أدنى دَرَكَاتها .

نعم ، في الحضارة المعاصرة تحوّلت المرأة إلى سلعة ومُتْعَة ، تُسْتَغَلُّ للدعاية والإعلان على أغْلِفَة المجلاَّتِ ، والكُتُبِ وَإطارَاتِ العَرَبَات ، يُوظِّفُونَها في مكَاتبِ التِّجَارة والسِّيَاحَة ، لجذْبِ الزَّبَائِن ، فإذا اسْتَنْفَدَت السنون جمالَها وزِينتها أُهْمِلت باعتبارها آلة انتهى مَفْعُولُهَا .

هم يُهِينُونَها ويزعمون كذباً أنهم يُكرمونها ، وبعد أن أَدْمَتْ عَثَرَاتُ الطريق قدمَيْها ، تَصْرُخ المرأة الغَرْبِيَّةُ : « يا ليت بِلادَنَا كَبِلادِ المسلمين ، فيها الحِشْمَة والعَفَاف » .

ينظر الإسلام إلى عمل المرأة في البيت على أنَّه رسالة شاقة ، وأن هجرها البيت إلى عمل في مصنع أو متجر تاركةً أولادها في يد الخدم خسارة فادحة ، وهل تصل الأمة إلى ما تصبوا إليه من شباب قوي يبني مجدها إذا تركت أبناءها يَنْشَؤُونَ على أخْلاقِ الخدم ؟!

أنَّى للزوج أن يحس بالسكن والمودة ، وهو يرى زوجه مثقَّلة بأعباء العمل ، وقد ملأ عليها فكْرَهَا وَوِجْدَانَها .

أنَّى للابن أن يجِد مَن يخفِّف عنه متاعِبه ، ويفضي إليه بأحزانه ، ويرتشف من العطف والحنان ، وهو يرى أمًّا متعبة الفكر ، مرهقة الجسم ، متوترة الأعصاب ، تثور لأتفه الأسباب ؟

هاهي المرأة الغربية تقدِّم خُلاصة عناءٍ مضن ، وطريق شاق ، فَتُعَبِّر عن حياتها ومجتمعها فتقول : « إن التَّجَارب أثبَتَتْ أن عودة المرأة إلى البيت هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل من التدهور الذي يسير فيه » .

لماذا تعرِّض المرأة كِيانها الأسري للزعزعة والهلاك ، مقابل دريهماتٍ تَزْهَقُ جُلُّها أُجْرَةً لخادم ومربّية وسائق ، وتكاليف للزينة والملبوسات ، وفي ذلك إهدار لاقتصاد المجتمع .

وإذا عملت المرأة في بيتها استغنى المجتمع عن أعداد هائلة من الخدم ، وأُمِّن من مفاسدهم العظيمة مع حفظ ثروة البلاد أن تغادِرَ أرضها ، وذلك إسهام منها في خدمة المجتمع ، وبذلك وبقرارها في بيتها تقدِّم رضاعة طبيعية كاملة ، تثمر خدمة صحية ووقاية من الأمراض ، وفي ذلك توفير لنفقات صحية أسرية ، وتنمية لاقتصاد الأسرة ودخل خفيٌّ لها .

إن الذي يظن أن المرأة المسلمة التي تتفرّغ لعملها التربوي ليست منتجة في المجتمع ، يدعو إلى فقدان الثروة البشرية الحيّة التي لا تُقَدَّر بثمن، نتيجة صَفْقَة خَاسِرة يكسِبُون مِن ورائها أرباحاً زهيدة ومادة تافهة !

في ميزان الإسلام الإنتاجُ البشريُّ أَثْمَن من الإنتاج الماديّ ، والتفرُّغ لتحسين الإنتاج البشري كمّاً ونوعاً أهمُّ من المشاركة في زيادة الانتاج الماديّ ، لأن الإنسان في ميزانِ الإسلام أثمَنُ من كلّ ما في هذه الحياة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل السِتْر الكامِلَ مَظْهَرَ الحِشْمَة في النساء ، وأمرهن به حذراً من الفتنة والبلاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأمر في الأرض والسماء ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ختم الله به الأنبياء ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الجزاء .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق : ٢]

إن من نعمة الله على هذه البلاد أن أخذت بكل أوجه الحضارة والتقدُّم ، مع البعد عن الأخطار الجارفة بما مَنَّ الله عليها من الحكم بالكتاب والسنة ، والوقوف سداً منيعاً أمام الجهلة ، وضعاف العقول والنفوس ، ومن ذلك :

منعت الاختلاط في كل مراحل التعليم ، في الوقت الذي يَئِنُّ العَالَمُ كلُّه من هذه التَّجْربة الخاطِئة .

أضْفَتْ على المرأة حشمة كريمة ، وراعت حياءها وتستُّرها ، فمنعت قيادتها للعربات ، فأصبحت المرأة مخدومة لا خادمة ، بل أنزلتها منزلة العُظَماء الذين يقاد بهم ولا يقودون .

أغلقت كل المنافذ الموصلة إلى خدش حيائها ، فمنعت جُلَّ أنواع التصوير للمرأة ، حتَّى في الوثائق الرَّسمية ، فجعلتها بذلك دُرَّةً مصونة ، مكنونة محفوظة ، مقصورة على محارمها ، ومع ذلك ضبط الأمن ، فسجّلت أدنى معدّلات الجريمة ، مقارنة بدول كبرى .

عملت المرأة في مجالاتها التي تناسب فطرتها وأنوثتها وشريعة ربها ، فأثبتت المرأة نجاحاً كبيراً ، مع احتفاظها بالحشمة والعفاف .

فأعطت العالَمَ كُلَّه رسالةً واضِحَةً بأنَّ في الإسلام الحَلَّ لجميع مُشْكِلاتِكم .

نسأل الله التوفيق والسداد والثبات إنه سميع مجيب الدعوات .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ..

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد : فاتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والنجوى .

أمة الإسلام :

إن الحديث عن العظماء له تأثير بالغ في النفس ، فسيرتهم أشجارها باسقة ، وأغصانها ظليلة ، ونَسِيمُها يُنعش الفؤاد ، ويُثْلِج الصَّدْر ، وما أحوج الأُمَّة أن تعيش في أجواء عظمائها ، بتعلُّم أفرادها سِيَرَهم ، مُسْتَشْعِرِينَ كَوْنَهم قُدْوةً ، لِيَنْشَأوا قمماً عالية في إيمانهم ، وأخلاقهم وسلوكهم ، وجميع شؤون حياتهم .

وأمتنا أكثر الأمم عظماء ، وما عرف تاريخُ أمَّةٍ من الأمم قدراً للعظماء الذين يملؤون التاريخ بمآثرهم وآثارهم ، كمَا عرف ذلك تاريخُ أُمَّتِنا العظِيمة ، وكيف لا يكون كذلك وقد ربَّاهم سيد الأنبياء محمّد ﷺ في حياته ، فكانوا خير جيل أنجبته الرسالات السماوية ، كانوا مصابيح الهدى في كل عصر ، وقدوة الشعوب في كل جيل ، وأئمة الناس في كلِّ ما يُصلح شؤونهم من دين ودنيا ، وعلم وحكمة ، وأدب وفضيلة ، وبذل وفداء ، كانوا لُيوث غابة وغيوث سحابة .

فصلوات الله وسلامه على رسولنا ، ورحمة الله ورضوانه على عظمائنا ، ومن هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا لا يريدون من الدنيا إلا مِقْدَارَ ما يُبَلِّغهم الآخرة ، لذا لم يرغبوا فيها ، فكُتِبَتْ لهم السعادةُ ، ولم يتظاهروا بأعمالهم فخَلَّدَهَا لهم التاريخ ، ولم يلتفتوا إلى بقاء

ذِكْرِهِمْ فحفِظَه لهم الخلف .

إنّ سِيَرَهُم لَتَقْرَعُ الأسماع ، وتجتذب الأنظار ، وتحرِّك أوتار القلوب وتستثير الألسنة الصامتة ، وتحرِّك القلوب الراقدة ، نسرد أحاديثهم لنستلهم منها الدروس والعبر .

إن كُلَّ موقِفٍ وحدث يصوغ فن الموعظة ، وصنوف الحكم ، بل لا يزال أثره جديداً كُلَّما عاود القلب النابض تأمُّلَه .

إنَّ عُظَمَاء المسلمين فقط هم الذين تقرأ في كل صفحات حياتهم العظمة ، فلو قلبت سجل أحدهم لرأيت في سيرة حياته الخاصة والعامة حديث العظمة ، ولرأيت في عبادته وصلاته وخشوعه الدُّمُوعَ الجارية ، ولرأيت في دعوته وبذله ونصيحته فروسية الدهر ، ولرأيت في أخلاقه وسلوكه ابتسامة الثغر .

ومع الصحابيّ الذي نص القرآن على صُحبته ، والخليفة الذي دعمَتِ الإسلامَ خِلافَته ، بعد أن أصابته الردة والفتنة بزلزال عنيف ، فكانت خلافته فتحاً عظيماً ونصراً مبيناً .

لَمّا أسلم لم يُبَالِ أن يعلن إسلامه ، وأَنْ يَجْهَر بصلاتِه ودعائه ، ولَمّا وجب القتال كان أقربَ الناس إلى رسول الله ﷺ في كل غزوة ، وكلِّ مأزق من مآزق الجهاد ، ولا ثبت أحد قط حيث يصعب الثبات إلا كان هو أول الثابتين ، أليفاً ودوداً ، حسن الحديث ، لطيف المعاشرة ، سهلاً

محبباً ، رفيق الطبع ، راجح العقل .

كان ضعيفاً في بدنه قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسه عظيماً عند الله ، إن لامس جرحاً أساه ، وإن رأى مريضاً داواه ، وإن جاءه سائل أعطاه ، وإن تظلّم إليه ملهوف نصره ، وإن تظلّم متظلّم أنصفه .

الكفاية شعاره ، والأمانة دثاره ، والوفاء صناعته ، والشهامة مركبه ، ولا عجب فقد نهل من المعين الأسنى ، والخير من معدنه لا يستكثر ؟

كثيرون اعتنقوا الإسلام على يدي أبي بكر رضي الله عنه قبل الخلافة وبعدها ، وكانوا من رجالات الإسلام ، وبناة المجتمع العاملين الخيرين ، فيا من ولدت في الإسلام هل أثمرت حياتك خدمة للدين ؟ هل أنجبت هداية لغير المسلمين ؟ قال ﷺ : « **فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** » أخرجه البخاري ومسلم ، ولم يزل في كل عمل من أعماله ، منذ أن أسلم إلى أن تولى الخلافة ، مؤسِّساً لهذا البناء الشامخ الّذي كان أَوَّلَ مَن قَامَ عليه بَعْد بانِيه ، هاجر مع النبي ﷺ من داره ، وبذل المال لإخوانه ، ويسّر القدوة بسرعة تصديقه ، وإعلان إسلامه .

أحب رسول الله ﷺ مصاحباً عظيماً ، بل خاطر بحياته دفاعاً عن رسول الله ﷺ الذي اجتمع عليه المشركون وهو بالمسجد الحرام فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به فأسرع إليهم الصديق رضي الله عنه قائلاً : « ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله ، وقد جاءكم بالبينات من

ربكم »، فترك المشركون رسول الله ﷺ وأقبلوا على الصديق يضربونه ويؤذونه ، وفي الهجرة خرج أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ واحتمل معه كلَّ ما يملك ، ومن خوفه أن يصاب رسول الله ﷺ بأدنى أذى ، جعل يتقدم بين يديه ساعة ، ويتأخر خلفه ساعة ، حتى سأله النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله أَذْكُرُ الطَّلَب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرَّصْدَ فأمشي بين يديك لا آمن عليك » فقال : « **يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟** » قال : « نعم ، والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمَّة إلا أن تكون بي دونك » ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : « مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار » ، قال عمر رضي الله عنه : « والله لتلك الليلة خير من آل عمر » .

هذا هو الصِّدِّيق لا يُفكِّر في نفسه قليلاً أو كثيراً ، وإنَّما كان تفكيره في رسول الله ﷺ يحرِصُ على سلامته ، ذلك لأنَّ أبا بكر رضي الله عنه يعلم أن موته موتُ رجلٍ ، وأمَّا موت رسول الله ﷺ فموتُ أُمَّةٍ ونهاية عقيدة قال تعالى : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢]

كان أبو بكر تاجراً من أثرياء مكة ، ولأنه صاحب رسالة ودعوة ورجل بذل وفداء ، سخَّر ماله في سبيل الله ونصرة دينه ، يشتري أرقاء المسلمين ويعتقهم ، إنقاذاً لهم من أذى المشركين ، فعاتبه أبوه أبو قحافة

قائلاً : يا بُنَيَّ إنِّي أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنَّكَ إذ فعَلْت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقدمون دونك فقال أبو بكر : « يا أبت إنما أريد ما عند الله » .

إنه الصديق الذي لا يُسْبَقُ إلى شيء أبداً ، تلك حقيقةٌ قرَّرَها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في منافسة شريفة بين الأنداد ، أساسها الحب والاحترام ، وليس الحقد والامتهان ، فقد حاوَل أن يَسْبقه إلى عجوز يخدمها ، ويحلب لها فوجد أن أبا بكر قد سبقه ، ودعا رسول الله ﷺ صحابته إلى الإنفاق فقدَّم عمر ﷺ نصف ماله قائلاً : « الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا » ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : « **يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟** » قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أي تصدق بكل ماله فقال عمر ﷺ : « لا أسابقك إلى شيء أبداً » رواه الترمذي .

لقد وَلَّد الإيمان أجيالاً من السبَّاقِين إلى الخير ، يركضون بطاقاتهم الفذة نحو الفوز العظيم ، والخلود في جنات النعيم : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين : ٢٦] .

وأمة الإسلام حين تنير الطريق بِسِيَرِ العظماء المصلحين ، وتحصِّنه من العابثين ، يتنافس أبناؤها في كل عمل جليل ، يتنافسون فيما يحفظون من كتاب الله ، وفيما يُطَبِّقُونه من سنة رسول الله ، يتبارَوْن في المحافَظَة على

صلاة الجماعة والصفوف الأُوَل قال تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وإذا آلت الأُمَّةُ المُسْلِمَةُ إلى التَّنَافُس على الدُّنيا وزينَتِها ، أو المعاصي وارتكابها ، فذلك جُحود وكنود ، وانتكاسة تُنذِرُ بخطر ، بِدَايتُه التَّرفُ والبطر ، ونهايَتُه شَرٌّ مُسْتَطَر .

حذَّر المصطفى ﷺ أمته من ذلك فقال : « **فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** » رواه البخاري ومسلم .

كان أبو بكر ﷺ شديد الورع ، بعيداً عن الشبهات ، تناول لقمة من طعام فلما علم أنه ما كان ليحلّ له ، جعل يتقيأ حتى أخرجها فقيل له : يرحمك الله كلّ هذا من أجل هذه اللقمة ، فقال : « لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِه** » أخرجه الطبراني ، وخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة » .

مع أن خليفة رسول الله كان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وشهد له سيد المرسلين بقوة يقينه ، وصدق إيمانه ، ومع أسبقيته إلى الإسلام ،

حتى أنه لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه رضي الله عنه .

مع كل هذا ، فقد كان متواضعاً في غير ذِلَّة ، تواضعاً لم تُغَيِّره الخِلافَةُ ، فقد كان يخدمة مَن يحتاج من الضعفاء والعاجزين ، فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحي : الآن مَن يحلب لنا مناخ دارنا ؟ فسمعها رضي الله عنه فقال : « لأحلبنَّها لكم ، وأرجو أن لا يُغَيِّرني ما دخَلْتُ فيه عن خُلُقٍ كنت فيه » .

وأبو بكر رضي الله عنه عالم فطن لبيب ، نوَّر الله بصيرته ، يفهم مغزى الأحداث ويدرك أسرارها ، بل استطاع أن يفهم منها ما لم يفهمه الصحابة جميعاً ، فقد خطب رسول الله ﷺ أصحابه قبيل صعوده إلى الرفيق الأعلى فقال : « **إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ** » فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، وعجب الصحابة لبكائه ، وقال أبو بكر : « بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا » ، ففهم الصحابة عندئذ أن رسول الله ﷺ هو المخير ، وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله ﷺ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **: أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **: أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **: أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ**

مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه **: أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » رواه مسلم .

هذا حال من كانت الآخرة هَمَّه ، وهو همُّ أبي بكر ، وهم الصالحين من بعده ، منذ أن يصحو أحدهم لا يتوانى لحظة ، يتلمَّس صنوف الطاعة ، ويطرق أبواب العبادة ، يرتقي درجات العلو ، يرجو اللحاق بركب الصالحين الأبرار .

أما من كانت الدنيا همَّه ، فأمنيته أن يأكل ويشرب ، ويلبس وينكح ، وإذا طُولبَ بأداء الواجبات اعتذر أنه لا يُطيق ذلك ، فمن كانت نفسه هكذا فهي من نُفُوس صغيرة ضعفت هِمَمُهَا ، وخارَت قُوَاها ، وترهَّلت أجسادها ، وتعطَّلت جوارحها ، واثَّاقل إلى الأرض ، وعملك من جنس همك ، فاللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل .

في صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّهُ لَيسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفسِهِ وَمَالِهِ مِن أَبي بكرِ بنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَلَو كُنتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلاً لاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِن خُلَّةُ الإِسلامِ أَفضَلُ ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوخَةٍ فِي هَذَا المَسجِدِ ، غَيرَ خَوخَةِ أَبِي بَكرٍ** »

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيمـاً لشـانه ، وأشـهد أن سـيدنا ونبينـا محمداً الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليـه وعلـى آلـه وأصحابـه وأتباعـه أهل الهدى والصلاح .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران : ١٠٢]

إن أبا بكر رضي الله عنه كان من أحزم الرجال ، ولو كان شيخاً أسيفاً وديعاً أوَّاباً ، قاد الأمة في خضمّ أمواج متلاطمة ، كادت تزلـزل أركانهـا وتهـز كيانها ، ولما تغير وجه التاريخ يوم وفاة الرسول ﷺ ظهر تماسُك أبي بكر رضي الله عنه عِند هَوْلِ الصَّدمة ، وقدرتُه على ضبط الأعصاب ، ومواجهته المـأزِق بحزم وحسم ، فقد وُجد من الصحابـة مـن ذُهـل لهول النبـأ ، فتـاه لبُّـه ، وحار بَصَرُه ، وتلجلج لسانه ، ولم تحمله قدمـاه ، فسـقط علـى الأرض ، فموت رسول الله ﷺ الذي كـانوا يَفْدُونَـهُ بـأموالهم وأنفسـهم وأولادهـم صدمةٌ توهِن قوةَ أعظم الرجال ، وتعقد لسان أفصح البلغـاء ، سيطر أبـو

بكر على الموقف برباطة جَأْش وحزم وحسم ، فوقف في الجموع تالياً : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، ثم قال : « من كان يعبد الله فإن الله عز وجل حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات » .

وبعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت العرب عن الإسلام ، وأَطَلَّ الكفر برأسه ، فرأى بعض الصَّحابة أن يتركوا المرتدين مانعي الزكاة ما داموا يُقيمون الصلاة تألُّفاً ورِفقاً بهم ، ويتفرَّغوا لحماية المدينة من شر المتربِّصين ، وكان عمر ﷺ من أصحاب هذا الرأي ، فالتفت إليه أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين قائلاً : « رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، هيهات أن أتألَّفهم ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة ، ولو أن الكلاب جرت بأرض أمهات المؤمنين لأجهِّزن جيش أسامة » .

قابل الفتنة بحزم وحسم ، ولو أنه قبل إسلامهم ناقصاً دون زكاة ، لأحدث صدعاً في صميم مبادئ الإسلام ، ولجعله موضع مساومة ، ولترك للأجيال من بعده سابقة خطيرة تحطم أركانه ، وتأتي على مبادئه ، ومِنْ ثَمَّ كان موقِف الصديق إنقاذاً للمسلمين مِن الفتنة ، وللإسلام من

التصدُّع والضَّيَاع .

هذا الدرس البليغ من الشيخ الأسيف ، والأب الحنون رضي الله عنه .

إن الحزم والحسم تصبح الحاجة إليه مُلِحَّةً في حياة المسلم أحياناً ، وذلك في بناء الأسرة وتربية الأولاد ، وترك المحرمات وفعل الطاعات ، وكبح جماح النفس عن شهواتها .

وألزم ما يكون الحسم - أمة الإسلام - في مجال العقيدة ، فهي لا تقبل المساومة ، ولا يمكن التخلي عن شيء منها أبداً .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : « **ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ ، وَيَقُولُ قَائِلٌ : أَنَا أَوْلَى ، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلا أَبَا بَكْرٍ** » .

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَجُّبًا وَفَزَعًا : أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** ... » رضي الله عنهما ورضي عن عثمان وعن علي وعن الآل والصحب الكرام .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الصحة النفسية
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق فسوّى ، والذي قدر فهدى ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً حذّر من الهوى ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

يعرض القرآن بإعجازه حالات نفسية ، ويكشف أغوارها ، وسنعرض لحالة نفسية يصوّرها القرآن مع الفرح ، وأخرى مع البلاء .

الإنسان يرنو إلى تمتّع نفسه وحسّه وجسده بألوان اللذائذ وأسباب النعيم ، فإذا ما ناله الخير استبشر وسعد ، وتهلل وشع الرضا والحبور في

نفسه ، أما إذا مسه - فضلاً عن أن يتمكن منه - ضرّ أو شرّ اسودت الدنيا في عينيه وملأ اليأس قلبه ، يريد الحياة ضوءاً متلألأً ، وسناءً مشعّاً لا يشوبه ضعف أو خُفُوت .

فإذا ما أنعم الله عليه ومكّن له بتحقيق أمله ، واستجابة رجائه انتفخ وانتفش ، وبلغ به الفرح البطر والطغيان ، فزعم أن ما يرتع فيه من خصب وخير إنما مردّه إلى جهوده الشخصية وجهاده الفردي ، ويغلو متخيلاً أن مكاسبه ستدوم ، ثم يسدر في تغاليه مؤكداً أن سعيد الدنيا هو سعيد الآخرة وأنه سيضم إلى ما معه من الدنيا الحسنى عند ربه : ﴿ لا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ [فصلت : ٤٩ - ٥٠] .

أما مع البلاء فيصور القرآن حالة نفسية أخرى فيقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ

زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١١ - ١٢] .

آية قرآنية نفسية ترينا أن الإنسان إذا ما نزلت به الشدائد ، ووقع في المآزق ، وألقى نفسه بين رحى المصاعب التي تطحنه تضيق الدنيا الواسعة في عينيه ، ويسود العالم أمام ناظريه ، وتتأزم نفسه فتدفعه إلى الانهيار واليأس ، ويستسلم لأفكار سوداء ، بل ويستعجل الشر لأهله وذويه فيدعو على نفسه أو على أهله أو على ماله .

ولو استجاب الله دعاءه لأهلكه وأباده ، وقضى على أهله وماله وولده ، ولكن الله غفور رحيم حليم ، خبير بأحوال الناس ونفسياتهم :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

إعجاز قرآني تلك الآيات التي تصل بنا إلى أغوار النفس فتعريها ، وتكشف دخائلها .

ولقد أفرزت لنا الحياة المعاصرة أمراضاً نفسية شاع أمرها وفشا ضررها ، لم تكن في أسلافنا الذين مضوا ، وراج سوق المصحات والعيادات النفسية ، فهذا مصاب بأزمة نفسية ، وذلك مبتلى بأرق وقلق، وثالث يعاني ضيقاً واكتئاباً ، ورابع تنتابه حالات تشنّج وتوتر .

وبعض الناس تظلّل وجهه سحابة من الهموم والغموم ، وإذا تحدّث تنفّس الصعداء ، ثم زفر زفرة تحمل في طيات نسماتها خللاً نفسياً ،

ناهيك عن رواج الخمور والمخدّرات ، ذلك أنّ متعاطيها يرنو إلى تمتّع نفسه بالهروب من ألم التوتّر العصبي ، والعذاب النفسي الذي يؤرّقه .

ومن كان هذا حاله فإنّه يضعف عن تحمل أعباء الحياة ومسؤولياتها ، سواء كان أباً أو أماً ، موظّفاً أو مسؤولاً ، داعية أو كاتباً ، فالشخصية القلقة المضطربة المتوترة المتشنّجة ، ينجر أثرها على تربية الأولاد ، والتعامل مع الزوجة ، والإنتاج في العمل ، والسير في الدعوة .

من أبرز أسباب المشكلات النفسية ضعف الإيمان والصلة با لله تعالى، إنّ أكثر الناس قلقاً واضطراباً وشعوراً بالضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين ، إنّ حياتهم لا طعم لها ولا مذاق ، وإن حفلت باللذائذ والمرفّهات ، بحث قوم عن السكينة وطمأنينة النفس في المال ، في المناصب ، في المركبات الفارهة ، في الشهرة الزائفة ، في الانغماس في أوحال الشهوات ، في تجرع كؤوس الخمر ، في احتساء سموم المخدرات ، فلم يشبعوا ولم يهنؤوا ، ولم تطمئنّ نفوسهم واصطلوا بنار القلق النفسيّ، والتوتر العصبي يقض مضاجعهم ، ويؤلم نفوسهم ، ويوجع أبدانهم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٤] .

أعرض عن طاعة الله ، عن الأنس بالله ، عن صلاة الجماعة في بيوت الله ، عن قراءة القرآن ، عن مجالسة الصالحين ، قطع صلته بالله ، فتراه دائماً حزيناً مكتئباً ، لا يرى إلا ظلمة وقنوطاً ووهناً وصل إلى دَرَك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فما أشقى حياته ، وما أتعس حظه .

حاولت الحضارة القائمة اليوم طمأنينة النفس ، فهيأت النعيم المادي ، والمتعة الجسدية فزادتها تعقيداً واضطراباً ، فعاش القوم حياة القلق ، والتوتر والضيق والضنك ، وأصابتهم السآمة والملل ، ولا أدلّ على ذلك من إقدام بعضهم على الانتحار مللاً من هذه الحياة ، وتخلّصاً من العذاب النفسي .

قال ابن القيم رحمه الله : « في القلب شعث لا يلمّه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه ، وفيه نيران حسرات لا يُطْفِؤُها إلاّ الرضا بأمره ونهيه وقضائه وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسدّ تلك الفاقة أبداً » انتهى كلامه رحمه الله

المشكلات الأسرية وأجواؤها المشحونة بالتوتر ، تفضي إلى مشكلات نفسية ، خاصة إذا تشتّت شمل الأسرة وتفرق جمعها ، ولاشك

أن الأولاد الذين يعيشون في هذه الأجواء يختلف نموهم النفسي مقارنة بأولئك الذين يعيشون في كنف والديهم تظللهم سحائب الرحمة في جو مفعم بالعطف والرعاية والحنان .

الحياة المعاصرة المادية أنجبت أناساً يتكالب أحدهم على الدنيا ، ويحرص على جمع حطامها في قيامه وقعوده ، وصبحه ومسائه ، حتى في نومه لا يستقر حاله ، فأنهك المسلم أعصابه ولم يعط نفسه حقها من الغذاء والراحة ، فهو يعمل ويعمل ولا ينقطع ، ويسعى فيزداد نهماً ، وهنا ترد وصية رسول الله ﷺ للتحصين من الإجهاد البدني ، والإرهاق النفسي المفضي إلى اختلال الصحة النفسية : « **إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ** » رواه البخاري ومسلم .

قال ﷺ : « **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ** » أخرجه ابن ماجه .

تعيش بعض النفوس خوفاً مزمناً ، وهلعاً دائماً ، الخوف من المرض ، ماذا لو أصابه كذا ، وكيف تكون حاله لو تعرّض لكذا ، ولو أصيب بألم في جسده ، نزلت بساحته تصورات وأوهام مخيفة .

الخوف على الرزق ، الخوف على المنصب ، الخوف من المستقبل وعلى المستقبل ، الخوف من أحداث الأمس والغد ، الخوف على الأولاد، الخوف من الأشخاص والبشر ، فينشأ في نفسه توجس وترقب وقلق ، ويعيش تحت ضغط الوساوس والهواجس ، ويغشاه الجمود والكسل ، فتضعف قواه ويستفز كيانه ويحس بالحصار المرهق الذي يقتل كل جوانب الحيوية في شخصيته .

أين الإيمان بالقضاء والقدر ؟ أين التوكّل على الله ؟ لم الخوف على الأرزاق ، وهي في ضمان الّذي لا يخلف وعده ، ولا يضيع عبده ، وَعَد بكفالة الأرزاق وَعْد كريم لا يبخل ، قدير لا يعجز : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ﴾ [الكهف : ٩٨] ، ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينِ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات :٢٢ - ٢٣]، ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٠].

والمؤمن لا يعيش في خوف من الموت ، فهو زائل لابد من لقائه ، وقادم لا ريب فيه ، والخوف لا يردّه ، والجزع لا يثنيه : ﴿ قُلْ إِنَّ المَوْتَ

الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ [الجمعة : ٨] .

البشر لا يملك أحدهم لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فمن باب أولى لا يملكون لغيرهم ضراً ولا نفعاً ، فكن مطمئناً با لله ، فلو تكالب ضعفاء النفوس ومرضى القلوب على أن يضرّوك بشيء فلن يصلوا إليك إلا بأمر ا لله : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وما أعظم هذه الوصية الخالدة ، وهي التي غرسها رسول ا لله ﷺ في قلب ابن عباس رضي ا لله عنهما : « **احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** » رواه الترمذي .

وحين استعان البشر بالبشر ، وسأل الخلق الخلق ، وركن الضعفاء إلى الضعفاء زادوهم رهقاً .

بعض الناس تنزل به النازلة من المصائب فيظل فيها شهوراً وأعواماً يجتر آلامها ، ويستعيد ذكرياتها القاتمة متحسراً تارة ، ومتمنياً أخرى ، لذا فإن الصبر والرضا يحصّنان النفس من أنين الجراح وقلق الآلام قال ﷺ

كما في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ : « **عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : « خير عيش أدركناه بالصبر » .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « إن السخط باب الهم والغم والحزن وأشتات القلب وسوء الحال ، والرضا يخلصه من ذلك كله ، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة » .

وإذا توالت الأزمات على النفوس واشتد الضيق ، وحتى لا يحطمها الجزع ويدمرها الخوف فتح الله لها باباً إلى السماء لتفضي بهمومها وتبث أحزانها لخالق الأرض والسماء .

قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ - ٨٤] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

في مسيرة المسلم اليومية ، محطات تغذية بقوة نفسية ، وتحصن من نزغات الشيطان ، إنها الصلاة الخاشعة : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] ، فإذا جار على حقه جائر ، فوّض أمره إلى من تقوم السماوات والأرض بأمره ، وإذا حزبه أمر أو ضاقت به الحياة في زحمتها ، لجأ إلى الله فمن يملك الأمر سواه ، إن وقوف العبد بين يدي الله خمس مرات في اليوم حصانة من العقد النفسية التي تسبب إخفاق الإنسان في حياته ، وتبعد عنه الكبت والقلق والتوتّر ، يقارن ذلك زاد يملك العبد مدده في كل لحظة وآن ، ذلكم هو ذكر الله الذي يزيل غماً ، ويزيح هماً ، ويشرح صدراً .

بالصلاة والذكر ، يبدأ المسلم حياته المتجددة كل يوم ، بإشراقة وأمل ونفس طيبة ، وإلا تقلب في يوم مظلم ، بوجه مُكْفَهِرٍّ ، ونفس خبيثة ، قال ﷺ : « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ** » أخرجه البخاري ومسلم .

وللخلاص من الوساوس والقلق والأرق تذكر عائشة رضي الله عنها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ، فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ » أخرجه البخاري .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

عظمة الماء ومحاربة الإسراف

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فهي النجاة وسبيل الفلاح ، ومن اتقاه وقاه ، ومن سلك سبيله نجاه .

آية من آيات الله في الكون ، يرى المتأمل فيها إعجاز الله وقدرته ، وإبداعه في خلقه ، هو العنصر الأول للحياة ، وقطب الرحى في حياة الإنسان والنبات والحيوان ، قال الله فيه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

هو غذاء الكائنات وحياتها ، بفقده تذبل وتموت ، ترى الأرض هامدة يابسة منكمشة لا حراك فيها من العطش ، فإذا نزل عليها الماء تحركت فيها الحياة ، وتلألأت بالخضرة والنضرة قال تعالى : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠] .

والذي خلق الماء قد هداه ليؤدّي دوره في الحياة ، كما قدر له الخالق ، ووضع له سنناً وأحكاماً تسيّره فيما قدر له ، سنناً تجعله سحباً طائرة ، وسننا تجعله قطرات مطر متساقطة ، وسننا تحوّله أنهاراً جارية وعيوناً متفجرة ، وسنناً تدفعه في أوراق الشجر وأغصانها ، وسننا تحوّل الماء

جزءاً من الدائم الجاري في العروق ، وسنناً تجعل الماء بحراً يمتلئ بالأسماك وغيرها من الكائنات ،وسنناً تيسر البحر لسير السفن وتسهيل النقل عليه: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤] .

حَظِيَ الماء في القرآن الكريم باهتمام كبير ، فقد ورد في تسع وخمسين آية قرآنية ، مشيرة إلى أهميته وطهارته ، وفائدته باعتباره نعمة كبرى أنعم الله بها على مخلوقاته .

تدعوك الآيات إلى تأمّل الماء حين ينزل مطراً في تناسق عجيب ، ومشهد مهيب .

تدعوك إلى رؤية حبات المطر تَتَابَع ، وقطراته تتساقط ، عبرةً للقلب ، ومتعةً للنظر ، ومجالاً رحباً للتأمل .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٣] .

صور لمشاهد السحاب الثلاث : يولد أولاً بخاراً رقيقاً ، ثم يدفعه الريح ، ثم يجتمع هذا السحاب بعضه إلى بعض ، فإذا هو ركام أشبه

بالآكام والجبال ، ثم يولد المطر في هذا السحاب ، وينزل البرد من جبال السحاب ، فسبحان الله أعظم الخالقين الذي يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] ، أي : أنزلناه من السماء ماء بحكمة وتدبير ، فلا ننزله كثيراً فيُغْرِق ويُفْسِد ، ولا ضئيلاً فيكون الجدب والفناء ، ولا في غير أوانه فيذهب بدداً بلا فائدة ، بل ننزله بقدر وحكمة ، فينتفع الناس ببعضه ويسكن الله بعضه الآخر بقدرته في الأرض عذباً وملحاً ، ملحاً في البحار وعذباً في باطن الأرض من آيات وفي مجرى الأنهار .

انظر إلى البحر الذي تتلاطم فيه الأمواج ، وتسبح في جوفه عوالم من الكائنات ، تأمَّل سعته ، وعمقه وتَرَامِيَ أطرافه ، وما فيه من آيات ، ليتعرى أمام هوله غرور القوة والعلم ، وتستقيم الفطرة إلى ربها وتتجه إلى بارئها قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ۞ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۞ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [الشورى : ٣٢ - ٣٥]

آيات أخرى حاضرة جلية في كتاب الكون المفتوح ، يقرؤها كل إنسان ، ها هي ذي السفن التي تمخر عباب البحار ، وتقطع المسافات بالأثقال ، تجري حاملة نعم الله وفضله ، وهي على ثقلها وضخامتها وارتفاعها كالأعلام تجري على سطح الماء لا تغرق بالقاع ، مَنِ الذي أنشأ البحر المتلاطم ذا الأمواج ، وجعله للسفن الضخام خَيْرَ فِجَاج ؟

من الذي هيَّأ جوفه للحياة ، وميَّزه عن سائر المياه ؟ إنه الله بعنايته وكلاءته ورحمته .

إنها آية لا مرية في عظمتها ، وخلق لا جدال في صنع الله له : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر : ١٢] .

ومن حكمة الله أن ترى هنا ماءً عذباً وهناك مالحاً ، تَحْقِيقاً لمصالح العباد .

وفي موقع آخر ماء أودع الله فيه ميزة ، ليكون طعاماً وشفاء ، بل جعله خير ماء على وجه الأرض ، إنه ماء زمزم ، ينهل من معينه أمم شتى ، وأجيال متعاقبة ، وهو نبع لا ينضب ، وآية لا تذهب ، فارتبط الإعجاز والإبداع بأعظم بقعة وأقدس بناء ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ** ،

فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السَّقْمِ » أخرجه الطبراني ، وكانت عائشة رضي الله عنها تحمل من ماء زمزم ، وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب ، ويصبه على المرضى ويسقيهم رواه الترمذي ، ويقول من حديث جابر رضي الله عنه : « **مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ** » رواه ابن ماجه وأحمد .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمناً ، وأنفسها عند الناس ، وهو هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل » .

ثم يقول : « وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة واستشفينا به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله » .

للماء سيرة حافلة بالأحداث فيها العظة والاعتبار ، فقد كان بأمر الله معجزة ، وكان رحمة ، وكان عذاباً .

معجزة لرسول الله ﷺ حيث كان في سفر فقلَّ الماء ، فقال : « **اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ** » ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : « **حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ** » يقول الراوي : « فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » أخرجه البخاري .

ويوم بدر أكرم الله تعالى أولياءه المؤمنين ، فبعث الله السماء ، وكان

الوادي دهْساً ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدر على أن يرتحلوا معه ، فالمطر واحد ، ولكنه كان رحمة وتيسيراً على المؤمنين ، وكان مشقة وتعويقاً للكافرين .

والماء جند من جنود الله ، جعله الله عذاباً لأمم مكذبين ، فغدا طوفاناً عمّ الأرضَ وعلا قِمَمَ الجبال ، ولم ينج منه إلا نوح عليه السلام وأصحاب السفينة ، وكذا لسبأ وأهلها الذين كانوا في نعمة عظيمة ، أرزاقهم واسعة ، وزروعهم وافرة ، وثمارهم جميلة ، فأعرضوا عن الهدى، ولم يفردوا الله بالعبادة ويشكروا نعمه ، فعاقبهم الله بإرسال سيل العرم ، فانهار السد واجتاح الماء بلادهم ، واجتث زروعهم وثمارهم ، وأغرق ديارهم ودك حصونهم ، وأتلف أموالهم ومحاصيلهم ، فذلوا بعد عزّة ، وضعفوا بعد قوة ، وتفرقوا بعد اجتماع وألفة ، وخافوا بعد أمن ومنعة :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾[سبأ: ١٥-١٧]

والبشرية اليوم أهدرت هذه الثروة الغالية حتى برزت لها مشكلة كبرى ، بل مشكلتان ، أولاهما : التلوث الذي أفرزته الحضارة ، التي ما فتئت تحاصر الإنسان ، فبعد أن أفسدت فضاءه ودمّرت أخلاقه ، ها هي تلوث ماءه بطرح الفضلات ، بل بإلقاء المخلفات الإشعاعية ، والنفايات الصناعية ، فمسكين إنسان هذا العصر ، فقد لُوِّثت أرضه وفضاؤه ومِيَاهُه

ومعاناة أخرى هي انعدام الماء أو شُحُّه ، خاصة بعد نضوب مواقع كثيرة من مخزونها المائي ، مع ارتفاع كلفة إنتاج المياه العذبة ، وبلوغها مستويات مذهلة ، حتى غدَت مشكلة الماء في مقدمة المشكلات العالمية .

يُتَنَبَّؤُ بأن تكون محور صراع الأجيال القادمة ، ونحن المسلمون أمامنا سنة ربانية ، في قلوبنا راسخة : أن البلاء الذي نصاب به والنقم التي تحل إنما هي بسبب الذنوب والمعاصي قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٥٣]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وأبرز الذنوب الإسراف الذي هو سبب كل جفاف ، الإسراف داخل البيوت وأفنيتها ، وفي الطرقات ، وغسيل العربات ، وريّ الحدائق، وإهمال التوصيلات المنزلية إلى غير ذلك .

الإسراف عادة لقوم لا يرجون لله وقاراً ، ولا يحترمون نعم الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ۝ إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ [الإسراء : ٢٦ - ٢٧]

بسببه يحرم العبد محبة الله قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وأبرز الحلول :

أولاً : هجْر الذنوب والمعاصي ، فبالتوبة والتقوى تتنزل البركات ، وتفتح الخزائن قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦]

ثانياً : الاستغفار يَسْتَجْلِب رحمة الله ونزول الأمطار قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢]

ثالثاً : شكر نعمة الماء بالمحافظة عليه ، وعدم الإسراف .

المدينة في عهد الرسول ﷺ والوحي ينزل كانت ذات مياه وافرة

وزروع وحدائق ، ومع هذا فقد كان رسول الله ﷺ يغتسل بصاع ويتوضأ بمد ، وسأل أعرابي رسول الله ﷺ عن الوضوء ؟ فأراه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال : « **هَذَا الْوُضُوءُ ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ أَوْ تَعَدَّى أَوْ ظَلَمَ** » أخرجه ابن ماجه واحمد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وإمتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد :

فاتّقوا الله حق التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

ولِشُرْبِ الماءِ آداب جاءت بها السنة النبوية ، وشهدت لها فوائِدُ صِحِّيَّة :

الشرب ثلاثاً : ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاثًا ، وَيَقُولُ : **إِنَّهُ أَرْوَى ، وَأَبْرَأُ ، وَأَمْرَأُ** » .

ومعنى « يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ » : أي يبين القَدَحَ عَنْ فِيه ، ويتنفّسُ خارِجَه ثم يعود إلى الشرب .

ومعنى « **أَرْوَى** » : أي أشد رِيًّا وأنفعه .

« **وَأَبْرَأُ** » : أي يُبرئ من العطش ودائه .

« **وَأَمْرَأُ** » : أي هنيء في عاقبته ، مريء في مذاقه .

ومن الآداب **النهي عن الشرب مِن في السقا** ، وذلك لأن تردُّدَ أنفاس الشارب فيه يُكْسِبُه رائحةً كرِيهة ، ورُبَّما كان فيه قذاة لا يراها عند الشرب فتَلج جَوْفَه .

ونهى رسول الله ﷺ وزجر عن **الشرب قائماً** كما في صحيح مسلم ، وثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ مِنْ دَلْوٍ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ » .

قال الإمام النووي رحمه الله : « والصواب فيها أن النهي محمول على كراهة التنزيه ، وأما شربه قائماً فَبَيَانٌ للجواز فلا إشكال ولا تعارض ، فإن قيل : كيف يكون الشرب قائماً مكروهاً وقد فعله النبي ﷺ ؟

فالجواب - والحديث ما زل موصولاً للإمام النووي - : أنّ فعله إذا كان بياناً للجواز لا يكون مكروهاً ، بل البيان واجب عليه » انتهى كلامه رحمه الله .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

خطبة الاستسقاء

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

الحمد لله رب العالمين ، الرحيم الرحمن ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا إله إلا الله الولي الحميد ، لا إله إلا الله العظيم المجيد ، لا إله إلا الله المؤمَّل لكشف كل كرب شديد ، لا إله إلا الله المرجو للإحسان والإفضال والمزيد ، لا إله إلا الله استوى في علمه القريب والبعيد ، سبحان فارِجِ الكربات ، سبحان مجيب الدعوات، سبحان مغيث اللهفات .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم القاهر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أشرفُ نبي أُنزل عليه أفضلُ كتاب ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأنجاب .

أما بعد :

اتّقوا الله فإن تقوى الله وقاية من عذابه ، واحذروا المعاصي ، فإنها موجبات لغضب الله وأليم عقابه ، فقد جعل سبحانه شؤم الذنوب عظيماً وغِبَّ ارتِكابِ المعاصِي وخيماً ، إن المعاصي داعيةٌ لكل مكروه ، وإنها المسوِّدَة للصحائف والوجوه .

إن السماء لا تمنع خيرها ، ولا تحبس قطرها وبركاتها إلا إذا جفت ينابيع الخير من القلوب ، واضمحلت الفضائل من النفوس ، وأنّت الأرض من المنكرات ، عند ذلك يكون القحطُ والبلاء ، والجفاف والمجاعات ، وتتوالى المحن والمصائب .

المعاصي تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد ، وفي المياه والهواء ، والمساكن والأبدان ، تحل بالأرض الخسف والزلازل ، وتظهر في الثمار آفات تقضي عليها ، أو تنقص محاصيلها ، وفي الأبدان تحدث الأمراض الفتاكة ، والآفات القاتلة ، والحوادث المروِّعَة ، إنها تُطفئ نورَ القلب .

وتقتل الغيرة فتقوى فيه إرادة المعصية ، وتضعف إرادة التوبة ، حتى تنعدم من القلب بالكلية ، ولا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ٤٥ - ٤٧]

ولتطهير المجتمع مما يُلَوِّث سماءه ويُفْسِدُ صفاءه ونقاءه ، ويُورِثُه الدَّمَارَ والهلاك ، كانت توجيهات القرآن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يَحْجُزُ عن الفتن وشرور المعاصي ، بل إنه حصن الإسلام وسياجه القوي الذي يحمي أهل الإسلام من نزوات الشيطان ، وفلتات الهوى والباطل ، وهو البناء المتين الذي تتماسك به عرى الدين ، وتصقل فيه الأخلاق ، فإذا اندكّ هذا الحصن ، وإذا استبيح هذا السياج ، وإذا انهار هذا البناء ، فويل يومئذ للفضيلة من الرذيلة ، وويل للحق من صولة الباطل .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الدين ، شرعها الله لمصلحة عباده ، ولعمارة أرضه ، فإذا تعطّلت هذه الشعيرة تعامى الناس عن المنكر وهو على مرأى ومسمع منهم ، فلا الوالد يزجر ولده ، وينكر عليه قبيحَ فِعاله ، ولا الجار ينصح لجاره بأمره ونهيه ، ولا القريب أو الصديق يُعنى بأمر قريبه أو صديقه ، فيردَّه إلى الطريق ، ويأخذَ بيده أن يتردّى في الهاوية ، وإذا تعطَّل الأمر والنهي بين أفراد المجتمع فسد المجتمع ، وعندئذ يأخذ الله العامة بجريرة الخاصة ، ويعذّبهم بأنواع البلايا والمحن ،

قال ﷺ : « **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ** » أخرجه ابن ماجه وأحمد .

قد تتململ منه بعض النفوس التي لو تعمقت في سمو أهدافه وشمول مبادئه لأقبلت على امتثال أحكامه ، فهو يتناول فروع الحياة كلها ويجتث عروق البلايا من جذورها قال ﷺ : « **وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ** » أخرجه البخاري ومسلم .

وقال ﷺ : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا : الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا : النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ** » أخرجه مسلم .

وقال ﷺ : « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ** » أخرجه البخاري ومسلم ، أليس ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟!

سرُّ الخيرية لهذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠]

إن أيّ أمة كانت مهتدية في نفسها ، هادية لغيرها ، مؤمنة بربها وخالقها لتستحق الخيرية والعظمة ، إنها أمة الإسلام والإيمان ، كانت

وستكون داعية للعالم إلى الخير والهدى تَدُلُّهُمْ على الصراط المستقيم .

هذه المهمّة زمانها الدهر ، مكانها الأرض ، لاسيما في هذه الحِقْبة الزمنية العصيبة ، التي تَعْصِفُ بالأمة أهوالها ، وتتجاوَبُ بها مِرَّة أهوائها ، وتَجْلِب عليها الأمم بكل مكرها ، وهو سبب للنصر والعزة والتمكين في الأرض قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [الحج : ٤٠] .

وإذا ضاقت على الأمة السبل ، وحلَّ بها الظلام ، وتوجَّهت إلى الله بالدعاء ، فإنه جلّ جلاله لا يستجيب لها ، جزاء التفريط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ** » أخرجه الترمذي وأحمد .

عباد الله :

إن الله أمرنا عند احتباس المطر أن نستغفره من ذنوبنا التي بسببها حَبَس عنا المطر ، إن الذنوب لابد لها من توبة واستغفار ، ومن كرم ربنا سبحانه أنه وعد بقبول توبة التائبين ، ومغفرة ذنوب المستغفرين فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء : ١١٠]

هذا رسولنا ﷺ وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخّر يقول :

« وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » أخرجه البخاري .

وكما أن الذنوب سبب لنزول البلاء ، فإنّ الاستغفار سبب لرفع البلاء ، وتأخير العذاب قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣]

الاستغفار سبب لنزول الغيث من السماء ، ولزيادة قوة البلاد والعباد قال تعالى على لسان هود عليه السلام : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢]

بالاستغفار تَحِلُّ البركة في الرزق ، فتكثر الخيرات ، وتزيد الأموال والثمرات ، ويفجر الأنهار مع حسن المتاع ، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢]

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [هود : ٣] .

وورد أن عمر بن الخطاب ﷺ صعد المنبر يوماً ليستسق ، فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ، ثم قال : « لقد طلبت الغيث بمخارج السماء التي يستنزل بها المطر » .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

المخدرات ... موت في الحياة
الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلّمه البيان ، وزيّنه بالعقل ، وشرّفه بالإيمان ، وميّزه بالعقل واللسان عن سائر الحيوان ، أحمده تعالى أدّبَنا بالقرآن وخاطبنا بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بالخير والإحسان ، ونهانا عن الفسوق والعصيان ، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّداً عبده ورسوله المبعوث بالحق وحسن البيان ، والقائل : « **وَثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى** » رواه أحمد ، صلى الله عليه ما تعاقب الجديدان وتتابع النيِّران

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

إن الأمة الإسلامية أمة ذات رِسالة ، جعلها الله قوّامَةً على الأمم كلها ، وعهد إليها بقيادة البشرية وإنقاذها من الضلال إلى الهدى ، فقامت على تقويم الفطرة ، وتهذيب الأخلاق ، ومحاربة العابثين الذين يخالفون أمر الله ، ويتعدون حدوده ، وتوجيههم إلى ما يصلح حالهم ويقوّم اعوجاجهم .

والبشرية جمعاء تعاني من ويلات وفتن ، أنهكت قواها وزلزلت بنيانها وعصفت بقيمها ، ومنها : آفة المخدّرات التي أضحت همّ شعوب وحكومات الأرضِ قاطِبةً ، وغدا التصدي لها عبئاً تستقبله الضمائر الحيَّة بثبات وشجاعة وصمود وتضحية ، إن هذه الأمة تنمو داخلها سراديبُ نفوسٍ حقيرةٍ مصابةٍ بدرن حُبِّ المال الفاحِش الذي يلتمّس الربح السريع في مستنقع الرذيلة بأي ثمن وبأي وسيلة ، متنكرة لحرمات الدين والقيم الخلقية ، ولذا اقترنت المخدرات بالعنف المسلّح وبالرذيلة ، وبكل وسائل السطو المادي والنفسي على الحرمات ما ظهر منها ، وما بطن ، مخضت النفوس ، وهتكَت الأعراض ، ونكَّست رايات الفضيلة ، وهدمت البيوت ، وزرعت الخراب في كل مكان .

ووباءُ المخدرات يهدّد الحضارة بالتفجير ، والقِيمَ بالزوال ، والأخلاق بالتدمير ، إنّه داء مستتر ، لا تراه العين إلا باجتهاد ، ولا يكتشفه البصر إلا بنصب ، ولا يمكن احتواؤه إلاّ بجهد وإيمان ، يتسلّل عبر الدروب

المظلمة ، والمسالك الوعرة ، حتّى إن أحشاء الإنسان والحيوان اتُّخِذَتْ أوعيةً لإمراره بالموانئ ومنافذ الحدود .

بينما الأمة تبني قاعدتها الراسخة ، إذا بغزو جديد خبيث تديره عَصَائِبُ دولية رهيبة لا دين لها ولا ضمير ، هِيَ سِبَاع عادِية ، وكِلابٌ عَاوِية ، تتحرك صَائِلَةً للوصول إلى تدمير الشعوب والأمم ، وإهدار طاقة الشباب ، وتحطيم كيانه ، وتقويض بُنيانِه ، لِتُورِثَهُ الصَّغار والوَهَن فتصبح كأنّها أعجاز نخل خاوية لا قيمة لها .

عندما فشل الأعداء عَنْ زعزعة إيمان الأمة والنيل من قُوَّتِها عمدوا إلى سلاح بشع أَكْثَرَ خَطَراً وإماتة وتعذيباً من الدبابة والقنبلة ، تأثيره سريع ومفعوله مريع ، فَسَامُوا الشعوب خُطةَ خَسْفٍ بالمخدِّرات ، لِتَشْعِيب نِظامِ المناعَة في الأمة ، وإسقاطها في أدواء لا تستطيع الإنفكاك منها .

توخَّوْا شباباً ، ضعُف وازِعه الديني ، مع فراغٍ مُهلك ، وتَفَكُّك أسري ، تَيَمَّمُوا شَبَاباً فَقَدَ التوجيه والمناعة ، فَقَلَّ وَعْيُه وإدرَاكُه ونُضْجُه ، وهام على وجهه مع رفقاء السوء ، في غفلة من أبيه وأمه ، فوقع في شراك الدعاية السوداء ، التي تثير الغرائز ، وتخاطب العواطف ، حين زعم أولئك أن المخدِّرات مُنسِية للهموم ، مسَلِّية للنفوس ، مقوِّية للأبدان ، مُعَوَّضَةٌ عن فقدان المسليات ، فأضعفت هذه المخدّرات أبدانهم ، وأفسدت تلك

السموم عقولهم ، وأضاعت عليهم أموالهم ، وجنوا على أولادهم بأذيتهم، وتدمير مستقبلهم ، وتشويه سمعتهم ، أوقعوا أنفسهم في الذلة والمهانة ، وعار التسول ، وجريمة السرقة ، وبذلك كانوا وبالاً على أنفسهم وشراً على ذويهم وعالة على كاهل الأمة ، إنَّ وراء ذلك كله أَيْدِياً آثمةً تعمل جادة على قتل النخوة ، وإماتة الغيرة ، وتحطيم الشباب من أبناء الأمة ، كي يستكين ويذل وينهار ، فغدا هو لا يحمي بلداً ، ولا يصون عِرضاً ، ولا يزرع أرضاً ، ولا ينتج صناعة .

أبرح ما تكون الرزية حين يفقد المدمن صلته بربّه ، يتجسّد ذلك في عدم قدرته على أداء العبادات إن كان مسلماً ، فيغدو ضعيف البنيان قوي الخسران ، كالخرقة البالية في مهب الريح ، يستجيب لكل نداء شر ورذيلة ، رسالته في الحياة شهوات وملذات ، وأمنيته لهو ومجون ومخدرات ، وماذا يُرْجَى مِمَّن هذِهِ أُمنيَّتُه ، وتلك رسالتُه ؟ !

إن هذا موت في الحياة قبل الممات .

إنّ مدمن الخمر والمخدرات يزعزع أمن المجتمع واستقراره ، بما يصاحب الإدمان من مجون وفجور في نفسه ، فيجلب عليه وَبَالاً ، ويوجب به له قاصمةً .

فقد أثبتت الإحصاءات العالمية أن نِسْبَةً لا يستهان بها من جرائم الاعتداء على الغير ، وعلى ممتلكات الآخرين وأعراضهم إنما تتم بسبب

مباشر وغير مباشر من تعاطي أنواع من الخمور والمخدِّرات .

نعم ، كم من الجرائم ارتكبت تحت تأثير الخمرة والمخدرات ، وكم من الفواحش والآثام اقترفت في غياب عقل الإنسان وإرادته ، وكم أعراضٍ انتهكت ، وكم أموالٍ سرقت ، وكم اعتداءاتِ يدٍ وَقَعَتْ ، وكم أبدانٍ هدَّهَا المرض ، وسَمَّتْهَا المسكرات ، وكم أعصاب طُرِقَتْ ، وأتلفتها المخدرات ، وكم عداواتٍ تَأجَّجت نيرانها بين الأصدقاء والأقارب ، وكم بيوت تهدَّمت .

تلك حقائق ، روتها الأخبار المتواترة ، وشهدت لها الوقائع المتناثرة ، لكنَّ وَاجبَنَا الأساس تجاه هذه القضية ، هو التصدِّي لاستئصال شأفة هذه الجرائم ، ففداحة الجريمة ، وبشاعة الحدث تتطلَّب مِنَّا مؤازرةً ومعاضدةً إيمانيةً في بذل مَا يُمْكِنُ لِكَبْحِ جماح فاعِلِيه ، آخِذِين حِذْرَنَا مِن المفْسِدين وَلْنكُنْ جميعاً رجالَ أمْنٍ وحُرَّاسَ ثغورٍ ، لِبَتْرِ الأيدي الآثمة التي تتسلل تحت جُنْحِ الظَّلام ، وذلك بالتَّعاون مع الأجهزة المعنية لفضح أوكار المفسدين وكشف أستارهم .

وقد كان العمل بهَدْي القرآن الكريم مِن قادَةِ هذه البلادِ وفَّقهم الله لكل خير مرشِداً لهُمْ إلى إنزالِ عقوبة الإعدام على كل مهرِّب .

رافق ذلك جهود العلماء العاملين ، والقضاة المخلصين، ورجال الحسبة الغيورين الساهرين وَفَّق الله الجميع لكل خير .

على رجـال العلـم ، وأهـل الـرأي ، وحملـة الأقـلام أنْ يُطْبِقُـوا علـى التدبير لتحصين الناشئة من الفتن المتلاطمة .

يجب أن نسعى إلى توفير مقومات التربية الصالحة ، بـدءاً مـن الأسـرة فالمدرسة والجامعة ، وانتهاء بالمجتمع ، والشارع الذي يتحمَّل جزءاً كبـيراً من درء المفاسد والأخطار عن الشباب .

وعلى الآباء إيجاد محاضن صالحة للأبناء ، بيتٍ يقيم شعائر الإسـلام ، وجليسٍ صالح يدل على الخير ، ويقظة دائمة ، وإذا ظهرت بوادر مريبـة ، وعلاقات مشتبهة ، وجَب على وليّ الأمـر تَقَصِّي الحقـائق وتـلافي الأمـر خَوْفاً مِنْ خَطَرٍ داهم .

الوسائل الإعلامية قلْب الأمـة ولسـانها النـاطق في الملمـات ، مطالبـة بمشروع توعية متكامل يتجاوز المناسبات الحوليـة ، وردود الأفعـال الآنيـة إلى برنامج منظّم مدروس ، يبرز مهمـة الأسـرة والمدرسـة والجامعـة علـى ترسيخ الأخلاق الفاضلة .

إنّ مرحلة الشباب طاقة كامنة ، تبحث عن ميادين تتنفس منها الهـواء النقـي ، وهنـا تتـاح الفرصـة المواتيـة للمؤسسـات التربويّـة والتعليميّـة والاجتماعية والأندية في اغتنام توفيرِ المناخِ المناسِب .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ** » رواه البخاري .

وقال ﷺ : « **إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ لَعَنَ الْخَمْرَ ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَمُسْتَقِيَهَا** » أخرجه أحمد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشانه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى .

ثبت من خلال قراءة سريعة لهذه الآفة في العالم : أن القوانين والعقوبات الرادعة لا تصلح بديلاً عن الزاجر الداخلي في الإنسان ، المتمثل في الوازع الديني لدى المسلم ، هذا الوازع الذي رأيناه يريق الخمر في شوارع المدينة أنهاراً بمجرد أن يطرقَ أسماعَ المسلمين نبأُ تحريمِ الخمرِ والأمرُ باجتنابها ، سمِعوا نداء الإيمان : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : ٩٠]

سمعوا منادياً ينادي : « أَلا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ » رواه البخاري ومسلم ، فقال أحدهم : « فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال قال : وبعض القوم شَرْبَتُهُ في يده أراقها قائلاً : انتهينا ربنا » .

ما سِرُّ هذِه الاستجابة العميقة الفوريّة ، بعد أن كانت الخمر محبوبتهم ؟ إنَّ السِرَّ يَكْمُن في كلمة وجيزة ، تفعل أكثر ممَّا يفعل السِّحر .

هذه كلمة الإيمان ، وتلك هي ثمارها ، التي تجعل من شبابنا قويَّ القواعد ، متمكِّنَ الأركان ، وثيقَ العُرَى ، ثابت الأوتاد ، ولن يُجْدِينَا إذا فَقَدْنَا الإيمان أن نوضّح بالأرقام والعلوم والطب وكلّ وسائل الإعلام أضرارَ الخمر والمخدِّرات ، لن يجدي ذلك مع فقد الإيمان ، ولا يُنْسَى في هذا المجال اتخاذ الطرق الصحيحة لمعالجة المدمنين ، وملء أوقات فراغهم بالنافع المفيد ، فمن تاب تاب الله عليه وغفر زَلّته وحَوْبَتَهُ وأقالَ عَثْرَتَه :

﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ۞ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾

[الفرقان ٧٠ - ٧١]

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْـرَ لَـمْ يَقْبَـلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَـابَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ ، فَإِنْ عَـادَ لَـمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ، فَإِنْ عَـادَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَـابَ تَـابَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ ، قِيلَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَا نَهْرُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : نَهْرٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ » أخرجه الترمذي وأحمد .

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير ...

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

من إصداراتنا

١ - الرسالة التبوكية، ابن القيم، تحقيق/ سليم الهلالي.
٢ - أحاديث وعظات في فضل التبكير للصلوات، تأليف: عمر الشريف.
٣ - تراجعات ابن حجر في فتح الباري، تأليف: مشهور حسن سلمان.
٤ - الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي، تأليف: السمرقندي، تحقيق/ أبي إسحاق الحويني.
٥ - بيت في الجنة، تأليف: عبداللطيف بن هاجس الغامدي.
٦ - قبسات من خطب الحرمين، جمع: حلمي السداوي.
٧ - البدع والنهي عنها، ابن وضاح، تحقيق/ عمرو عبدالمنعم.
٨ - التهذيب في الفرائض، الكلوذاني، تحقيق/ د. راشد الهزاع.
٩ - توجيهات إسلامية، تأليف: محمد جميل زينو.
١٠ - قطوف من الشمائل المحمدية، تأليف: محمد جميل زينو.
١١ - فضائل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ، تأليف: محمد جميل زينو.
١٢ - معلومات مهمة من الدين لا يعلمها كثير من المسلمين، تأليف: محمد جميل زينو.
١٣ - تفسير وبيان لأعظم سورة في القرآن، تأليف: محمد جميل زينو.

إعداد
عبد الباري بن عواض بن علي الثبيتي

دار الخراز

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الخراز

المملكة العربية السعودية - ص.ب : ١٦٤ - جدة : ٢١٤١١
هاتف : ٦١٧٥٣٠٧ - هاتف وناسوخ : ٦٧١٢٧٤٧ - جوال : ٠٥/٥٣١٨٧٦٧